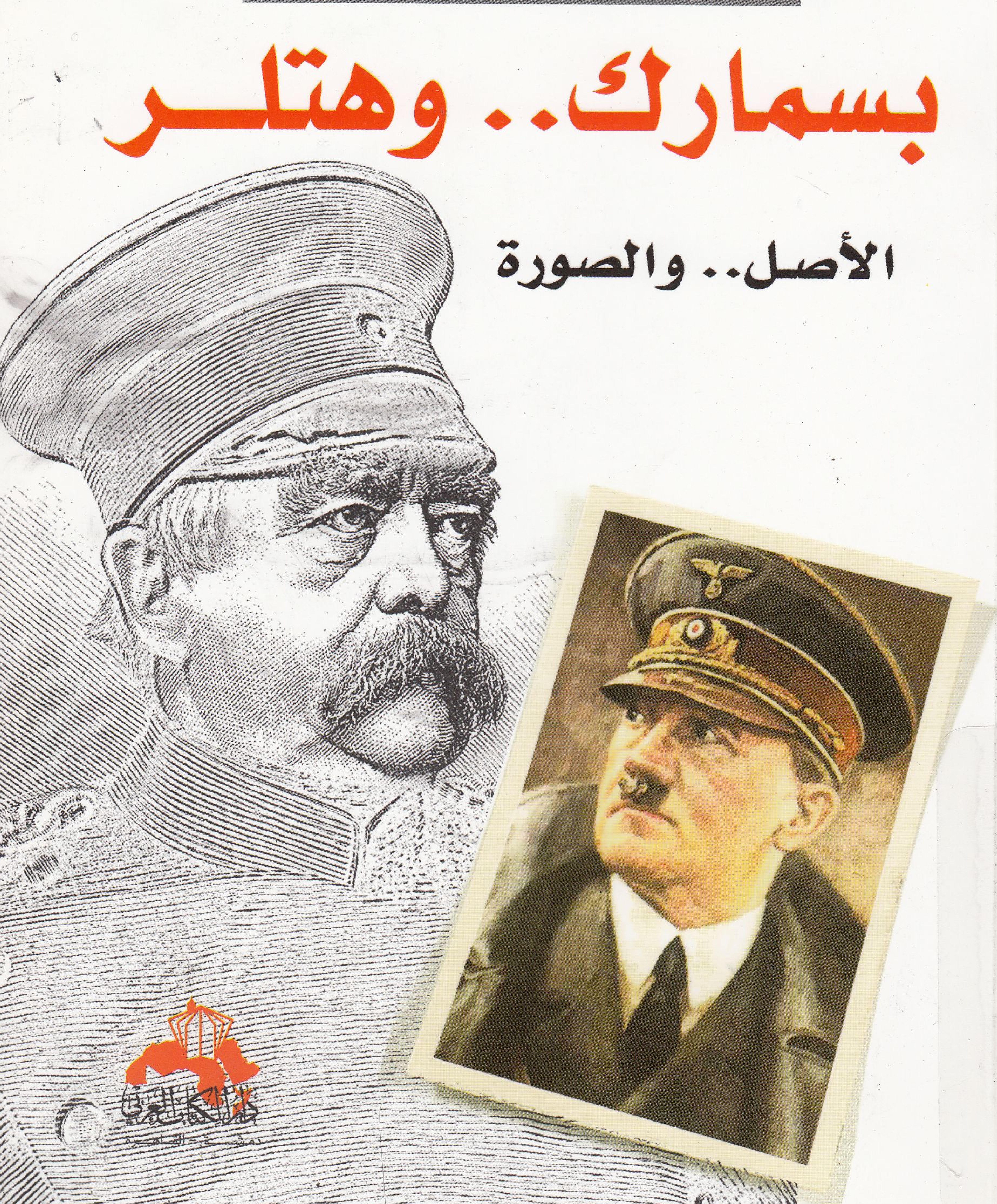
ليست البطولة أن تتعالى على البطل.. إنما البطولة أن تكون هذا البطل

عبد الكريم العلوجي

بسمارك.. وهتلر

الأصل.. والصورة



- بسمارك وهتلر

اسم الكتاب: بسمارك وهتلر
إعداد: د. عبد الكريم العلوجي
المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٩/٢٢٠٩٣
الترقيم الدولى: 9-517-316-911-918
التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف
الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف
الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

الطبعة الأولى
٢٠١٠

سوريا- دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٢٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢/٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٠٥/٤٣٤١٨٦ تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب ٣٠٤٣ الشويفات
- com - darkitab - nassif@hotmail - com
عنوان الموقع: www-darketab-com - عنوان البريد الألكتروني التابع للموقع: info@darketab-com

ليست البطولة أن تتعالى على
البطل......
وإنما البطولة أن تحاول أن تكون
البطل......

بسمارك.. وهتلر
الأصل والصورة

د/ عبدالكريم العلوجي

الطبعة الأولى
الناشر
دار الكتاب العربي
٢٠١٠



مقدمة

أوتو فون بسمارك :

ولد بسمارك في شونهاوزن، وهي ضيعة تمتلكها عائلته الثرية غرب برلين في مقاطعة ساكسونيا . كان والده فيلهلم فرديناند فون بسمارك (١٧٧١- ١٨٤٥) مالكا زراعيا، كان ضابطًا سابقًا في الجيش البروسي. وكانت والدته فيلهلمينه لويزه مينكن (١٧٨٩- ١٨٣٩) التي تزوجها والده في بوتسدام عام ١٨٠٦ تنتمي إلى عائلة ساكسونية متوسطة . وكان لبسمارك أخ وأخت.

تلقى بسمارك تعليمه في مدرستي فريدريش فيلهلم وجراوس كلوستر الثانويتين. وحين بلغ سن السابعة عشرة التحق بجامعة جيورج أوجوست في جوتنجن، حيث قضى عاما فقط انضم خلالها إلى فيلق هانوفيرا، ثم انتقل إلى جامعة فريدريش فيلهلم في برلين. وعلى الرغم من أن بسمارك كان يطمح إلى أن يصبح دبلوماسيا، إلا أنه كان ليقنع بمناصب إدارية صغيرة في آخن وبوتسدام.

تزوج بسمارك من يوهانا فون بوتكامر (١٨٢٤- ١٨٩٤) والتي تنحدر من عائلة نبيلة في عام ,١٨٤٧ وكان الاثنان يعتنقان اللوثرية التقوية. وقد أثمر زواجهما عن طفلة هي ماري وولدين هما هربرت وفيلهلم، ماتوا جميعا في مقتبل العمر.

في العام الذي تزوج فيه بسمارك اختير ليكون نائبا في المجلس التشريعي الجديد "مجلس الشورى الموحد". وهناك اكتسب شهرة كمناصر للمكلية وكسياسي محنك. وكان يدافع في كل مناسبة عن فكرة أن الملك لديه الحق الإلهي في الوجود.

وحين اندلعت الثـورة في بروسـيـا مـارس ١٨٤٨ (وكـانت هذه الثـورة إحـدى الثورات الشعبيـة التي اجتاحت أوروبا في ذلك العام)، وكـادت الثورة أن تسـقط الملك فـريدريش فـيلهلم الرابع. ورغم أنه رفض في البـداية اللجـوء إلى القـوة العسكرية لقمع المتمردين وإخماد نيران الثورة، إلا أنه قرر في النهاية استخدامها لإنهاء الثورة قبل استفحالها. وبعد نجاحه في إخمادها وجه وعوده إلى الحركة الليبـرالية بإقرار دسـتور يعترف بوحدة الشـعب الألماني وحقه في إنشـاء دولة مـتحـدة، وعين أحـد الليبـراليين وهو لودولف كـام ، رئيـسـا لوزراء بروسـيـا، في محاولة منه لاكتساب بعض الشعبية. غير أن الحركة الليبرالية التي قادت الثورة ما لبث أن ضعفت في أقل من عام بسبب تنافسهم الداخلي، فعاد المحافظون إلى الحكم مرة أخرى، حين نجحوا في اكتساب دعم الملك. ورغم أن الدستور أُقر إلا أنه لم يفِ بالمطالب الدنيا للثوريين.

وفي عام ١٨٤٩ انتخب بسمارك لعضوية مجلس الشورى، وهو أحد غرفتي المجلس التشريعي البروسي. وفي هذه المرحلة من حياته السياسية كان بسمارك يعارض الوحدة الألمانية بحجة ان بروسيا سوف تفقد استقلالها في ذلك الاتحاد. وقد قبل تعيينه كأحد النواب في برلمان إرفورت، وهو برلمان اجتمعت فيه عدة إمارات ألمانية لمناقشة مشروع الوحدة الألمانية، إلا ان البرلمان فشل في صياغة هذا المشروع لغياب دعم أهم مملكتين ألمانيتين وهما بروسيا والنمسا.



وفي عـام ١٨٥١ عينه فـريدريش فيلهلم مبعـوثا إلى مجلس الاتحـاد الألماني في فـرانكفـورت. وقـد تميـزت فـتـرة الثـمـاني سنوات التي قـضـاها في فرانكفورت بتغيرات هامة في آرائه السياسية. فقد تخلص من تأثير أصدقائه المحافظين، وأصبح أكثرا اعتدالا سياسيا. وأصبح يؤمن بأن بروسيا يجب ان تتحد مع الإمـارات الألمانيـة الأخـرى لمواجهـة خط النفوذ النمساوي المتزايد، وهكذا ترسخ لديه الإيمان بأمة ألمانية متحدة.

في عام ١٨٥٨ أصيب الملك فريدريش فيلهلم بصدمة تسببت له بالشلل والعجز العقلي، فتولى أخوه الأمير فيلهلم الوصاية على العرش وتولي إدارة شؤون الحكم في مملكة بروسيا. وما لبث فيلهلم أن استبدل بسمارك كمبعوث في فرانكفورت، وعين سفيرا لبروسيا في الإمبراطورية الروسية. وكان تلك نقطة هامة في حياة بسمارك السياسية، حيث كانت روسيا أحد أهم جارتين سياسيتين لبروسيا (وكانت الأخرى هي النمسا). وقد عين الأمير فيلهلم الوصي على العرش، هلموت فون مولتكه رئيسا جديدا للأركان في الجيش البروسي، وألبريشت فون رون وزيرا للحرب وأوكل إليه مهمة إعادة تنظيم الجيش. وكان هؤلاء الثلاثة هم من ساهموا في تحول بروسيا في السنوات الاثنتى عشرة التالية.

بقي بسمارك في سانت بطرسبورج لأربع سنوات، ربطت الصداقة خلالها بينه وبين الأمير جورتشاكوف، الذي سيكون خصمه في المستقبل. وفي يونيو ١٨٦٢ ارسل إلى باريس ليكون سفيرا لبروسيا في فرنسا. وبرغم بقائه الطويل خارج ألمانيا إلا انه لم ينفصل تماما عن الشؤون الداخلية الألمانية، فقد ظل على اطلاع كامل بسبب صداقته مع رون وزير الحرب، وقد شكل الاثنان حلفا سياسيا قويا.

رغم دراسته الجامعية للحقوق والزراعة واهتمامه البالغ بالفنون والأدب، التحق بسمارك بالسلك الدبلوماسي ليقود ألمانيا القيصرية إلى عصر ذهبي حافل بالازدهار والسلام من خلال سياسة قبضة حديدية صارمة.

كان بسمارك في تلك الفترة عضوا فعالا في صفوف المحافظين برلمان بروسيا. وكان مؤيدا للحكم الملكي خلال ثورة ١٨٤٨/ ١٨٤٩، إذ رفض مطالب الجمعية الوطنية التي كانت تنادي بإقامة دولة ديمقراطية. وهكذا بدأ بسمارك مسيرته السياسية حيث عينه الملك فيلهلم الأول رئيسا لوزراء بروسيا ووزيرا لخارجيتها، ثم أصبح بعد ذلك مستشارا للقيصرية الألمانية الثانية التي يعتبر نفسه مؤسسها إبان الحرب الألمانية الفرنسية ١٨٧٠ / ١٨٧١.

بعد صعود بسمارك - الذي يطلق عليه اسم المستشار الحديدي - إلى سدة الحكم عام ١٨٧١ كان شغله الشاغل بناء أساس اقتصادي وسياسي قادر على المنافسة في ألمانيا التي لا تملك أية مستعمرات تستغلها من أجل الحصول على النفوذ والثروة، وهكذا فقد عمد إلى عسكرة الاقتصاد من خلال سن قوانين صارمة تعتبر مثالا للدقة وحسن الأداء. كما بذل كل ما في وسعه من أجل المضي قدما باقتصاد ألمانيا على نحو تميز بالدقة والقوة، وهو ما يعرف حتى يومنا بسياسة النار والحديد.

أما سياسة بسمارك الخارجية فقد تمثلت بعد توحيد ألمانيا في الإبقاء على ما حققته القيصرية الألمانية من مكاسب في أوروبا، إضافة إلى إحلال السلام للحيلولة دون إثارة حرب تتمكن فرنسا فيها بعد إيجاد حلفاء لها من استعادة مقاطعتي الإلزاس واللورين. وسعى بسمارك إلى عزل فرنسا عن بقية الدول الأوروبية وبالذات عن النمسا وروسيا كي لا يضطر لاحقا إلى خوض حرب على جبهتين اثنتين مع روسيا من جهة وفرنسا من جهة أخرى. كان بسمارك يأمل في الوقت ذاته في أن تحقق ألمانيا تطورا ونموا في فترة السلام هذه، لذا فقد عمل على توقيع معاهدات سلام مع روسيا وإمبراطورية النمسا والمجر عام ١٨٧٣.

بعد موت الإمبراطور فيلهلم الأول عام ١٨٨٨ خلفه على العرش ابنه المريض فريدريش الثالث الذي لم تدم فترة حكمه سوى ٩٩ يوما قبل وفاته. بعد ذلك اعتلى ابن فريدريش فيلهلم الثاني عرش القيصرية الذي أراد من خلاله الاستفراد بالحكم فأجبر المستشار بسمارك على الاستقالة عام ١٨٩٠. توفي بسمارك في ٣٠ تموز /يوليو عام ١٨٩٨ في مدينة فريدريشزروه بمحاذاة مدينة هامبورغ. الجدير بالذكر أن المستشار الحديدي حظي بعد إقالته التي اعتبرها بمثابة تشييع لجثمانه "جنازة من الدرجة الأولى" بشعبية وتقدير لم يسبق لهما مثيل. وفي هذا السياق أطلق اسمه على شوارع كثيرة، وأقيمت نصب تذكاريه له في مدن عدة ومنحته درامشتادت وميونخ وهامبورغ وكاسل وكولونيا ومدن أخرى لقب مواطن الشرف.

مرحله مهمة من تاريخ ألمانيا كان بسمارك هو الرائد في وحدتها وهو الذي بنى قاعدتها.

إن حياة بسمارك مليئة بالأحداث الهامة وتعرض للكثير من المحاولات لاغتيالة وفشل مشروعة السياسي ولكن مع ذلك حقق تلك الوحدة وحافظت ألمانيا على وحدتها وتراثها رغم كل المؤامرات التي أحاطتها ولكنه انتصر. هذا هو بسمارك نحاول أن نقدمة بكل إجابياته وسلبياته

د. عبد الكريم العلوجي

1

الفصل الأول

بسمارك: وتاريخ ألمانيا وتحقيق الوحدة

الفصل الأول

بسمارك: وتاريخ ألمانيا وتحقيق الوحدة

□□

تاريخ ألمانيا: منذ تحقيق الوحدة وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى

بسمارك: الرجل الحديدي وحلم الكثيرين من القوميين العرب :

عملت سياسة الحديد والدم لبسمارك على توحيد ألمانيا وارتفعت بها إلى مصاف الدول المتقدمة، لكنها مثلت من جهة أخرى أرضا خصبة لنشوء الأفكار القومية والعسكرية المتطرفة.

ترتبط العقود التي تلت تأسيس الرايخ الألماني في عام ١٨٧١ بشخصية وسياسة أول مستشار للرايخ الألماني أتو فون بسمارك والذي درج المؤرخون على تقسيم فترة حكمه إلى مرحلتين. ففي السنوات الأولى حاول بسمارك استمالة بعض القوى الليبرالية في مساعيه الرامية للحد من نفوذ القوى المحافظة، وخاصة حزب الوسط الذي كان يمثل الكنيسة الكاثوليكية. وكانت سياسة بسمارك تهدف حينها بشكل خاص إلى تأكيد الطابع العلماني للدولة وتحجيم دور الكنيسة الكاثوليكية في الحياة السياسية. كما انعكس هذا التوجه الليبرالي على الصعيد الاقتصادي في اعتماد سياسية تقوم على مبدأ حرية التجارة. وارتبطت هذه السياسة بتحقيق تطور اقتصادي وصناعي ملموس في السنوات الأولى، إذ شهد مطلع سبعينيات القرن التاسع عشر انتعاشا اقتصاديا ملحوظا مكّن ألمانيا من تجاوز فرنسا كثاني قوة اقتصادية في أوروبا.

ومع انتهاء عقد السبعينيات بدأت المرحلة الثانية من عهد بسمارك والتي تميزت بتعاظم نفوذ القوى المحافظة. وتجلى هذا التوجه في تشديد الموقف المعادي للتيارات اليسارية والذي توج في عام ١٨٧٨ بإصدار ما يدعى بقانون الاشتراكيين والذي صيغ خصيصا لمحاربة الحزب الاشتراكي الديمقراطي.

من جهة أخرى حاول بسمارك الوقوف بوجه تغلغل الأفكار الاشتراكية والراديكالية وسط الحركة العمالية من خلال تحسين أوضاع العمال المعيشية واعتماد نظام متطور للتأمينات الاجتماعية. وتمثلت أهم الخطوات في هذا المجال في تطبيق التأمين الصحي في عام ١٨٨٣ والتأمين ضد الحوادث في عام ١٨٨٤ وأخيرا التأمين الاجتماعي في عام ١٨٨٩.

ورغم أهمية هذه الإجراءات من الناحية الاجتماعية إلا أن سياسة بسمارك الرامية إلى القضاء على الحزب الاشتراكي الديمقراطي والحد من نفوذه وسط العمال لم تؤدِّ إلى النتائج المطلوبة في ظل نجاح الحزب المذكور في الحصول على نسبة متزايدة من الأصوات في الانتخابات البرلمانية والتي مكنته اعتبارا من نهاية عقد الثمانينيات من التحول إلى لاعب أساسي في الحياة السياسية والبرلمانية في ألمانيا.

على صعيد آخر شهد الرايخ الألماني في فترة ما بعد الوحدة الألمانية اتساع ظاهرة عسكرة المجتمع وتمجيد الروح العسكرية البروسية. وقد وجدت هذه الدعوات أرضا خصبة من خلال توظيف انتصارات الجيش البروسي في حروبه ضد النمسا وفرنسا. ولم تقتصر مظاهر العسكرة على الجيش فقط وإنما امتدت آثارها إلى صفوف المدارس أيضا. كما أنشئت الآلاف مما يدعى (بجمعيات المحاربين)، وهي منظمات أهلية تقوم على مبدأ تمجيد القيصر والجيش كضمانة لألمانيا الموحدة.

أما في مجال السياسة الخارجية فقد حاولت ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر الحفاظ على التوازنات القائمة وسط أوروبا من خلال الدخول في تحالفات مع الدول الكبرى حينذاك كالنمسا وروسيا بشكل خاص، إضافة إلى بريطانيا وايطاليا . غير أن هذه التحالفات كانت تتسم بالطابع المؤقت ولم تنجح

في حل التناقضات المستعصية بين مصالح هذه الدول. كما بقيت حالة التوتر هي الطاغية على العلاقات مع فرنسا.

نهاية حقبة بسمارك :

في عام ١٨٨٨ توفي فيلهلم الأول ليخلفه على عرش ألمانيا ابنه المريض فريدرش والذي توفي بدوره بعد ٩٩ يوما فقط من اعتلائه العرش ليمهد الطريق لابنه فيلهلم الثاني الذي توج قيصرا للرايخ الألماني.

ومنذ البداية حاول القيصر الشاب الحد من نفوذ مستشار الرايخ المخضرم أوتو فون بسمارك مما أدى إلى تفاقم الخلافات بينهما ووصولها إلى نقطة اللاعودة. وقد تكللت هذه التطورات في الثامن عشر من آذار/مارس ١٨٩٠ بتنحي بسمارك عن جميع مناصبه.

ومن خلال تعيين مستشار جديد بدأ القيصر فيلهم الثاني باعتماد نهج جديد في السياسية الداخلية والخارجية للرايخ الألماني. وتمثل ذلك في البداية في محاولة أخذ التحولات الاجتماعية الناجمة عن عملية التصنيع بنظر الاعتبار من خلال تحسين الخدمات الاجتماعية والسعي لكسب طبقة العمال وإلغاء قانون ملاحقة الاشتراكيين. بيد أن هذه السياسة أيضا فشلت في احتواء نفوذ الحزب الاشتراكي الديمقراطي. وهو ما دفع فيلهم الثاني للعودة إلى سياسة بسمارك القائمة على القمع، الأمر الذي ألقى بظلاله القاتمة على الحياة السياسية والبرلمانية في ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

أثار الدمار في برلين بعد الحرب العالمية الثانية :

تجلى النهج الجديد للقيصر فيلهلم الثاني على صعيد السياسة الخارجية في عدم تجديد معاهدة عدم الاعتداء مع روسيا القيصرية عام ١٨٩٠ الأمر الذي دفع الأخيرة إلى إبرام اتفاقية عسكرية مع فرنسا في عام ١٨٩٤ . وردت ألمانيا بدورها على ذلك بالإعلان عن خطط توسيع أسطولها الحربي. ورغم معارضة بعض الأحزاب وفي مقدمتها الحزب الاشتراكي الديمقراطي لهذه الخطط إلا أن البرلمان صادق على تعزيز الأسطول بسفن حربية ذات طابع هجومي. وقد جرى

ذلك وسط حملة دعاية واسعة لكسب الرأي العام الألماني من خلال نشر الأفكار القومية المتطرفة. وكان لهذه القرارات أثر بالغ السلبية على العلاقات مع بريطانيا العظمي التي رأت فيها تهديدا لمصالحها. والنتيجة كانت اندلاع سباق محموم للتسلح في أوروبا وخصوصا بين ألمانيا و بريطانيا.

من جهة أخرى عمدت ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر إلى توثيق علاقاتها بالإمبراطورية العثمانية. ويندرج ضمن هذا التوجه الاتفاق على مشروع خط حديد برلين- بغداد والذي رأت فيه بريطانيا محاولة جديدة لتهديد مناطق نفوذها.

وقد ردت بريطانيا على هذه السياسة بالسعي للتقارب مع فرنسا والذي تكلل في عام ١٩٠٤ بالإعلان عن اتفاقية التفاهم الودي مع فرنسا. وفي عام ١٩٠٧ انضمت روسيا إلى هذه الاتفاقية التي تحولت إلى حلف ثلاثي والذي ضم القوى الرئيسية للحلفاء في مواجهة قوى المحور أثناء الحرب العالمية الأولى.

واشتدت النزاعات بين القوى الأوروبية نتيجة للسياسات الاستعمارية ومحاولات توسيع مناطق النفوذ في إفريقيا وآسيا. ومع تفاقم الصراعات الدولية لم يتطلب الأمر سوى شرارة لكي تندلع حرب كبرى.

وجاءت هذه الشرارة عندما أقدم صربي متطرف على اغتيال ولي العهد النمساوي فرانس فرديناند في الثامن والعشرين من حزيران/يونيو عام ١٩١٤ في سراييفو. ورغم النجاحات الأولى للجيش الألماني في المعارك مع قوات الحلفاء إلا أن طول أمد الحرب حولها إلى حرب خنادق استخدمت فيها مختلف الأسلحة بما فيها الأسلحة الكيماوية وأسفرت عن خسائر فادحة في الأرواح لدى الطرفين. وقد أدى تلاشي الأمل بتحقيق نصر عسكري سريع في نهاية المطاف إلى تعميق الأزمة السياسية في ألمانيا.

دهاء السياسة من بسمارك إلى الإدارة الإسلامية:

يقول هنري كيسنجر، أبرز سياسيي القرن العشرين، عن نابليون الثالث وبسمارك بأن مأساة نابليون في تعدي طموحاته نطاق قدراته، وهذا ما نطلق

عليه نحياً أو طوباني في علم السياسة أما بسمارك تخطت البلاد قدرة البلاد على هضمها.

ويشرح كيسنجر تكتيكات نابليون الثالث لتحقيق استراتيجيته في أوربا وهي : كان نابليون مغرماً في اشعال الحرب البروسية النمساوية في عام ١٨٦٦م ، بحيث قال للسفير البروسي في فبراير ١٨٦٦م (أطالبك إخبار الملك (ملك بروسيا) أن له أنَّى شاء التعويل على صداقتي فإن نشب نزاع بروسيا النمسا فإني على الحياد التام بأجلى مظاهره ويسرني أن أبدي رغبتي باعادة توحيد دفتي (شلزوغ - هولشتاين) مع بروسيا وأنني لشديد الاقتناع بقدرتي دوماً على التوصل إلى التفاهم مع بروسيا التي تتطابق مصالحها بعدد كبير من المسائل مع مصالح فرنسا ، بينما لا أرى قاعدة يمكنني الوقوف عليها للاتفاق مع النمسا).

وهنا التعليق لهنري كيسنجر : " فأي شيء أراد نابليون حقّاً ؟ أكان على يقين بوقوع مأزق في الميدان بحيث يعزز موقفه التساومي ؟ أو أراد بعض التنازلات البروسية لقاء التزامه الحياد ؟ ".

ولكن الداهية بسمارك أدرك أصول اللعبة ، فإن بقي نابليون على الحياد ، سيعرض عليه بسمارك عرضاً ملغوماً ، وهو مباركة بروسيا لفرنسا لكي تقوم باحتلال بلجيكا وضمها ، ومن هنا أدرك بسمارك إمكانية ضرب عصفورين بحجر ، الأول اشباع الطموح الغبي عند نابليون الثالث ، والثاني كان بسمارك مدركاً عندما تمثل فرنسا بلجيكا فبريطانيا ستتدخل بكل ما أوتيت من قوة لمنع هذا الاحتلال

أدرك السياسيون الفرنسيون غباء إمبراطورهم ، فقال السياسي الفرنسي البارز (ثيرس) آنذاك خطبة رائعة في ٣ مارس ١٨٦٦م : " لكم مقاومة هذه السياسة باسم فرنسا وهي إذ ناضلت طوال قرنين ليتحطم هذا العملاق ، أتقف الآن ساكنة ترقبه يعيد تثبيت نفسه "

وأضاف ثيرس أن على فرنسا بدلاً من الخضوع لعبث نابليون اللامجدي ، أن

تتبنى سياسة واضحة لمعارضة بروسيا بسمارك وأن تخلق خجة للدفاع عن استقلال الولايات الألمانية.

فكانت نتيجة اللعبة الفاشلة لنابليون الثالث كما يقول كيسنجر كالتالي : بأن نابليون كالمقامر الذي يضاعف مبلغ المراهنة كلما اثقلته الخسارة أما الداهية بسمارك ، فقد نجح في إعادة رسم خريطة أوربا وكذلك نمط العلاقات الدولية ولكن ينتقده كيسنجر قائلاً : إنه في النهاية لم يضع نموذجاً يستطيع خلفاؤه السير بموجبه.

الدهاء البسماركي استطاع أن يبقي ألمانيا مسيطرة على أوربا منذ عام ١٨٦٠م أي النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى بداية العقد الثاني من القرن العشرين وهنا يعلق كيسنجر قائلاً : أن موطن الفشل في سياسة بسمارك يكمن في بناء مجتمعه على سياسة لن ينجح في تنفيذها غير رجل عظيم يبرز من بين صفوف كل جيل.

وهذه حقيقة عدم استيعاب النظرية البسماركية في ألمانيا ، أدت إلى قيام حربين عالميتين في القرن العشرين ، وبعدها انتهى الحلم الجرماني لإنشاء دولة عالمية ذات قطبية أحادية.

وكما نستخدم المثل الصيني دائماً ، مصيبة عند البعض تعتبر فرصة عند الآخرين ومن هنا كأن التاريخ أصبح نمطي وقام يعيد نفسه ، بحيث عاد العالم مرةً أخرى للشروط الويلسونية التي اصدرها الرئيس الأمريكي ديلسون بعد نهاية الحرب العالمية الأولى في ٨ يناير ١٩١٨م وهي أربعة عشرا شرطاً ومنها إزالة الحواجز الاقتصادية ، وإقامة المساواة وحرية التجارة الدولية ، خفض التسلح إلى القدر الكافي للمحافظة على الأمن الداخلي ، وتكوين جمعية عامة من الأمم يرتبط اعضاؤها معاً طبقاً لعهود معينة ، بقصد توفير الضمانات المتبادلة لاستقلالها الذاتي ، وسلامة أراضي الدول العظمى والدول الصغرى على السواء إلخ ......

النظرية الديلسونية لم تستطع الولايات المتحدة تطبيقها ما بين الحربين

العالميتين وذلك يعود لعدم نضج واستقرار النظام الدولي آنذاك ، وكذلك لم تستطع أن تطبقها الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك بسبب بداية عهد الحرب الباردة .

ولكن الولايات المتحدة منذ انتهاء الحرب الباردة عام ١٩٩٠م تحاول تطبيق النظرية الويلسونية على العالم التي تبلغ من العمر أكثر من ٨٥ سنة ، وطبعاً قراءة ظاهر هذه النظرية، فكأنك تقرأ نصا مثاليا، ولكن عندما تتفحص بنود النظرية تجدها تعزز القطبية الأحادية للولايات المتحدة في العالم ، وتجعل يدها مطلقة في جميع مقدرات الكوكب.

سياسة بسمارك العامة :

تسلم بسمارك السلطة في بروسيا عام ١٨٦٢. وكان قد شغل قبل ذلك مناصب دبلوماسية رفيعة ممثلا لبروسيا في الدييت الجرماني، وسفيرا في سانت بطرسبورغ وفي باريس. وقد ساعده ذلك على اكتساب خبرة كبيرة في المسائل الألمانية وفي السياسة الروسية والفرنسية، فعرف نقاط القوة كما عرف نقاط الضعف. وساعده هذا كله في تحقيق الاتحاد الألماني، بعد خوضه ثلاث حروب ناجحة ضد الدانمارك ثم النمسا ثم روسيا، وقد ساعدته خبرته الدبلوماسية على الانفراد بكل من النمسا وفرنسا دون أي تدخل خارجي من دولة أخرى. و ما من شك في أن هذا النجاح الضخم وقيام هذه الدولة القوية في وسط أوربا سبب القلق والخوف لدى جيرانها المباشرين، كذلك لدى انكلترا الحريصة على المحافظة على توازن القوى في القارة، والمعارضة لهيمنة أي دولة فيها .

وقد أدرك بسمارك ذلك، فسعى لإزالة هذا القلق وهذه المخاوف. كان يدرك أن هذه الإمبراطورية التي كانت ثمرة الحرب يمكن أن تنهار للسبب نفسه. ولذلك كان حريصا على اتباع سياسة سلم ومداراة، وتجنب كل ما يثير الخلاف مع الدول الأخرى. كان يرى أن السلام ضروري لألمانيا، لأنه يسمح بتوجيه الرساميل نحو التنمية الاقتصادية التي سترسخ الوحدة الألمانية .

وقد استفاد بسمارك من اختلاف المصالح بين الدول الكبرى للاحتفاظ بالتفوق القاري. وكان يسعى لأن تكون ألمانيا أقوى دولة في أوربا بما تملكه من قوى عسكرية وسياسية واقتصادية، وأن يلعب بهذا دور الحكم الذي يسعى الجميع إليه.

كان أكثر ما يخشاه بسمارك نهوض فرنسا وسعيها للانتقام من ألمانيا واسترجاع الألزاس واللورين. وكان يدرك أن فرنسا التي سعت أكثر من مرة لفرض الهيمنة على القارة، والتي كانت في أغلب الأحيان تعتبر نفسها القوة الرئيسية في أوربا، لن تستكين لهذه الهزيمة المنكرة التي لحقتها في "سيدان" والتي حولتها إلى دولة من الدرجة الثانية. كان واثقا أن فرنسا ترغب في حرب انتقامية، وأنها لن تقبل خسارة الألزاس واللورين. وكان هذا يبدو له منطقيا ومحتما. قال هذا بصراحة للقائم بالأعمال الفرنسي في برلين في آب ١٨٧١: "سأقول لك بصراحة ما أفكر فيه: لا أعتقد أنكم ترغبون الآن في خرق الهدنة القائمة. إنكم ستدفعون لنا المليارين، ولكن في ١٨٧٤ حيث عليكم تسديد المليارات الثلاثة الباقية ستعلنون الحرب". وكان تيير من جهته، يرى أن سنة ١٨٧٢ أنه "إذا حدث اضطراب في أوربا، فسيكون من الطبيعي جدا أن نرغب في استغلال الفرصة التي تتاح لنا". وبانتظار اللحظة المناسبة، فإن على فرنسا – حسب رأي تيير – أن تعيد تكوين جيشها، وأن تهيئ الجو لتحالفات مقبلة . وكان تيير وخلفاؤه في جمهورية الدوقات "يرون أن حلفاءهم في المستقبل: النمسا وإنكلترا، وبخاصة روسيا. وقد كتب جول فافر وزير خارجية تيير: "نحن نعرف إلى أي درجة كانت العلاقات بين سانت بطرسبورغ وبرلين وثيقة، ونحن لا نستطيع – دون أن نتعرض لخيبات أكيدة – أن نطلب من روسيا خدمة ما، يمكن أن تجر إلى برود حاد بين الدولتين... إن بذرة الشقاق الحاد في المستقبل موجود بالتأكيد".

كان بسمارك يسعى إلى إبقاء فرنسا على حالة من الضعف لا تسمح لها بالتفكير في حرب انتقامية. فرض عليها في معاهدة فرانكفورت ١٨٧١ – عدا سلخ الألزاس واللورين – غرامة حربية باهضة (خمسة مليارات) سيؤدي سدادها

إلى الإضرار بالاقتصاد الفرنسي. كما فرض بقاء القوات الألمانية في الأراضي الفرنسية المحتلة حتى سداد الغرامة. وعند أي محاولة فرنسية لإعادة تنظيم قوتها العسكرية، كان يلجأ إلى التهديد بحرب وقائية. ولكنه بالرغم من أنه لم يهمل التخطيط لحرب وقائية، فإنه لم يكن يرغب بعد علم ١٨٧١ في اللجوء إلى السلاح. فقد كان يرى أن ألمانيا قد أصبحت مكتفية ووصلت إلى حد الإشباع، وأنه ليس هناك ما تكسبه من حرب أخرى. وكان يعتقد أن حربا فرنسية ألمانية جديدة تهدد هذه المرة بألا تبقى محصورة بين الدولتين. ولكن فشل سياسة التهديد وإسراع فرنسا في تسديد الغرامة قبل موعدها، واتخاذ التدابير لاستعادة قوتها العسكرية - قوانين ١٨٧٢ و ١٨٧٥ العسكرية - جعل بسمارك يعتمد على السلاح الدبلوماسي، أي عزل فرنسا وإحاطة ألمانيا بسور من التحالفات. كان يدرك أن فرنسا لن تفكر في حرب انتقامية لوحدها، إذ قال لسفيره في باريس " :نحن بحاجة لمنع فرنسا من إيجاد حلفاء إذا كانت لا ترغب في السلام؛ ومادام ليس لها حلفاء، فلن تكون خطرة علينا" .

سعى بسمارك لجذب النمسا وروسيا اللتين كان موقفهما أكثر أهمية في نظر بسمارك من بريطانيا، ذلك لأنه ليس لبريطانيا جيش؛ ولأنه كان يخشى أن تجد فرنسا - التي كان يحكمها في هذه الفترة أكثرية ملكية تدعمها أقلية ليبرالية محافظة أبعدتها ثورة الكومون عن الجمهورية - بسبب نظامها تعاطفا من النمسا التي لا تزال متأثرة بجراح عام ١٨٦٦، أو روسيا القيصرية التي أزعجها قيام ألمانيا القوية على حدودها.

نجح بسمارك في جذب هاتين الدولتين إلى فلكه وإبعادهما عن فرنسا، وذلك باتفاق الأباطرة الثلاثة عام , ١٨٧٣ وقد ظهرت بدايات هذا الاتفاق في صيف سنة ١٨٧٢ بلقاء الأباطرة الثلاثة في برلين، أي في الوقت الذي أظهر تيير رئيس الدولة الفرنسي رغبته في دفع الغرامة.

الحربية بأسرع مما نصت معاهدة فرانكفورت. وقد رافق توقيع هذا الاتفاق تغيير حصل في فرنسا لصالح اليمين الملكي في أيار ١٨٧٣ : فقد حل مكماهون الملكي محل تيير و بدأ في فرنسا ما عرف بـ«جمهورية الدوقات". وقد وصف

جاك بيرين هذا الاتفاق بأنه "حلف مقدس جديد" للمحافظة على السلم والنظام القائم تحت رعاية الدول الثلاث الموقعة على الاتفاق. كان هناك تضارب مصالح بين روسيا والنمسا في البلقان يضعف هذا الاتفاق، ولكن بسمارك عرف كيف يربط الدولتين بعربته. فقد كانت النمسا بحاجة إلى ألمانيا لدعم سياستها التوسعية في البلقان. وكانت روسيا التي تواجه مشاكل كبيرة مع إنكلترا في الشرق الأسيوي، ومع النمسا في البلقان بحاجة إلى ألمانيا أيضا.

وكان بقاء هذا الاتفاق مرتبطا بعدم قيام أزمة بلقانية تهدد بتغيير الوضع الراهن وتفجر الخلاف بين النمسا وروسيا كما سيحدث في أزمة ١٨٧٥ - ١٨٧٨.

وكانت أوربا تمر الآن بمرحلة الإمبريالية، وكان هناك تسابق بين الدول للسيطرة على آسيا وإفريقيا. وقد سبب هذا توترا في علاقات الدولة المتنافسة. كان بسمارك يدرك مخاطر السياسة الاستعمارية على ألمانيا، وفي الوقت نفسه فوائدها عليها. ولهذا اتبع بسمارك سياسة قارية، وكان يرى أن المسائل الاستعمارية التي بقيت ألمانيا بعيدة عنها، وبخاصة تلك التي تستدعي المواجهة بين الدول الأخرى، ليس لها أي قيمة إلا من جهة أنه يمكن أن تتيح له الفرص لتعزيز نظامه القاري.

ولم يكن بسمارك يرى أنه من المفيد لألمانيا الحصول على ممتلكات ما وراء البحار. فهذا يحتاج لأسطول قوي، كما سيزج بألمانيا في مشاكل مع الدول المتنافسة؛ مما يتيح لفرنسا العثور على حلفاء. وترك لفرنسا أن تبدد قواها وأموالها في حملات بعيدة، مما يزج بها في مشاكل مع إنكلترا ويحقق لألمانيا أمنا على"الرين".

لم يكن لألمانيا حتى السبعينيات من القرن التاسع عشر سوى علاقات بسيطة وغير منتظمة مع العرب. ولم تعر الدول الألمانية، حتى عام ١٨٦٩، المغرب سوى اهتمام بسيط.

كان لمدن الهانس نشاط تجاري في البحر المتوسط. وقد جرت محاولة لعقد

معاهدات مع المغرب في أواخر القرن الثامن عشر، ولكن ضآلة المبادلات لم تكن تبرر دفع جزية كبيرة. وكذلك فعلت بروسيا في آخر القرن الثامن عشر.

وفي سنة ١٨٠٥، اضطرت هامبورغ إلى عقد معاهدة مع المغرب، وتبعتها مدن الهانس الأخرى. ولكن سريان المعاهدات توقف على أثر استيلاء نابليون على مدن الهانس. وبعد فشل المحاولة الدولية للقضاء على القرصنة، استؤنفت المفاوضات لعقد معاهدات جديدة لم يعد لها مبرر بعد نزول الحملة الفرنسية في الجزائر.

كانت المبادلات التجارية بين ألمانيا والمغرب شبه منعدمة، ولم تجد أي دولة من دول الاتحاد الجرماني من حاجة لإقامة علاقات دبلوماسية مباشرة ومستمرة. واعتمدت مدن الهانس على بريطانيا للدفاع عن مصالحها متى تطلب الأمر ذلك. واكتفت بروسيا بدءا من ١٨٣٨ باعتماد قنصل السويد ممثلا لها في المغرب. وفي ١٨٥٢، زار "مينوتالي"، قنصل بروسيا في برشلونة، طنجة ووضع تقريرا يبين فيه المزايا التجارية والسياسية، وذكر فيه أنه سيكون من الممكن استخدام المغرب للحصول من فرنسا وإنجلترا على تنازلات مفيدة للسياسة البروسية في أوربا. وبهذا يكون "مينوتالي" أول من طرح فكرة ستكون فيما بعد دليلا في أغلب الأحيان للسياسة الألمانية المغربية، وهي استخدام المغرب ورقة في لعبتها الدبلوماسية.

وفي ١٨٥٢، تعرضت سفن بروسيا لهجوم على شواطئ الريف وقتل عدد من بحارتها. فشلت بروسيا في الحصول على تعويض أو على ترضية. وفي ١٨٥٦، وبمناسبة رحلة تدريب في المتوسط، مر الأميرال البروسي أدالبرت ابن عم الإمبراطور أمام المكان الذي تم فيه الهجوم الريفي، ونزل على رأس قوة لمعاقبة الريفيين. فأجبر الريفيون الحملة على الانسحاب بعد أن خسرت عددا من القتلى بينهم الأميرال وأمير ألماني آخر. ورفض السلطان طلب الغرامة الذي تقدم به قنصل السويد باسم بروسيا. وحينئذ، توجهت برلين نحو باريس ولندن ومدريد. وأعلن نابليون الثالث رغبته في اتخاذ تدابير بالاتفاق مع إنكلترا وإسبانيا لمنع تجدُّد هذه الحوادث، ولكن لم يتخذ أي قرار في هذا الصدد.

وردا على موقف المغرب، أعلنت بروسيا تأييدها لإسبانيا في الحرب التي

شنتها على المغرب ١٨٥٩ – ١٨٦٠، وحضرت بعثة روسية عسكرية هذه الحرب. وقد كتب أفراد هذه البعثة مذكراتهم التي أسهمت في تعريف الألمان بالمغرب. وقام عدد من المستكشفين الألمان بزيارة المغرب، شكا أن الزولفراين لم يفعل شيئا حتى الآن لفتح سوق له في المغرب، وأبدى أسفه على عدم وجود قنصل هناك. وفي العام نفسه، استطلع هنريخ بارت موانئ الشمال وأبرز أهمية طنجة في السياسة الأوربية.

وفي ١٨٥٨، استطلع كارل فون مالتزن الريف ووصل إلى مراكش وقابل السلطان عبد الرحمن. وكان جرهار رولفس أهم المستكشفين الألمان. إذ قام رولفس بعدة رحلات شملت شمالي المغرب وجنوبه، حيث وصل في الرحلة الأولى إلى أغادير ومراكش ثم الجزائر عبر تارودانت وواحات درعة وتافيلالت وفجيج. وفي الرحلة الثانية عبر الأطلس ووصل إلى واحة توات وتيديكلت وانتقل إلى طرابلس عبر عين صلاح وغدامس. ومول ملك بروسيا الرحلة الثالثة إلى لاجوس عبر الهجار. وهكذا أصبح رولفس شخصية أوربية بارزة. فاستقبله ملك بروسيا وبسمارك، ودعاه قيصر روسيا إلى سانت بطرسبورغ، ومنحته الجمعية الجغرافية في باريس ميدالية ذهبية، ومنح دكتوراه شرف من عدة جامعات، أصبح رولفس حجة في كل ما يمس إفريقيا؛ وسيكلف بمهمة خاصة في شمالي إفريقيا خلال حرب ١٨٧٠، ولقيت مؤلفات رولفس نجاحا كبيرا، وكان لا يفتأ يثير في مقالاته الاهتمام بالسلطنة المغربية التي وصفها بأنها جنة حقيقية للاستعمار الأوربي؛ وكان متعطشا لرؤية المغرب من نصيب ألمانيا.

لم يكن رجال الأعمال البروسيون يعيرون المغرب اهتماما باستثناء هامبورغ التي طالبت فيها غرفة التجارة ومجلس الشيوخ بافتتاح قنصلية في المغرب عام

١٨٦٩. ولكن بسمارك لم ير ضرورة لذلك في ذلك الوقت، لأن اهتمامه كان منصبا آنذاك على إتمام الوحدة الألمانية وإعداد العدة للحرب مع فرنسا.

كشفت الحرب البروسية - الفرنسية سنة ١٨٧٠ عن الأهمية السياسية والاستراتيجية لبلد مجاور للجزائر. فمنذ بداية الحرب، رغبت الحكومة الألمانية في تجنب إمكان استدعاء جيش إفريقيا الفرنسي إلى أوربا، وذلك بإثارة الاضطراب في الجزائر. وقد أرسل لاجئون جزائريون في إستنبول اقتراحات بهذا المعنى إلى المفوضية الألمانية.

جذب المشروع اهتمام مولتكه، رئيس الأركان العامة الألماني. عرض رولفس خدماته لإثارة الجزائر، وقبل بسمارك العرض. وحاول رولفس بمرافقة أستاذ اللغة العربية وتيزشتاين ومحي الدين عبد القادر الجزائري إثارة القبائل الجزائرية القريبة من الحدود التونسية. ولكن المحاولة فشلت، لأن الباي أسرع بإبعادهم بضغط من الحكومة الفرنسية. أرسل بسمارك بعد ذلك وتيزشتاين إلى جبل طارق للقيام بمحاولة جديدة من المغرب.

وبالرغم من فشل المحاولتين في إثارة الاضطرابات في الجزائر، فإنهما حققتا جزئيا الهدف الذي اقترحته الأركان العامة الألمانية. ذلك بأن الحكومة الفرنسية، بسبب قلقها من هذه المحاولات، قررت أن تترك في الجزائر قوات كانت تفكر في نقلها إلى فرنسا. كذلك أدت هذه المحاولة إلى إدراك بسمارك أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه المغرب في العلاقات الفرنسية الألمانية. إذ سيكون من الممكن، انطلاقا من المغرب، تهديد الجزائر والحصول على أداة ضغط على فرنسا. وهذه الفكرة ستقود معظم الجهود الألمانية لمد نفوذها في المغرب.

سياسة بسمارك المغربية الفرنسية:

ترتبط سياسة بسمارك المغربية بعلاقته مع فرنسا. فتوتر العلاقات أو تحسنها ينعكس على سياسته المغربية. وفي الواقع، لم يكن المغرب غاية في حد ذاته؛ بل كان وسيلة ضغط أو إغراء تخدم سياسته الأوربية بعامة والفرنسية بخاصة. فقد كان المغرب أحيانا قاعدة يستطيع منها إثارة اضطرابات في

الجزائر ليجمد القوات الفرنسية الموجودة هناك، ويحول دون نقلها إلى ميدان الحرب الأوربية، إذا ما نشبت حرب ألمانية فرنسية. وفي أحيان أخرى، كان المغرب وسيلة إغراء لتحويل أنظار فرنسا عن الراين، كما كان أيضا ورقة يلعبها الساسة الألمان في المنافسات الاستعمارية للحصول على تعويض ثمنا للتخلي عن المغرب.

مرت العلاقات الألمانية الفرنسية في عهد بسمارك بثلاث مراحل:

١- مرحلة التوتر في العلاقات (١٨٧١ - ١٨٧٨) .

٢- مرحلة التحسن في العلاقات (١٨٧٨ - ١٨٨٤) .

٣- مرحلة عودة التوتر (١٨٨٥ - ١٨٩٠) .

١ - مرحلة التوتر (١٨٧١ - ١٨٧٨) :

كان الخوف يسيطر على بسمارك من سرعة نهوض فرنسا، كما بدا من القوانين العسكرية التي أقرها البرلمان الفرنسي (١٨٧٢ و ١٨٧٥) والهادفة إلى إعادة تنظيم الجيش وزيادة عدد أفراده؛ ومن دفعها الغرامة قبل موعدها المحدد في معاهدة فرنكفورت، مما أجبر بسمارك على سحب قواته من الأراضي الفرنسية المحتلة، وفقد بذلك ميزة إستراتيجية هامة. كما كان يخشى أن تستطيع فرنسا، في ظل حكومة محافظة تعتمد على أكثرية مَلَكية، أن تجد لها حلفاء من بعض الدول الملكية المحافظة، أو على الأقل تعاطفا من قبل هذه الدول.

وفشل أسلوب التهديد بحرب وقائية ١٨٧٥ بسبب تدخل إنجلترا وروسيا . ومن هنا برزت أهمية المغرب بما هو قاعدة لإثارة الاضطرابات في الجزائر تؤثر في قرار فرنسا في موضوع حرب انتقامية، أو على الأقل يضعف قدرتها العسكرية بتجميده القوات الفرنسية في الجزائر والحيلولة دون نقلها إلى ميدان الحرب الأوربية. في سنة ١٨٧٢، أعلن تيودور ويبر - قنصل ألمانيا في بيروت - أن القبائل الثائرة في الجزائر تأمل في مساعدة ألمانيا لها بالسلاح. وعد بسمارك بتزويد هذه القبائل بثلاثين ألف (٣٠,٠٠٠) بندقية لو استؤنف النزاع بين فرنسا وألمانيا. وفكر بسمارك في كسب نفوذ عدة شخصيات متنفذة في

. ـرب كشريف وزان، أو أعيان جزائريين لاجئين إلى المغرب عند الحاجة للتحرك ض ـ الجزائر أو إجبار فرنسا بهذه التوقعات على التخلي عن فكرة الحرب ا' تقامية.

كل هذا أقنع بسمارك بالإسراع إلى إقامة تمثيل دبلوماسي في المغرب. صرح بسمارك بقوله: "إن إيجاد مركز طنجة الذي هدفه خدمة المصالح التجارية الألمانية له أهمية سياسية لدى احتمال حرب جديدة مع فرنسا". وكان الفرنسيون يدركون هدف بسمارك هذا : "إن إنشاء بعثة دبلوماسية ألمانية لا يمكن أن يفسر إلا فكرة كامنة. لقد أقامت ألمانيا على الجنب الأيسر من مستعمرتنا الإفريقية وبدأت تهيئ يدا طويلة لتجميد قسم من القوات التي يسمح لنا الهدوء على حدودنا الغربية باستخدامها في حالة نشوب حرب أوربية". وأكدت الصحف الألمانية هذا التفسير قائلة: "إن إرسال وزير ألمانيا معركة حقيقية من أجل التأثير في الحكومة المغربية، معركة بين ألمانيا وفرنسا، وسيصبح المغرب قريبا مسرح حرب. فإما أن نضع حدا للسيطرة الفرنسية في إفريقيا وإما أن تتوسع هذه السيطرة حتى الأطلنطي".

كان الجو ملائما للوجود الدبلوماسي الألماني. فقد أثار الانتصار الألماني دهشة المغاربة وإعجابهم، وأعطى ألمانيا سمعة كبيرة لديهم. وقد وجد الرحالان الألمانيان فريتشن ورين سنة ١٨٧٢ ترحيبا من المسؤولين المغاربة وسمعا منهم: "لقد ابتهج كل الشعب أن الله أعطى السلطان غليوم النصر على فرنسا، تلك الأمة التي تسعى لفرض قانونها على جيرانها".

أبدى السلطان الحسن اهتماما شديدا بالجيش الألماني، وسعى للاستعلام عن أسباب تفوقه، ورأى أنه يمكن أن يستفيد من دعم ألمانيا ضد مطامع الدول الأخرى. وكان هناك اعتقاد في المغرب بأن الدعم الألماني سيكون نزيها، لأن ألمانيا لم تكن دولة استعمارية، وليس لها ماض تاريخي في شمال إفريقيا، ولا حدود مع المغرب كفرنسا، ولا تملك مركزا تستطيع تهديد المغرب منه كإنجلترا في جبل طارق؛ كما أنه ليس لها مطالب لصالح مواطنيها - وعددهم كان لا يزال بضعة أفراد - وليس لها محميون.

كان بسمارك يريد من ممثليه أن يتعاونوا تعاونا كاملا مع ممثلي إنكلترا التي كانت لها أهداف ألمانيا نفسها في معارضة فرنسا. وكان هذا يتجاوب مع محاولات بسمارك التي استمرت حتى عام ١٨٨٠ في جذب إنكلترا إلى حلف أو اتفاق مع ألمانيا. ويرى مييج أن هذا الحلف كان قائما عمليا في المغرب: فقد كان ممثلو ألمانيا حتى عام ١٨٨٠ يقفون صفا واحدا مع ممثل إنكلترا. وفي فترة غياب ممثل ألمانيا، كان ينوب عنه في تمثيل المصالح الألمانية الوزير المفوض الإنجليزي.

طلب بسمارك من جوليش، ممثل ألمانيا الأول، دراسة إمكان جر السلطان إلى مهاجمة الجزائر في حالة نشوب حرب في أوربا. وطلب منه أن يقدر إمكانات المغرب العسكرية قائلا : "إن لعلاقاتنا مع المغرب أهمية عسكرية في حالة حرب مع فرنسا؛ إنها كذلك عام ١٨٧٤".

كان اختيار جوليش، الوزير المفوض، غير موفق. فقد كانت تنقصه الخبرة بالعالم الإسلامي. فوقع الاختيار على تيودور ويبر قنصل ألمانيا في بيروت. وكان ويبر قد أمضى سنوات طوالا في البلاد العربية، وكان يتقن جيدا اللغة العربية، وصحب معه ترجمانا سوريا مسلما، هو منصور ملحم، مما كان له وقع طيب لدى المغاربة الذين كانوا يرون فيه واحدا منهم. وكان لهذا الترجمان فضل كبير في نجاح مهمة ويبر في المغرب.

أكد بسمارك لويبر أهمية إقامة علاقات وثيقة مع الحكومة المغربية. وكان بسمارك يعتقد أنه بفضل مساعدة ألمانيا للمغرب في تطوير قوته الاقتصادية والعسكرية يمكن أن يصبح حليفا ثمينا لألمانيا مخيفا لفرنسا. وطلب من ويبر أن يدرس بعناية هذا الاحتمال وأن يجيبه بدقة على مسألة "هل الدولة المغربية في تنظيمها الحالي قادرة على التحسن، وما أهمية مواردها إذا نجحت في تطويرها، وهل بالإمكان أن تكون حليفا محتملا؟".

كانت العادة المألوفة أن يذهب الوزراء المفوضون المعينون حديثا إلى البلاط المغربي ليقدموا أوراق اعتمادهم. لكن لم يتح لجوليش أن يقوم بهذه المهمة. وكان من المفروض أن يقوم بها ويبر عام ١٨٧٥؛ ألا أن الأزمة الفرنسية الألمانية في

هذا العام، وما أثارته من مشاعر في أوربا دعت بسمارك إلى تأجيلها. تمت السفارة سنة ١٨٧٧، وكان تشكيلها يعكس الأهمية المعلقة على هذا الاتصال الأول. فقد اصطحب ويبر سبعة ضباط اختيروا من أحسن عائلات النبلاء الألمان، وصحافيين اثنين ومصورا وسكرتيرا وترجمانين واثنين من صف الضباط. وفي تقرير إلى الإمبراطور، بين بسمارك: "أن نفوذنا سيصبح كبيرا، إذا نحن أقمنا مع السلطان علاقات مباشرة. إن هذا لموكب الرائع والهدايا الثمينة التي يحملها ويبر لابد من أن تؤثر في المخزن، وأن تقنع السلطان الحسن بأن ليس له من حليف أفضل من الإمبراطور غليوم، وتجعله يقبل عقد معاهدة تجارية ومساعدة ألمانيا له في إعادة تنظيم جيشه".

و في أيار، وصلت سفارة مغربية وعلى رأسها حاكم آسفي الطيب بن هيمة إلى برلين. قوبلت هذه السفارة بحفاوة وسعى بسمارك إلى إبهارها بفخامة البلاط الإمبراطوري. قابل الإمبراطور بن هيمة كما قابله بلوف، سكرتير الدولة للشؤون الخارجية. صرح بن هيمة بأن سيده "لديه ثقة كبيرة بألمانيا أكثر من أي دولة أخرى". وإذا كانت هذه السفارات قد وثقت العلاقات، فإنها لم تحقق ما كان بسمارك يسعى إليه: عقد معاهدة تجارية وإرسال بعثة عسكرية ألمانية. ويرى مييج أن الاهتمامات السياسية والاستراتيجية لم تكن غائبة، ولكن الهدف الرئيس هو وضع أسس النفوذ الألماني في المغرب وتهيئة السبل لهجوم اقتصادي لمؤسسة "كروب" الذي كان يرغب في أن يكون له موطئ قدم في المغرب. وقد حصل ذلك.

فشل ويبر في الحصول على موافقة السلطان على عقد معاهدة تجارية، لأنه لم يكتف بطلب الحصول على منافع المعاهدات القائمة مع الدول الأخرى، بل قدم مطالب أكثر لم يكن السلطان مستعدا للموافقة عليها، لأنه كان يفكر في أن يستخدم هذه التنازلات – وخاصة ما يتعلق بتصدير الحبوب والمواشي وتحديد رسوم التصدير – في مجالات التجارة عملة تبادل مقابل تنازلات في مجالات أخرى، كمسألة الحماية التي كان يسعى للتخلص منها أو للحد منها وإزالة مفاسدها.

وكان على وبير أن يقترح تزويد المغرب بالسلاح وبمدربين ألمان لتدريب الجيش المغربي. وكانت فرنسا قد قدمت عروضا مماثلة ونجحت في الحصول على موافقة السلطان على مجيء بعثة تدريب عسكرية فرنسية، وستكتفي ألمانيا ببيع كمية من الأسلحة. جاء هذا الفشل عشية التغيير الذي طرأ على سياسة بسمارك نتيجة التغيير الذي حدث في فرنسا بعد فوز الجمهوريين المعتدلين في انتخابات ,١٨٧٧

٢ - مرحلة السعي للتقارب مع فرنسا (١٨٧٨ - ١٨٨٤) :

رحب بسمارك بانتصار الجمهوريين المعتدلين والليبراليين الذين يمثلون البورجوازية المحافظة التي كانت أكثر اهتماما بالمحافظة على النظام العام وحسن الإدارة المالية من المغامرات الخارجية. قال للسفير الفرنسي الجديد دوسانت فالييه: "قيل كثيرا إنني مؤيد للجمهورية في فرنسا لأني أرى فيها سببا لضعف بلادكم. والحقيقة أن الجمهورية الحكيمة والمعتدلة كجمهوريتكم الآن هي - في نظري - ضمانة للسلام، للأسر المالكة التي لا جذور لها كما هو حال تلك التي كانت لديكم".

وكان بسمارك يرى في نجاح الجمهوريين أن فرنسا لن تجد تعاطفا في سانت بطرسبورغ أو في فيينا. وكان يرى أن الجمهورية هي ضمانة السلام؛ ذلك لأن هذا النظام عاجز عن الإيحاء بالثقة للدول الأخرى. وعمل بسمارك على تشجيع الحكومة الفرنسية على المشاريع الاستعمارية التي ستحول - في رأيه - أنظار فرنسا عن الألزاس واللورين وتعطيها ترضيات في حقل عمل ليس لألمانيا مصالح مباشرة فيه. وكان يأمل في أن تصطدم فرنسا بهذه المبادرات مع مصالح بريطانيا أو مصالح إيطاليا، مما يجعل هاتين الدولتين تشعران بالحاجة إلى التقارب مع ألمانيا. كان بسمارك يفكر على هذا النحو منذ سنة ,١٨٧٥ فقد قال للسفير الألماني في باريس في بداية ١٨٧٥: "أن تسعى السياسة الفرنسية لتجد في إفريقيا الشمالية أو في المشرق التركي مجالا لنشاطها، ليس بأمر أو ميل يحارَب في نظرنا".

وليبدد بسمارك الشكوك التي كانت تخامر السياسيين الفرنسيين الذين كانوا يعيشون في خوف من ألمانيا، ويخشون أن يكون هناك فخ تنصبه مكيافيلية بسمارك، أكد للسفير الفرنسي في برلين في بداية ١٨٧٩ أن رغبته هي:

إعطاؤكم برهانا على حسن نيتي من المسائل التي تخصكم، والتي ليس فيها مصلحة ألمانية متعارضة مع مصالحكم. إن مصلحة سياستي تدفعني إلى هذا السلوك لأني كالإمبراطور الذي يرغب في أن يموت بعظمة وهدوء. أنا لا أكترث أن أرى في حياتي حربا أخرى، إني لا أرغب في ضم... وأرفض المغامرات وأتمسك بالهدوء وبالأمن المضمون بالعلاقات الودية مع جيراننا، وبخاصة معكم. هذا هو سبب كوني مستعدا لدعمكم في مشاريعكم غير المعاكسة لمصالحنا الخاصة. ولكني أكرر أني أعتقد أنه يلزم للشعب الفرنسي ترضية لكرامته. وأنا أرغب بإخلاص في أن أراها تحصل على تلك التي تسعى إليها في حوض المتوسط، مجال توسعها الطبيعي. فكل نجاح في هذه الناحية يقلل من الصعوبات بيننا والآلام التي لا أناقش شرعيتها، ولكن لدينا إمكان تهدئتها...

وعاد بسمارك في تشرين الثاني ١٨٨٠ :

بدعمكم في تونس وفي حوض المتوسط: ليس لدي مقصد خفي لتشجيعكم على مغامرات اغتنمها لمهاجمتكم واقتطاع جزء آخر من أرضكم؛ ليس لدي أفكار مكيافيلية تعزى إلى هدفي البسيط، ومصلحتي ليست معقدة. لدي الاعتقاد أن بلدا عظيما كفرنسا بحاجة لأن يحصل على إرضاءات في سياسته الخارجية. وبما أني - مع الأسف - لا أستطيع إرضاءها في مجال الألزاس واللورين، فإني أرغب في أن أرضيكم في أي مكان لا تكون فيه مصلحة ألمانيا متعارضة مع مصلحة فرنسا. وأعتقد أنكم إذا وجدتم في المتوسط ما يتجاوب مع حاجيتكم الطبيعية والمشروعة في التوسع، فإن أفكاركم ستتحول مع قليل من المرارة نحو أقاليمكم المفقودة، وسيصبح السلام والعلاقات الطيبة بيننا وبينكم أكثر أمنا وأكثر سهولة. هذا هو سر حسن النية الذي أظهره لكم دوما سواء في تونس أو في المغرب أو في مصر أو في اليونان. لا تبحثوا إذن عن أسبابي

الخفية، أحب أن أقول لكم بصراحة إني أرغب وآمل في أن أتوصل إلى تحويل أنظاركم عن متز وستراسبورغ، وذلك بمساعدتكم على أن تجددوا ترضيات في مكان آخر.

و بالرغم من أن تصريحات بسمارك للسفير الفرنسي كانت تقصد تونس وأنه لم يثر موضوع المغرب إلا عرضا، فمن المؤكد مع ذلك أن السلطة المغربية بدأت تظهر له منذ الآن مجالا خاصا بالنشاط الاستعماري. وبالرغم من أنه وصف المغرب بأنه "هند ممكن أن تصبح أكثر غنى ومجالا أكثر ربحا من الهند الإنكليزية"، فإنه قرر أن يطلق يد فرنسا هناك. وذكر شارل رو أن بسمارك كان يفكر سنة ١٨٧٩ - ١٨٨٠ في مشروع تقسيم شمالي إفريقيا: مصر لإنكلترا وليبيا لإيطاليا وتونس والمغرب لفرنسا. وفي موضوع إطلاق يد فرنسا في المغرب، حدث خلاف بين القادة العسكريين وبسمارك. كان القادة العسكريون، وعلى رأسهم مولتكه، يرغبون في تعزيز قدرات المقاومة المغربية لشغل فرنسا أطول مدة ممكنة. أما بسمارك فقد كان - على العكس - يريد أن يساعد فرنسا على تحقيق أهدافها: "لا يمكننا إلا أن نكون مسرورين إذا امتلكت فرنسا المغرب؛ فعليها الكثير مما يمكن أن تفعله هناك، وسيكون في وسعنا منحها توسعا في مجالها تعويضا عن كونها خسرت الألزاس واللورين". وكان يرى في ذلك تحويلا لاتجاهاتها العدوانية ضد ألمانيا. واتفق الطرفان أخيرا على حل وسط: ألا تعارض ألمانيا السياسة الفرنسية، ولكنها تعمل على تقوية المغرب سرا. فإذا ما شرعت فرنسا في احتلال المغرب، فستنشغل فيه لمدة طويلة؛ وإذا تخلت عن ذلك، فإنه ستضطر - في حالة قيام حرب أوربية - إلى الاحتفاظ بقوات كبيرة في الجزائر لحماية مستعمرتها من هجوم محتمل من قبل الجيش المغربي الحديث.

بالغ بسمارك في محاولة التقريب من فرنسا، ووصل إلى حد التحالف: إذا رأى أن على الدولتين الاتفاق لمجابهة إنكلترا أو تحطيم سيطرتها على البحار. وبلغ به الأمر سنة ١٨٨٢ إلى حد أنه تلفظ بكلمة "التحالف"، وذلك في مقابلة مع السفير الفرنسي بين له ضرورة إقامة ما يوازن الهيمنة البحرية الإنكليزية: "على بريطانيا العظمى أن تعتاد فكرة أن التحالف الفرنسي الألماني ليس أمرا

مستحيلا". كان هنالك شك لدى بعض السياسيين الفرنسيين في أن أهداف بسمارك هي الإيقاع بين فرنسا وانكلترا. وفي الحقيقة لم يتوقف بسمارك لحظة عن الاتصال بإنكلترا. وقد وجد مؤرخ ألماني في أوراق بسمارك في ٢ آب ١٨٨٤ أنه "ينبغي أن نسعى إلى زرع الشقاق بين فرنسا وانكلترا"، وأن بسمارك "حين كان يقدم عروضه لفرنسا، كان لا يأمل في نجاحها، بل كان يرغب في أن يثير قلق إنكلترا لدفعها للسعي للتقارب مع ألمانيا".

شجع بسمارك في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وزير الخارجية الفرنسي وارينجتون على احتلال تونس، ولكنه في الوقت نفسه عرضها على وزير الخارجية الإيطالي كورتي الذي كان حاضرا في مؤتمر برلين.

كان هذا يعني أن بسمارك يريد الاستفادة من الحلف الفرنسي الإيطالي. وفي حين رفضت إيطاليا العرض، استغلت فرنسا التأييد الألماني المقرون بالتشجيع الإنكليزي، فذهبت إلى تونس واضطرت إيطاليا إلى أن تذهب إلى برلين. ويبدو أن بسمارك أراد للمغرب أن يلعب بين فرنسا وإنكلترا الدور الذي لعبته تونس بين فرنسا وإيطاليا.

انعكس موقف بسمارك من فرنسا في أوربا على المغرب. هذا، بعد أن كانت الصلاة حميمة بين ويبر، ممثل ألمانيا، وهاي، ممثل إنكلترا، بحيث أنه حين كان ويبر يغيب عن المغرب، كان يعهد لهاي بتمثيل المصالح الألمانية. وفي موضوع الحماية، كان التعاون بين الرجلين وثيقا ضد تطرف فرنسا. ولوحظ أن ألمانيا لم تعط إسبانيا وإنكلترا جوابا عما إذا كانت ستشترك في مؤتمر مدريد حتى أعلنت فرنسا قبولها الاشتراك في هذا المؤتمر؛ وحينئذ أعلنت ألمانيا موافقتها.

وقد صرح بسمارك للسفير الفرنسي في برلين "أن لدى المندوب الألماني تعليمات بالاتفاق مع زميله الفرنسي ودعمه في المؤتمر".

ولكن المندوب الألماني في المؤتمر لم يقدم المساندة التي وعدت بها فرنسا دون تحفظ. ذلك بأنه لم يؤيد توسعا ضخما في حق الحماية، وكان هذا التحفظ نتيجة تحذير ويبر الذي كان يخشى أن يؤدي التأييد الألماني الكامل لوجهة النظر

الفرنسية إلى تدمير الجهود التي بذلها لإقامة علاقات جيدة مع المغرب، كما وقف المندوب الألماني إلى جانب الدول التي عارضت فرنسا في مسألة الوسطاء. ولكن تعليمات بسمارك الحازمة أعادته إلى صف المندوب الفرنسي وقدم له دعما مطلقا.

وغداة المؤتمر، استمر الدعم الألماني لفرنسا في المغرب بشكل واضح. فقد أكد بسمارك أكثر من مرة أنه ينظر إلى هذه المناطق وكأنها واقعة في المجال الطبيعي لنفوذها الشرعي. ودعت الصحافة الألمانية بإيعاز من بسمارك الفرنسيين إلى مد سيطرتهم على مجموع شمالي إفريقيا، وأشارت إلى أن ألمانيا لا يمكنها إلا أن تقف شاهدا مؤيدا لهذا العمل الحضاري العظيم .

وإبان ثورة (بوعمامة) في الجنوب الجزائري، حرص ويبر على البقاء بعيدا عن زعماء القبائل الذين جاءوا إلى المغرب يطلبون مساعدة السلطان. بل إنه نقل المعلومات التي أمكنه الحصول عليها عن خطط الثوار وقواتهم إلى وزارة الخارجية الفرنسية.

وفي أواخر سنة ١٨٨١، وصل لاديسلاس أورديجا وزيرا مفوضا لفرنسا في المغرب، وكان صديقا لأوجين إيتيين أحد أبرز زعماء الاستعماريين الفرنسيين، كما كان صديقا لغامبيتا، وكان يريد أن يلعب في المغرب دور "روستان" في تونس، وكان يسمي نفسه "روستان المغرب".

كان فرنسيو الجزائر يطمحون دوما إلى مد الحدود الجزائرية حتى ملوية، وجاءت ثورة بوعمامة لتعطيهم الفرصة للتحرك نحو ملوية. وفي بداية ١٨٨٢، طالبت جرائد وهران باحتلال واحة فجيج. كما نشط الحديث عن مشروع سكة حديدية عبر الصحراء تصل الجزائر بمستعمرات فرنسا في غربي إفريقيا، وذلك عبر توات. كان أورديجا متحمسا لهذه المشاريع، ولكن خروج صديقه غامبيتا من الوزارة، وتوقف الحكومة الفرنسية عن متابعة هذه المشاريع، دفعت أورديجا إلى الاندفاع في "سياسة الطرق" الصوفية التي ستسرع في تفكيك السلطة المغربية. منح شريف وزان سنة ١٨٨٤ حق الحماية، مخالفا بذلك مقررات مؤتمر مدريد.

كانت الطريقة الوزانية منتشرة في مناطق عديدة في المغرب. وبهذا العمل الذي أقبل عليه أورديجا، صار بإمكان فرنسا أن تجعل من هذه الطريقة دولة ضمن الدولة، وأن تغذي مطامع شريف وزان ليطالب بالعرش. وصار هناك – حسب تعبير صحافي في طنجة – "خطر تفجير السلطة". كتب أورديجا إلى جول فري يقول: "إنهم بانتظارنا في المغرب، وسيستقبلوننا بأذرع مفتوحة" . وفي حين وقفت إنكلترا وإسبانيا وإيطاليا ضد هذا النشاط الذي يبديه أورديجا، وضد منحه حق الحماية لشريف وزان.

ظل بسمارك على تأييده لفرنسا، بل اقترح على فرنسا التفاهم مع إسبانيا لتحديد مناطق نفوذ كل من الدولتين، وعرض خدماته لهذا الغرض. وهكذا وصل بسمارك إلى طرح فكرة تقسيم المغرب . ولكن انشغال فرنسا في التونكين، واحتمال الحرب مع الصين دعياها إلى الهدوء في المغرب، وإبعاد أورديجا من المغرب إلى بوخارست، وعادت إلى سياسة المحافظة على الوضع الراهن.

كانت إيطاليا قد انضمت إلى الحلف الألماني النمساوي سنة ١٨٨٢ لتحصل على دعم الدولتين ضد فرنسا. ولكنها لم تستطع أن تضمن المعاهدة شرطا حول المحافظة على الوضع الراهن في شمالي إفريقيا. ومع ذلك، شرعت في العمل على عرقلة النشاط الفرنسي في المغرب. لكن بسمارك لم يجارها في هذا العمل، بل كان يؤيد فرنسا تأييدا كاملا، ويتدخل في روما للضغط على إيطاليا للحد من نشاطها في المغرب. وكان ويبر متحفظا مع زميله الإيطالي. خاب أمل إيطاليا التي كانت تعتمد على دعم ألمانيا لمنع توسع فرنسي جديد في شمالي إفريقيا، كما كانت تأمل في أن يدعم الوزير الألماني المفوض زميله الإيطالي في جهوده لتقوية وضع ألمانيا في السلطة المغربية. وقد شكا الوزير الإيطالي المفوض أن التحالف الثلاثي غير موجود في المغرب. وحين اشتكت إيطاليا من سلبية ألمانيا تجاهها في المغرب وحذرت بالقول: "سيكون لإيطاليا خيبة مرة إذا حصل في المغرب تغيير لغير صالحها ودون أن تعمل شيئا لمقاومته"، لم يكترث بسمارك.

ووقف بسمارك من إسبانيا الموقف نفسه الذي وقفه من إيطاليا. كانت إسبانيا تسعى إلى تقارب مع ألمانيا، وكانت تأمل في الحصول على تأييد بسمارك

لسياستها المغربية. وحين قامت ثورة بوعمامة، خشيت إسبانيا أن تستغل فرنسا هذه الثورة للاندفاع نحو ملوية. ففكرت في الاستيلاء على العرائش وطنجة وطلبت مساعي بسمارك للحصول على موافقة إنكلترا وإيطاليا؛ ولكن بسمارك رفض، "لأن ندخل ألمانيا سيثير شكوك فرنسا ويؤذي مشاريع إسبانيا". عمل السفير الألماني في مدريد على تهدئة مخاوف الحكومة الإسبانية وفقا لتعليمات بسمارك، وكرر أن مصالح ألمانيا لن يؤذيها عمل محتمل تقوم به فرنسا، وأن ألمانيا تأمل في رؤية فرنسا "تفطن إلى التعقيدات الكبيرة في إفريقيا". ورفض بسمارك تأييد إسبانيا التي رغبت في الدعوة لعقد مؤتمر دولي يعلن سلامة الدولة المغربية، وأعلن "أن المغرب يقع خارج المصالح الألمانية السياسية".

عودة التوتر في العلاقات الفرنسية الألمانية (١٨٨٥ - ١٨٩٠):

شهدت أوربا منذ العام ١٨٨٥ أحداثا هامة كان لها تأثير كبير في العلاقات الدولية:

أ - انفجرت الأزمة البلقانية بسبب أحداث بلغارية أحدثت توترا في العلاقات النمساوية الروسية أدى إلى إنهاء اتفاق الأباطرة الثلاثة، وكاد أن يؤدي إلى تقارب روسي فرنسي لولا مهارة بسمارك.

ب - وتعكرت العلاقات الفرنسية الألمانية بعد سقوط وزارة جول فري، عقب هزيمة فرنسية في التونكين أمام الصين. وأسفرت الانتخابات عن فوز الملكيين والرادكاليين الذين علت صرختهم: "يسقط البروسيون"!. ودخل الجنرال بولانجيه في وزارة فرينيه وزيرا للحرب في آذار ١٨٨٦، وذلك بدعم من كليمنصو. كان بولانجيه طموحا دون وازع، وقد انساق وراء دعايتين كانتا تلهبان الرأي العام الفرنسي: إحداهما موجهة ضد النظام الذي فقد مصداقيته بسبب الفضائح السياسية والمالية التي وصلت حتى أسرة رئيس الجمهورية، والأخرى لصالح الانتقام من ألمانيا. كان بولانجيه يصرح بأن ليس على فرنسا أن تخشى سيدان ثانية، وبدأ في تقوية الجيش، وأصبح يسمى "جنرال الانتقام" و"معبود باريس".

ساد الاعتقاد في برلين أن فكرة الانتقام تتقدم في فرنسا بالقوة نفسها التي تتقدم بها شعبية الجنرال. فأدى هذا إلى توتر العلاقات الفرنسية الألمانية. ومنذ ربيع ١٨٨٦، بدأ الحديث عن حرب في الصيف.

سارع بسمارك إلى اتخاذ إجراءات مضادة بسرعة. ففي ألمانيا طلب من الرايخشتاغ الموافقة على اعتمادات لتقوية الجيش. رفض الرايخشتاغ؛ فحله بسمارك، واعتمد على دعاية شوفينية أدت إلى فوز أكثرية موالية له في الانتخابات صوتت على الاعتمادات. وفي الوقت نفسه، بدأ حملة دبلوماسية سنة ١٨٨٧ أسفرت عن تجديد التحالف الثلاثي الألماني النمساوي الإيطالي، بعد أن قدم تنازلات لإيطاليا في شمالي إفريقيا وفي البلقان. وشجع على قيام اتفاقات المتوسط: اتفاق إنكليزي - إيطالي موجه ضد فرنسا روسيا وانضمت إليه النمسا، ثم اتفاق إيطالي إسباني موجه ضد فرنسا. وسعى بسمارك لإبقاء روسيا بعيدة عن فرنسا بعد انهيار اتفاق الأباطرة الثلاثة بسبب الأزمة البلقانية.

وكان قد ظهر له بوادر بين الدولتين. فقد أعلن قيصر روسيا في ربيع ١١٨٨٧ أنه لن يترك ألمانيا تشوش أوربا. فإذا هوجمت فرنسا وضعفت، فإن روسيا ستعدل الميزان . نجح بسمارك في عقد معاهدة سرية مع روسيا ("معاهدة إعادة الضمان") اعترف لها مقابل حيادها في حرب دفاعية مع فرنسا بتنازلات هامة في البلقان والمضايق، وبهذا حقق بسمارك عزل فرنسا.

ج - حتى منتصف الثمانينيات، كانت دوافع بسمارك في المغرب سياسية، ولم يكن اهتمامه بتنشيط الوجود الاقتصادي الألماني في المغرب إلا لخدمة هذه السياسة. وكانت سياسة بسمارك العامة قارية وتعارض أن تباشر ألمانيا سياسة استعمارية، لأن هذا سيخلق لها مشاكل وأعداء جددا، ويتيح لعدوته فرنسا أن تجد لها حلفاء ضد ألمانيا. ولكن ألمانيا كانت قد انقلبت بعد وحدتها إلى آلة صناعية جبارة، واتجهت نحو الإنتاج الضخم لتخفض أسعار منتجاتها إلى أقصى حد كي تستطيع أن تجد لها مكانا في الأسواق العالمية. وقد ارتفع رقم تجارتها بين سنتي ١٨٨١ و ١٨٨٥ من ٦ مليارات مارك إلى ١٩٠ مليار مارك. وبدأ قسم

هام من الرأي العام الألماني تدركه حمى الاستعمار، ويدأ الضغط على بسمارك. كانت حجة الاستعماريين الألمان أن أقوى.

الدول سياسيا وعسكريا والأكثر نموا ديمغرافيا واقتصاديا، ينبغي أن تنال نصيبها في عمل تمديني؛ وأنه على الإمبراطورية الألمانية الحصول على مستعمرات يهاجر إليها أبناؤها الذين كانوا حتى الآن مكرهين على الاتجاه نحو مناطق أجنبية. ويدلا من الضياع بالآلاف عبر العالم، سيذهبون لإعمار أراض ألمانية. ولم يعد بإمكان بسمارك أن يقاوم هذا الضغط، ولكنه عمل جاهدا للابتعاد عما سماه "أعشاش الدبابير" كالبلقان والمتوسط والخليج العربي ومبدأ موثرو.

بدأ النشاط الألماني الاقتصادي في المغرب يتزايد بوتيرة متسارعة بعد مؤتمر مدريد. ففي هذا المؤتمر، حصلت ألمانيا على حقوق مماثلة لبقية الدول التي كان لها علاقات قديمة. وقد أشار بسمارك في مفكرته سنة ١٨٨٣ إلى فوائد "سياسية إفريقية اقتصادية تتابع بحذر". وأعلن ما يمكن تسميته البرنامج المغربي. فقد كتب يقول: "كل خط ملاحة تجارية جديد يحمل راية الإمبراطورية لا يمكن إلا أن ينمي التجارة، حتى لو عانى من عجز في بداية الأمر". لقد سمحت الفترة الأولى (١٨٧٣ - ١٨٨٤) لألمانيا بأن تحصل سياسيا وتجاريا على موطئ قدم لها في المغرب، وبأن تتقن المعطيات الدبلوماسية للعبة المغربية، وبأن تقيم نقاط الضعف في موقعها والتدابير اللازمة لتحسين هذا الموقع.

بدأت ألمانيا نشاطا واسعا، تجاوبا مع تحريض المستكشفين الألمان كرولفس وباناخ وأصحاب السفن (سلومان) والتجار والصناعيين (كروب). وفي بادئ الأمر، باركت حكومة الأحرار البريطانية هذا التوجه، وصرح جلادستون في مجلس العموم قائلا: "إذا أصبحت ألمانيا دولة مستعمرة، قلت لها بارك الله جهودها. إنها ستكون حليفتنا لخير الإنسانية، وسأُسرُّ بأن تصبح شريكتنا في حمل مشعل الحضارة إلى البلاد الأقل حضارة، وسنبذل لها في هذا العمل عواطفنا الطيبة وكل التشجيع الذي بإمكاننا تقديمه" .

وانعكس هذا التوجه على تعاون إنكلترا مع حلفاء ألمانيا في اتفاقات المتوسط وفي المغرب. وكان هناك تعاون وثيق بين وزراء الدولتين المفوضين وبخاصة في عهد "تستا"، الوزير المفوض. التحق "تستا" بمنصبه في طنجة بعد مروره بلندن، وحصل في طنجة على مساعدة هاي، الوزير المفوض الأنكليزي في طنجة، بتوصية من الخارجية الإنكليزية. وكان هي، أمام تزايد نشاط الوزير الفرنسي أورديجا، يفضل - كما كتب في ١٦/١٨٨٥ - أن تستولي ألمانيا على المغرب بدلا من أن تستولي عليه فرنسا. واستمر هذا التعاون بين الوزيرين بعد ذهاب هاي ومجيء وزير مفوض بريطاني جديد هو "كيربي غرين".

ولدعم النشاط الألماني في المغرب، أرسلت النمسا - التي كان الوزير المفوض البريطاني - إلى طنجة قائما بالأعمال؛ قد أعطى هذا ل"تستا" صوتا إضافيا في المجلس الدبلوماسي في طنجة. ومن الطبيعي أن يطابق ممثل النمسا موقفه مع موقف "تستا".

تميزت هذه الفترة باستئناف المفاوضات من أجل عقد معاهدة تجارية. ففي أيلول ١٨٨٥، حل البارون "شارل تستا" محل ويبر. وقد فسر هذا التعيين في طنجة بأنه علامة على توجه جديد في السياسة الألمانية. خدم تستا قبل ذلك ترجمانا في السفارة الألمانية في إستمبول، وكان يتقن اللغة العربية، ويملك خبرة جيدة بسياسة الدول الإسلامية، كما كان يملك رصيدا طيبا وعلاقات حميمة مع البلاط العثماني . وقبل أن يلتحق بعمله، أجرى مباحثات طويلة مع بسمارك. كانت مهمة "تستا" الرئيسية الحصول بسرعة على عقد معاهدة تجارية مع المغرب. وقد أعطاه بسمارك صلاحيات كاملة للعمل، واستدعى ويبر، بالرغم من تقاعده، للذهاب إلى طنجة وتقديم خبراته ل"تستا".

أبلغت الخارجية الألمانية الخارجية الإنكليزية رغبتها في الشروع فورا في المحادثات، ورغبتها في أن يتم التعاقد بسرعة. وأبدت الخارجية الألمانية رغبتها في أن تعمل الحكومتان والمفوضيتان معا. ووافق سولسبري، وذهب تستا وويبر إلى لندن لوضع مشروع معاهدة مشتركة. كان بسمارك يرغب في توسيع المبادلات الجرمانية المغربية لأسباب اقتصادية وسياسية في آن واحد. فبعد أن خاب أمله

في التقارب مع فرنسا، عاد المغرب - في نظره - وسيلة ضغط على السياسة الفرنسية بعد أن كان في الفترة السابقة وسيلة إغراء.

عمل "تستا" بالتعاون مع هاي في طنجة. وخوفا من أن تدرس فرنسا ضدهما لدى السلطان، حاولا إشراك الوزير المفوض الفرنسي معهما. لم يكن بسمارك موافقا، لأنه كان يخشى دسائس فرنسا، وطلب مسبقا موافقة الحكومة الفرنسية على المشروع الألماني الإنكليزي. لم توافقْ الحكومة الفرنسية التي كانت ترى أن نجاح المفاوضات سيشجع على خلق مصالح ألمانية في المغرب سيكون توسعها ضد مصالح فرنسا .

اصطدم "تستا" بمماطلة الحكومة المغربية ومحاولتها التفريق بين المفوضيتين الألمانية والإنكليزية، وذلك بإجراء مفاوضات منفصلة بدلا من مفاوضات مشتركة. وقد تنبه الوزيران وقدما احتجاجا مشتركا، واضطر السلطان إلى التخلي عن هذه المحاولة. حاول السلطان التذرع برغبته في إرسال سفارة إلى برلين مكلفة بتأكيد صداقة المغرب لألمانيا، ولكن "تستا" رفض هذا الطلب بموافقة بسمارك: "لا يبدو أن هذه السفارة ملائمة، ما دام توقيع المعاهدة لم يحصل". انتهت المفاوضات دون نتيجة، ووجهت ألمانيا وإنكلترا وفرنسا رسالة موحدة إلى الوزير الأعظم؛ فطالبه بالموافقة على الاتفاق التجاري المقدم. (كان مشروع المعاهدة يتضمن مكاسب للتجارة الأوربية أوسع مما كان في المعاهدات السابقة؛ وإذا ما وقع السلطان المعاهدة، فستستفيد مما جاء فيها كل الدول التي تملك حق الأمة الأكثر رعاية).

وقبل أن يجيب السلطان، أجرى استشارات واسعة مع أعيان فاس والتجار والفقهاء ورجال الدين: هل يوافق على مطالب دولة أجنبية بالسماح بتصدير الحبوب والمواشي؟ وكانت هذه أبرز نقاط الخلاف. وكان الجواب على العموم سلبيا. والحق أن السلطان كان يرفض التنازل عن الامتيازات التجارية التي كانت تطالب بها ألمانيا مدعومة من إنجلترا أو فرنسا دون مقابل، في الوقت الذي كان يسعى فيه لعقد مؤتمر لمراجعة ميثاق مدريد بخصوص الحماية.كان يريد تقديم تنازلات في التجارة مقابل تنازلات في مسألة الحماية.

وبالرغم من أن الحكومة الألمانية كانت ترغب في الوصول إلى اتفاق، فإنها لم تخرج عن تحفظها طيلة المباحثات، ولم تغير مصلحة التجار الألمان المتزايدة في عقد معاهدة تجارة مع المغرب في موقف بسمارك. كان هدفه الحصول على النفوذ وتوثيق العلاقات مع الحكومة المغربية. وهذا يتطلب تجنب أي ضغط من شأنه أن يستفز السلطان.

سبب سلوك تستا المتعالي ولهجته المتغطرسة استياء المخزن. وجاء حادث السفينة الألمانية غوتروب ليزيد في هذا الاستياء. فقد قامت هذه السفينة، وعليها نماذج من البضائع الألمانية، برحلة إلى المغرب بصفتها معرضا متنقلا وزارت عددا من الموانئ المغربية المفتوحة للتجارة. لكنها فشلت في النزول في وادي نون وهي منطقة محرمة، وهبت عاصفة وأسر المغاربة قادة المشروع وعلى رأسهم الدكتور ياناخ وقادوهم إلى السلطان. أرسل السلطان مذكرة احتجاج إلى السلك الدبلوماسي ضد رسو سفن أجنبية في غير الموانئ المفتوحة للتجارة. وزاد في استياء السلطان رسائل تستا التي تطالب بتحرير ياناخ بأسلوب فظ. أسرع بسمارك بعزل تستا.

ظل بسمارك حريصا على موضوع المعاهدة. وكي يظهر للسلطان خيبة أمله المريرة، دعا الإمبراطور إلى الرد على طلب السلطان في ١٥ آيار ١٨٨٧ إرسال سفارة مغربية إلى ألمانيا، بأن لن يستقبل إلا سفارة مكلفة بعقد معاهدة تجارة. وحين اقترح السلطان في آب ١٨٨٧ عقد مؤتمر دولي لوضع حد لمفاسد الحماية، أبدى بسمارك على الفور موافقته من حيث المبدأ. ولكنه أعلم السلطان أن إقرار نتائج المؤتمر لا يمكن أن تتم إلا بعد منح الحكومة المغربية فوائد تجارية.

لوحظ في هذه الفترة أنه بالرغم من حاجة الطرفين إلى بعضهما، فإن كليهما كان متحفظا في علاقاته بالآخر. فالسلطان لم يستجب لمطلب ألمانيا بعقد معاهدة تجارية، وبسمارك لم يندفع في تأييده للسلطان أمام تحرشات الفرنسيين على الحدود الجزائرية المغربية وفي الواحات. وبالرغم من حالة التوتر في العلاقات الفرنسية الألمانية، فإن بسمارك كان حريصا جدا في سياسته المغربية. ففي صيف ١٨٨٦ ، لقي فاجنر مندوب كروب استقبالا حارا،

وأسر له آل بركاش، وهم من الميالين للتعاون مع ألمانيا وعلاقتهم جيدة مع المفوضية الألمانية، أن السلطان يملأ صدره الشك من فرنسا و إسبانيا، وهو يرغب في توثيق علاقات الصداقة مع الإمبراطور غليوم، وأن تعاونا عسكريا يمكن أن يقوم بين الدولتين: تعيد ألمانيا تنظيم الجيش المغربي وتزوده بالسلاح، ويتعهد المغرب بجعل الفرنسيين عبر هجوميين في الجزائر إذا نشبت حرب في أوربا.

وفي مقابلات فاجنر في الخارجية الألمانية، ثم في رسالة تلتها مذكرة وجهها إلى بسمارك ومولتكه، طور فاجنر هذا الإمكان، فقال: "إن جيشا مغربيا حسن التنظيم يحيط بالحدود الجزائرية سيكون أهم لنا من فرقة إسبانية وراء البيرنية. وسيجمع السلطان قواته ليهاجم المستعمرة الفرنسية، وسيثير نفوذه الديني كل شمالي إفريقيا: "ثورة في الجزائر وأخرى في تونس". ولما كان السلطان سيصل قريبا إلى الرباط، نصح فاجنر إرسال "تستا" إلى الرباط بكل سرعة مع أسطول لتحية السلطان بطلقات مدفعية : "إن ضجيج المدافع الألمانية سيسمع في الجزائر وتونس". ولكن بسمارك رفض سلوك هذا الطريق ولم يكترث لعروض بركاش. ففي رأيه أن التوتر مع فرنسا لم يكن يتطلب تعاونا عسكريا وثيقا ولا استعراضيا، بل يتطلب حذرا شديدا.

أيد بسمارك عقد مؤتمر مدريد ثانٍ لإعادة النظر في مسألة الحماية دعت إليه إسبانيا، ولكن المحاولة فشلت بسبب رفض فرنسا واختلاف وجهات نظر إنكلترا وإسبانيا وإيطاليا. وقد سبب هذا خيبة أمل شديدة للسلطان الحسن، وبدا له أن توثيق العلاقات مع ألمانيا بات ضروريا. توجهت بعثة مغربية وعلى رأسها حاكم الشاوية بن رشيد لتهنئة الإمبراطور غليوم الثاني على جلوسه على العرش. وصلت البعثة إلى ألمانيا في ٢٩ كانون الثاني ١٨٨٩ واستقبلت رسميا في ٦ شباط، وكانت موضع تكريم خاص. فقد زارت شخصيات ألمانية كبيرة رئيس السفارة ، كما كان استقبال الإمبراطور لها رائعا. مهد ذلك للوزير المفوض الألماني تاتنباخ ليستأنف المفاوضات من أجل معاهدة تجارة ونجح في عقد المعاهدة سنة ١٨٩٠ تضمنت شروطا أفضل من معاهدة سنة ١٨٥٦ مع إنكلترا.

محاولة ألمانيا إقامة علاقات دبلوماسية تركية مغربية :

كان النفوذ الألماني في الثمانينيات في القرن التاسع عشر في تركية، وكان ل"تستا" علاقات وثيقة مع المسؤولين الأتراك، سعى لاستخدامها في إقامة علاقات دبلوماسية بين الحكومتين الإسلاميتين. لم يكن "تستا" أول من فكر في هذا المشروع: فقد كانت هناك محاولات سابقة لإقامة هذه العلاقات بمبادرة من الباب العالي سنة ١٨٧٧ كما يقول مييج، ومن السلطان الحسن كما يدعي إسماعيل سرهنك. ثم جدد السلطان عبد الحميد المحاولة بوساطة بريطانية سنة ١٨٧٩، وكانت علاقته بها آنذاك جيدة بسبب وقوفها إلى جانبه في صد التقدم الروسي نحو المضايق، وفي تحجيم مكاسب روسيا في معاهدة سان استفانو. قام الوزير المفوض الإنكليزي "هاي" بمساع لدى المخزن، وكان يرى في هذا التقارب ضربة لمحاولة ألمانيا إرسال بعثة عسكرية إلى المغرب كان ويبر يسعى إليها، وفي الوقت نفسه ليحول دون تنفيذ السلطان الحسن وعده للوزير الفرنسي يقبول بعثة عسكرية فرنسية لتدريب جيشه. لكن مساعي هاي لم تنجح. فقد امتنع السلطان عن الاستجابة لأسباب مالية لم يقتنع بها هاي، بل عزاها لأسباب تتعلق بالجفاء التقليدي بين الدولتين، وادعاء كل من السلطانين بأحقيته بالخلافة.

وتجددت المحاولة بعد احتلال فرنسا تونس، إذ لعب الوزير المفوض الإيطالي سكوفاسو دور المحرض سنة ١٨٨١. كتب سكوفاسو إلى الكونت جريبي وزير إيطاليا المفوض في مدريد قائلا: "بإمكاني أن أسأل الوزير الأعظم لمعرفة هل السلطان مستعد لإرسال سفارة فوق العادة إلى إستنبول... إني أعتقد أن حدوث تعاون بين الدولتين المسلمتين سيكون سياسة جيدة إلى حد ما، ذلك لأنه يجب تجربة كل الوسائل الممكنة لمنع هذه السلطة من الانهيار أو من السقوط تحت حماية فرنسا كما في تونس.

وكرر سكوفاسو المحاولة سنة ١٨٨٢ وسنة ١٨٨٣، وشجعت إسبانيا هذه المحاولات كذلك سنة ١٨٨٤ حتى سنة ١٨٨٥، كان مشروع إقامة علاقات بين الدولة العثمانية والمغرب يمر عبر قنوات دبلوماسية بريطانية وإيطالية وإسبانية.

ولكن منذ العام ١٨٨٥، تسلم الألمان زمام المبادرة لتحقيق هذا المشروع. ولم يكن دور بسمارك واضحا في هذا الموضوع. قيل إنه كان حريصا على ألا يضعف مركز السلطان عبد الحميد بعد سقوط تونس ومصر بأيدي فرنسا وإنكلترا. كما كان يريد استخدام نفوذ عبد الحميد بصفته حليفا وزعيما للجامعة الإسلامية لصالح مشاريعه الاستعمارية في إفريقيا. وكان الاعتقاد سائدا أن وزير مفوضا عثمانيا في طنجة سيديم السياسة الألمانية في المغرب، وسيكون عميلا طيعا لسياستها. فبصفته مسلما، سيكون موضع ثقة المخزن وسيحصل على موافقة المخزن على الاقتراحات التي توجهها الحكومة الألمانية: " إن وزيرا عثمانيا يساوي وزيرين".

لعبت ألمانيا دور الوسيط بين تركيا والمغرب. ففي بداية ١٨٨٦، أثار الصدر الأعظم أمام "رادويتز"، السفير الألماني في إستنبول، مشروع افتتاح مفوضية تركية في طنجة، وتساءل هل بإمكان الوزير الألماني أن يكون وسيطا. حين أعلم رادويتز بسمارك برغبة الباب العالي، أعطى موافقته وكلف تستا بأن يجس نبض الحكومة المغربية. ولكن المحاولة لم تثمر.

كرر الصدر الأعظم المحاولة مع السفير الألماني، وبين له أن الحكومة التركية تعلق أهمية كبيرة على إقامة علاقات مع المغرب. نصح بسمارك الحكومة التركية بالقيام بالخطوة الأولى وإرسال رسالة إلى وزير الخارجية المغربية يطلب فيها إقامة مفوضية تركية، وسينقل ممثل ألمانيا الرسالة إلى الحكومة المغربية.

وبالفعل، قام "سالديرن"، القائم بالأعمال الألماني في طنجة، والذي حل محل تستا، بنقل الرسالة التركية إلى الجانب المغربي. يورد ابن زيدان نص الرسالة وفيها وصف الحكومة المغربية ب »حكومة فاس" والسلطان المغربي ب »حكمدار فاس". وكان هذا كافيا لأن يرفض السلطان الحسن الطلب العثماني.

اكتفت الحكومة المغربية في بادئ الأمر بتجاهل الرسالة والامتناع عن الرد. اتصل الوزير الألماني الجديد ترافرس بوزير الخارجية المغربي: "إن صمت الحكومة الطويل هذا لا يتجاوب مع حسن العلاقات بي بلدينا". تحجج الوزير المغربي تارة بمرض السلطان، وتارة بانشغال السلطان بحملة على السوس. قرر

بسمارك إرسال منصور ملحم إلى مكناس ليتصل مباشرة بالسلطان. أكد منصور ملحم للسلطان أنه إذا قبل وجود مفوضية تركية، فإن تركيا ستساند المغرب في المؤتمر. لم تثمر هذه المحاولة وجاء الرد المغربي رفضا مهذبا.

ويعزى هذا الرفض إلى الخلاف التقليدي بين حكام تركيا والمغرب في موضوع الخلافة، وتعالي السلطان العثماني في مخاطبة السلطان المغربي ب «حكمدار فاس».

كما لعب الوزير المفوض الفرنسي دورا هاما في تحريض السلطان الحسن على الرفض. شارك الوزير الفرنسي وزراء إنكلترا وإيطاليا وإسبانيا المفوضين، بالرغم من أن حكوماتهم كانت تؤيد المشروع. كان هؤلاء الوزراء المفوضون يخشون أن يؤدي وجود مفوضية تركية بواسطة ألمانيا إلى تعزيز مركز ألمانيا. وحين علم بسمارك أن الوزير الأنكليزي المفوض كيربي غرين يؤيد الوزير الفرنسي، كلف سفيره في لندن بأن يعرب عن دهشة الحكومة الألمانية. استنكر سولسبري موقف وزيره المفوض قائلا: "إن لإنكلترا مصلحة تامة في دعم مشروع الباب العالي" .

ولا شك أن في تردد السلطان الحسن وتأخره في الجواب يعود إلى خشيته إغضاب ألمانيا التي لا غنى عن تأييدها لتحقيق مشروع المؤتمر الدولي. وبرر الوزير المغربي سبب رفض العلاقات مع تركيا قائلا: "إن الوقت والحال لم يقتضيا ما أشرتم إليه لعلل شرحت للترجمان المذكور (منصور ملحم) وبينت له تبيانا كافيا؛ وأهل مكة أدرى بشعابها" . كما يقول المثل.

ويرى جيلين أن بسمارك لم يكن متحمسا لهذا المشروع، لأنه كان يعلم عداء المغاربة لتركيا، وأن أغلب الحكومات الأوربية لا تشجع هذا المشروع.

كما أن بسمارك لم يكن يرغب - في هذه الظروف الحرجة التي تمر بها العلاقات الفرنسية الألمانية منذ صعود الحركة البولانجية في أن يتخذ مواقف تزيد التوتر بين البلدين. كما أنه من أجل نجاح سياسة الاتفاقات المتوسطية، كان عليه أن يتجنب كل ما يمكن أن يثير شكوك إنكلترا وإسبانيا وإيطاليا.

وتفسر هذه الاعتبارات - دون شك - الحذر الذي أظهره في هذه القضية

كلها. وإذا كان قد أظهر بعض الإصرار، فينبغي أن نفتش عن السبب في صراع النفوذ بين فرنسا وألمانيا لدى السلطان عبد الحميد. كان بسمارك يخشى أن تستغل فرنسا نجاحها برفض الطلب التركي وتضخيم هذا النجاح في إستمبول، وتصويره نصرا دبلوماسيا على ألمانيا، وعلى النفوذ الكبير الذي تملكه في البلاد الإسلامية. وستكون نتيجة ذلك محزنة، لمركز ألمانيا في تركية.

ومنذ أن رفض السلطان الحسن طلب السلطان عبد الحميد، لم يعد بسمارك يكترث لهذه المسألة. وتلقت الحكومة العثمانية نصيحة بالتوجه إلى لندن وروما: "على الحكومة التركية التوجه نحو هاتين الدولتين اللتين لهما في المتوسط مصالح أكثر أهمية وأكثر مباشرة مما لنا". وحين كررت تركية المحاولة، لم ترغب ألمانيا في أن تزج بنفسها في هذه المسألة قبل التأكد من مساندة أنكلترا وإيطاليا. سأل بسمارك سولسبري هل يرغب في إقامة علاقات بين تركية والمغرب، وهل ستدعم المفوضية الإنكليزية سلبا: "إن مولاي الحسن يظهر عداء لتركية، ومبادرات الباب العالي لا يمكن إلا أن تدفعه إلى أحضان فرنسا أو إسبانيا". وبرر الوزير المفوض الإنكليزي معارضته بأن فرنسا ستسعى حينئذ لفتح مفوضية روسية... كما أنه ليس هناك أي تركي في المغرب، ولن يفعل ممثل تركية سوى المتاجرة بالحماية. وبررت إيطاليا رفضها بالحجج نفسها. وبعد ذلك، أخطر بسمارك السلطان عبد الحميد بأن مشاريعه ليس لها أي حظ في النجاح، ورفض التوسط.

حين استقال بسمارك سنة ١٨٩٠ كان مركز ألمانيا في المغرب قد ترسخ اقتصاديا وسياسيا. فقد حصلت في مؤتمر مدريد على حقوق مماثلة للدول الأخرى كفرنسا وإنكلترا وإسبانيا، وأعطى المؤتمر ألمانيا – منذ الآن – الحق في أن تكون لها كلمة في المسألة المغربية. كما نجح بسمارك في تمهيد الطريق أمام التجارة والصناعة الألمانية، واكتسب لألمانيا مركزا متفوقا في البلاط المغربي. وفي الأزمات اللاحقة، كأزمة توات سنة ١٨٩٩ والأزمة المغربية سنة ١٩٠٥، كانت أنظار المغاربة تتجه نحو ألمانيا منتظرين الخلاص على أيديها. وستستمر الدبلوماسية الألمانية – بالرغم من اندفاع ألمانيا في السياسة الاستعمارية – في اعتبار المغرب ورقة ضغط وإغراء ومساومة.

من هو بسمارك :

رجل دوله من الطراز الأول لعبت أفكاره وطموحاته في توحيد بلاده ألمانيا تحت علم واحد وفكر واحدمما جعلها في مصاف الدول العالمية.......

أوتو إدوارد ليوبولد فون بسمارك (١٨١٥- ١٨٩٨) هو رجل دولة وسياسي ألماني في القرن التاسع عشر شغل منصب رئيس وزراء بروسيا من عام ١٨٦٢ حتى عام ١٨٩٠. وكان أيضا مستشار الاتحاد الشمالي الألماني.

من أبرز أعماله توحيد الولايات الألمانية في مملكة واحدة سميت "المملكة الألمانية" أو "الرايخ الألماني الثاني" والذي كان أول مستشار له بعد قيامه في عام ١٨٧١, اشتهر بسمارك بلقب "المستشار الحديدي". لعب بسمارك دوراً هاماً حين كان مستشارا للرايخ الألماني وأثرت أفكاره على السياسة الداخلية والخارجية لألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر.

تلقى بسمارك تعليمه في مدرستي فريدريش فيلهلم وجراوس كلوستر الثانويتين.

وحين بلغ سن السابعة عشرة التحق بجامعة جيورج أوجوست في جوتنجن حيث قضى عاما فقط انضم خلالها إلى فيلق هانوفيرا, ثم انتقل إلى جامعة فريدريش فيلهلم في برلين.

وعلى الرغم من أن بسمارك كان يطمح إلى أن يصبح دبلوماسيا إلا أنه كان ليقنع بمناصب إدارية صغيرة في آخن وبوتسدام. تزوج بسمارك من يوهانا فون بوتكامر (١٨٢٤- ١٨٩٤) والتي تنحدر من عائلة نبيلة في عام ,١٨٤٧ وكان الاثنان يعتنقان اللوثرية التقوية.

وقد أثمر زواجهما عن طفلة هي ماري وولدين هما هربرت وفيلهلم, ماتوا جميعا في مقتبل العمر.

بداية حياته السياسية :

في العام الذي تزوج فيه بسمارك اختير ليكون نائبا في المجلس التشريعي

الجديد "مجلس الشورى الموحد". وهناك اكتسب شهرة كمناصر للمكلية وكسياسي محنك. وكان يدافع في كل مناسبة عن فكرة أن الملك لديه الحق الإلهي في الوجود.

وحين اندلعت الثورة في بروسيا مارس ١٨٤٨وكانت هذه الثورة إحدى الثورات الشعبية التي اجتاحت أوروبا في ذلك العام وكادت الثورة أن تسقط الملك فريدريش فيلهلم الرابع. ورغم أنه رفض في البداية اللجوء إلى القوة العسكرية لقمع المتمردين وإخماد نيران الثورة إلا أنه قرر في النهاية استخدامها لإنهاء الثورة قبل استفحالها. وبعد نجاحه في إخمادها وجه وعوده إلى الحركة الليبرالية بإقرار دستور يعترف بوحدة الشعب الألماني وحقه في إنشاء دولة متحدة, وعين أحد الليبراليين وهو لودولف كام ، رئيسا لوزراء بروسيا.

في محاولة منه لاكتساب بعض الشعبية. غير أن الحركة الليبرالية التي قادت الثورة ما لبثت أن ضعفت في أقل من عام بسبب تنافسهم الداخلي فعاد المحافظون إلى الحكم مرة أخرى, حين نجحوا في اكتساب دعم الملك. ورغم أن الدستور أقر إلا أنه لم يفي بالمطالب الدنيا للثوريين.

وفي عام ١٨٤٩ انتخب بسمارك لعضوية مجلس الشورى, وهو أحد غرفتي المجلس التشريعي البروسي. وفي هذه المرحلة من حياته السياسية كان بسمارك يعارض الوحدة الألمانية بحجة ان بروسيا سوف تفقد استقلالها في ذلك الاتحاد. وقد قبل تعيينه كأحد النواب في برلمان إرفورت وهو برلمان اجتمعت فيه عدة إمارات ألمانية لمناقشة مشروع الوحدة الألمانية إلا ان البرلمان فشل في صياغة هذا المشروع لغياب دعم أهم مملكتين ألمانيتين وهما بروسيا والنمسا.

وفي عام ١٨٥١ عينه فريدريش فيلهلم مبعوثا إلى مجلس الاتحاد الألماني في فرانكفورت. وقد تميزت فترة الثماني سنوات التي قضاها في فرانكفورت بتغيرات هامة في آرائه السياسية. فقد تخلص من تأثيره أصدقائه المحافظين, وأصبح أكثرا اعتدالا سياسيا. وأصبح يؤمن بأن بروسيا يجب ان تتحد مع الإمارات اللمانية الأخرى لمواجهة خط النفوذ النمساوي المتزايد وهكذا ترسخ لديه الايمان بأمة ألمانية متحدة.

في عـام ١٨٥٨ أصيب الملك فـريدريش فـيلهلم بصدمـة تسـبـبت له بالـشلل والعجز العقلي فتولى أخوه الأمير فيلهلم الوصاية على العرش وتولي إدارة شؤون الحكم في مملكة بروسـيـا. ومـا لبث فيلهلم ان استبدل بسـمـارك كـمبعـوث في فـرانكفورت، وعين سفيـرا لبـروسـيا فـي الإمبـراطورية الروسـيـة. وكان تلك نقطة هـامة في حياة بسمارك السياسية. حيث كانت روسيا أحد أهم جارتين سياسيتين لبـروسـيـا (وكـانت الأخـرى هي النمسـا). وقد عين الأمـيـر فـيلهلم الوصـي على العـرش، هلمـوت فـون مـولتكه رئيـسـا جـديدا للأركـان في الجـيـش البـروسي وألبريشت فون رون وزيرا للحرب وأكل إليه مهمة إعادة تنظيم الجيش.

وكـان هؤلاء الثـلاثة هم من سـاهمـوا في تحـول بروسـيـا في السنوات الاثنتى عشرة التالية.

بقي بسـمـارك في سانت بطرسبـورج لأربع سنوات، ربطت الصـداقـة خـلالهـا بينه وبـين الأمـيـر جورتـشـاكـوف الذي سـيكون خـصـمـه في المسـتـقـبل. وفي يونيـو ١٨٦٢ أرسل إلى باريس ليكون سفيـرا لبـروسـيـا في فـرنسـا. وبرغم بقـاءه الطويل خـارج ألمانيا إلا انه لم ينفصل تماما عن الشؤون الداخلية الألمانية فقد ظل على اطلاع كامل بسبب صداقته مع رون وزير الحرب، وقد شكل الاثنان حلفا سياسيا قويا.

رئيس وزراء بروسيا :

توج الأمـيـر فـيلهـلم الوصي على العـرش، ملكا على بـروسـيـا ولقـب ب "الملك فـيلهلم الأول" بعـد وفـاة أخـيـه في عـام ، ١٨٦١ وكـان الملك الجـديد في خـلاف متـزايد مع المجلس البـروسي الليـبـرالي وقـد تفـاقـمت الأزمة في عـام ١٨٦٢ إثر رفض المجلس الموافقـة على ميزانيـة إعـادة تنظيم الجيش. لم يستطع وزراء الملك إقناع النواب بتمرير الميزانيـة، ولم يكن الملك على استعداد لإعطاء تنازلات. آمن فيلهلم بـأن بسـمـارك هـو الشـخص الوحيد الذي يستطيع معـالجـة الأزمة. وحين أجمع مجلس النواب في سـبـتمبـر ١٨٦٢على رفض الميـزانيـة المقدمـة، قرر فـيلهلم استدعاء بسمارك إلى بروسيا بناء على نصيحة من رون.

وفي الثالث والعشرين من سبتمبر ١٨٦٢ عين فيلهلم بسمارك رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية. كان بسمارك عازما على المحافظة على هيبة الملك بإنهائه الخلاف حول الميزانية لصالح الملك حتى لو اضطر إلى استخدام وسائل غير دستورية. وكانت وجهة نظره أن الدستور لم يفصل في حالة ما إذا فشل النواب في إقرار الميزانية وعليه فإن ميزانية العام الماضي تظل سارية. وعليه فبناء على ميزانية عام ١٨١٦ فإن جمع الضرائب سيستمر لأربعة سنوات.

وتصعدت حدة الخلاف بين المجلس وبسمارك في السنوات التالية. ففي عام ١٨٦٣ أصدر مجلس النواب قرارا يقولون فيه بعدم شرعية بقاء بسمارك في منصبه وفي المقابل رد الملك بحل المجلس متهما إياه بمحاولة السيطرة الغير دستورية على الوزارة. ثم قرر بسمارك فرض الرقابة على الصحافة وقد لقي هذا القرار معارضة علنية من ولي العهد الأمير فريدريش فيلهلم الذي أصبح فيما بعد الملك فريدريش الثالث. وبرغم الانتقادات العديدة ظل بسمارك سياسيا عديم الشعبية.

وقد سقط مؤيدوه في انتخابات أكتوبر ١٨٦٣, التي فاز فيها الائتلاف الليبرالي (الذي يقوده حزب التقدم) بأكثر من ثلثي مقاعد المجلس. وقد طالب المجلس مرارا الملك فيلهلم الأول بإقالة بسمارك. إلا أن الملك ظل على تأييده له، خوفا منه بأن يحل محل وزارة بسمارك وزارة ليبرالية.

الوحدة الألمانية :

كانت ألمانيا تتكون من العديد من الإمارات المتفرقة. قرر بسمارك استخدام الدبلوماسية والعسكرية البروسية لتحقيق الوحدة واستثني النمسا من الاتحاد لرغبته في أن تكون بروسيا هي أقوى الأعضاء وأكثرهم نفوذا في الأمة المتحدة الجديدة. واجه بسمارك أزمة دبلوماسية حين مات فريدريك الرابع ملك الدنمارك في نوفمبر عام ١٨٦٣.

فقد نشأ نزاع حول تبعية دوقيتي شليزفيج وهولشتاين بين كريستيان الرابع

(وريث الملك فريدريك الرابع) ملك الدنمارك, وبين فريدريش فون أوّجوستنبورج (وهو دوق ألماني).

وكان الرأى العام البروسي يؤيد تبعية الوقيتين للدوق الألماني. غير أن بسمارك اتخذ خطوة غير شعبية بإصراره على تبعية الدوقتين للدنمارك بموجب بروتوكول لندن الموقع قبل عشر سنوات غير أنه عاد فأعلن رفضه لضم الدنمارك للدوقيتين.

وبدعم من النمسا أرسل قرره النهائي إلى كريستيان بضرورة إعادة الدوقيتين إلى الوضع الذي كانت عليه من قبل. وحين رفضت الدنمارك القرار, قررت بروسيا والنمسا شن الحرب على الدنمارك "حرب شليزفيج الثانية" وأجبرت الدنمارك على التنازل عن كلتا الدوقيتين.

وفي الأساس فقد اقترح أن يقرر مجلس الاتحاد الألماني (الذي يمثل كل الإمارات الألمانية) بشأن مصير الدوقيتين.ولكن قبل أن يحدث هذا أقنع بسمارك النمسا بالموافقة على معاهدة "جاستاين".وبموجب هذه الاتفاقية الموقعة في ٢٠ أغسطس ١٨٦٥ ، تذهب شليزفيج إلى بروسيا وتذهب هولشتاين إلى النمسا.وفي هذا العام منح بسمارك لقب "أمير فون بسمارك - شونهاوّزن".

لكن في عام ١٨٦٦ خالفت النمسا الاتفاق السابق وذلك بمطالبتها بأن يقرر المجلس مصير شليزفيج وهولشتاين. فاستغل بسمارك ذلك ذريعة لبدء حرب ضد النمسا, باتهام النمساويين بأن أخلوا باتفاقية جاستاين. وأرسل بسمارك القوات البروسية لاحتلال هولشتاين. وسرعان ما طلبت النمسا مساعدة باقي الإمارات الألمانية التي لبت هذا الطلب وخاضت الحرب البروسية النمساوية. وبفضل إعادة تنظيم الجيش البروسي الذي قام به ألبريشت فون رون فإن قوة الجيش البروسي كانت تضاهي قوة الجيش النمساوي. وقد شكل بسمارك حلفا سريا مع إيطاليا, التي كانت تطمع في السيطرة على "فينيتيا" التي كانت خاضعة للسيطرة النمساوية. وبدخول إيطاليا الحرب اضطرت النمسا إلى تقسيم قواتها

لمواجهة الجيش البروسي من جهة, والجيش الإيطالي من جهة أخرى، هزمت بروسيا النمسا وحلفائها هزيمة ساحقة في معركة كونيجريتس.

ونتيجة لصلح براج الذي عقد في عام ١٨٦٦، فقد حل الاتحاد الألماني وضمت بروسيا إليها شليزفيج وهولشتاين وفرانكفورت وهانوفر وهيسه - كاسل وناساوّ وتعهدت النمسا بعدم التدخل في الشئون الداخلية الألمانية. ولتعزيز السيطرة البروسية, فقد انضمت بروسيا إمارت شمال ألمانيا الأخرى لتكوين ما سمي "بالاتحاد الألماني الشمالي" في عام ١٨٦٧ وترأسه فيلهلم الأول وشغل بسمارك فيه منصب المستشار.

ومنذ هذه النقطة بدأ ما يسميه المؤرخون "بؤس النمسا", والتي شكلت فيه النمسا دولة ضئيلة بالنسبة لجارتها المتفوقة ألمانيا, وظلت هذه العلاقة بين النمسا وألمانيا حتى أثناء الحربين العالميتين. أكسب النصر العسكري دعما سياسيا ضخما لبسمارك في بروسيا.

ففي انتخابات مجلس النواب في عام ١٨٦٦ تكبد الليبراليون خسارة فادحة, حيث خسروا أغلبيتهم الكبيرة. وكان البرلمان الجديد المكون في أغلبيته من المحافظين يمثل ظلا لبسمارك فقد وافق بطلب منه على الميزانية التي رفضت في الأعوام الأربع السابقة, ونفذت رغم ذلك. ومنذ ذلك الوقت وبسمارك يعتبر واحدا من أبرز السياسيين في التاريخ. وبعد حرب عام ١٨٦٦ ضم بسمارك مملكة هانوفر التي تحالفت مع النمسا ضد بروسيا. وقد سعى الملك المعزول جورج الرابع ملك هانوفر إلى التوصل إلى اتفاق يمنحه الحق بالاحتفاظ بنصف ممتلكات التاج ويكون النصف الآخر ملك للدولة ثم يتحول إلى مكتسبات وطنية.

لكن بسمارك اتهمه بالتخطيط للانقلاب ضد الدولة وقلص نصيبه من ممتلكات التاج إلى ١٦ بالمائة وكان ذلك في ربيع عام ,١٨٦٨ وقد استخدم بسمارك هذا المال لإنشاء صندوق سري (عرف بصندوق المخبرين الوقحين) والذي استخدمه لرشوة الصحفيين ولتشويه سمعة خصومه السياسيين. واستخدم هذه الأموال في عام ١٨٧٠ لكسب تأييد الملك لودفيج الثاني ملك

بافاريا لجعل فيلهلم الأول إمبراطورا لألمانيا. واستخدم بسمارك هذه الأموال أيضا لزرع المخبرين داخل حاشية قصر ولي العهد الأمير فريدريش والأميرة فيكتوريا وفي بث الأخبار الملفقة في الصحف تتهم الاثنين بأنهما عميلان بريطانيان يشيان بأخبار الدولة إلى الحكومة البريطانية.

وكان فريدريش وفيكتوريا معجبان بالأمير ألبرت أمير ساكسكوبورج وجوتا وكان يخططان للحكم كرفيفين مثل ألبرت والملكة فيكتوريا، ولإعادة تنظيم السلطة التنفيذية التي كان بسمارك يهدف للسيطرة عليها. وكان مكتب المستشار المسئول أمام الملك سيستبدل بوزارة على الطريقة البريطانية مكونة من وزراء يكونون مسئولين أمام الرايخستاج. وكانت سياسة الحكومة ستكون معتمدة على إجماع الوزراء. وفيما بعد حين اعتلى فيلهلم الثاني العرش خطط بسمارك لتشويه سمعة والديه لفصله عنهما ولوضعه تحت سيطرته.

وكان ينوي استخدامه كسلاح ضد والديه لكي يحتفظ بقوته الخاصة. كما كان بسمارك سيدرب فيلهلم ليتمرد عليمها وسيعلمه أن يكون عاصيا لهما. ونتيجة لذلك نشأت علاقة غير طبيعية لفيلهلم مع والده وخاصة مع أمه. وفي عام ١٨٩٢ بعد عزل بسمارك أوقف القيصر فيلهلم الثاني هذا الصندوق وفساده بالتخلي عن دفع الرواتب الإضافية في الميزانية الرسمية.

تأسيس الإمبراطورية الألمانية:

أدى انتصار بروسيا على النمسا إلى زيادة التوتر بينها وبين فرنسا. وكان الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث يخشى من أن قوة ألمانيا ستؤدي إلى قلب ميزان القوى في أوروبا. ولم يكن بسمارك في الوقت نفسه يخشى من خوض حرب ضد فرنسا؛ فقد كان يؤمن أن الحرب معها ستؤدي إلى توحيد الإمارات الألمانية خلف قيادة ملك بروسيا. ولم ينقص لإشعال هذه الحرب إلا شرارة صغيرة. وقد حدث، ففي عام ١٨٧٠ عرض على الأمير ليوبولد أمير هوهنتسولرن وزيجمارينجن أن يعتلي العرش الإسباني الذي كان قد شغر منذ ثورة عام ١٨٦٨ في إسبانيا. عارضت فرنسا الترشيح وطالبت بضمانات لكى لا يعتلي أحد من آل هوهنتسولرن العرش الإسباني. ولدفع فرنسا إلى إعلان الحرب

على بروسيا. تعمد بسمارك في الرابع عشر من يوليو (وهو يوم الباستيل العيد القومي للفرنسيين) نشر الحوار بين الملك فيلهلم والسفير الفرنسي في بروسيا الكونت بنيديتي، بطريقة مهينة لفرنسا.



حشدت فرنسا جيوشها وأعلنت الحرب في التاسع عشر من يوليو (أي بعد خمسة أيام). فبدت بمظهر المعتدي أمام الأمراء والملوك الألمان. فاندفعوا بنداء الوطنية والقومية إلى الاتحاد والتحالف مع بروسيا؛ حتى إن عائلة بسمارك دفعت بابنيها للاشتراك في سلاح الفرسان.

وكانت الحرب الفرنسية البروسية في عام ١٨٧٠ نصرا كبيرا لبروسيا. وتوالت انتصارات الجيش الألماني بقيادة الصقر هيلموت فون مولتكه انتصارا بعد انتصار. ووقعت المعارك الرئيسية في شهر واحد (بين ٧ أغسطس و١ سبتمبر)، وهزمت فرنسا فيها كلها. وأبرز ما ميز هذه الحرب هو التنظيم البارع على الجانب البروسي والاضطراب الكبير على الجانب الفرنسي.

وفي النهاية اضطرت فرنسا إلى التنازل عن الإلزاس وجزء من اللورين. لأن مولتكه وجنرالاته كانوا يصرون على وضع فرنسا موضع الدفاع. وقد عارض بسمارك هذا الضم لأنه لم يكن يريد أن يجعل من فرنسا عدوا دائما. حفل تتويج فيلهلم الأول إمبراطورا لألمانيا الموحدةوبعد انتهاء الحرب تحرك بسمارك لتأمين الطريق نحو اتحاد ألمانيا. فتفاوض مع ممثلين عن الولايات الألمانية الجنوبية، عارضا تنازلات خاصة لضمان موافقتهم على الاتحاد.

ونجحت المفاوضات، فأعلن الملك فيلهلم الأول إمبراطورا لألمانيا في الثامن عشر من يناير عام ١٨٧١ في قاعة المرايا في قصر فرساي (للإمعان في إهانة فرنسا).

وكانت الإمبراطورية الجديدة اتحادية تتكون من ٢٥ ولاية (بما فيها الممالك والدوقيات الكبيرة والدوقيات الصغيرة والإمارت والمدن الحرة) والتي احتفظ كل منها ببعض السلطة.

ولم يكن ملك بروسيا , كإمبراطور لألمانيا حاكما مطلقا على بقية ألمانيا بل كان كما أطلق عليه "الأول بين متناظرين". ولكنه كان يرأس البوندستاج الذي يجتمع لمناقشة السياسة المقدمة من المستشار (الذي يعينه الرئيس الذي هو الإمبراطور).

وفي سنواته الأخيرة ادعى بسمارك أن حروب بروسيا ضد النمسا وفرنسا إنما نشبت عن طريق تلاعبه بالإمارات المحيطة وفقا لخطته الكبيرة. وكانت هذه الرؤية مقبولة بين المعاصرين والمؤرخين حتى عقد الخمسينيات من القرن العشرين. وبالرغم من ذلك فقد بنيت هذه الرؤية على مذكرات بسمارك التي كتبها بعد عزله والتي يضع نفسه فيها في مقدمة الأحداث.

غير أن فكرة سيطرة وتحكم بسمارك في الأحداث الكبرى قد شكك فيها بعض المؤرخين ومن بينهم الجدلي أ. تايلور, التي خالف كل التفسيرات السابقة عليه بقوله أن بسمارك كان "قائدا هشا ذا سيطرة ضئيلة على الأحداث". ويرى كذلك أن موهبة بسمارك الكبرى كسياسي هي موهبته في طريقة ردود أفعاله على الأحداث حين وقوعها. وتحويلها إلى ميزة في صالحه.

مستشار الإمبراطورية الألمانية:

في عام ١٨٧١ منح بسمارك لقب "أمير فون بسمارك". وعين في نفس السنة مستشارا للإمبراطورية الألمانية الناشئة بجانب احتفاظه بمناصبه في مملكة بروسيا كرئيس للوزراء ووزير للخارجية. وبذلك فقد كان بسمارك على درجة عالية من النفوذ والسيطرة على الشئون الداخلية والخارجية لألمانيا.

وقد حدث في عام ١٨٧٣ أن عزل بسمارك عن منصب رئيس الوزراء وعين مكانه ألبريشت فون رون غير أن ذلك لم يدم طويلا فما لبث فون رون أن استقال لأسباب مرضية. وعاد بسمارك مرة أخرى ليكون رئيس للوزراء في بروسيا. في

السنوات التالية كانت أحد أهم أهداف بسمارك داخليا هو الحد من تأثير الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا.

وربما كان ذلك بسبب خوف بسمارك من تأثير البابوات على المسيحيين الكاثوليك الألمان واستخدامهم لفكرة عصمتهم في تحريك أتباعهم وجهة سياسية معينة وخلق عدم استقرار عن طريق دق أسافين بين الكاثوليك والبروتستانت. وقد حاول بسمارك دون نجاح أن يتوصل إلى تفاهم مع الحكومات الأوروبية الأخرى حين كانت هناك انتخابات بابوية جديدة في الفاتيكان. فالحكومات الأوروبية كانت ستوافق على مرشحين غير مناسبين وسيدفعون كاردينالاتهم إلى اختيار بابا جديد غير مؤمن بفكرة التعايش بين الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا.

وكانت بروسيا فيما عدا منطقة الراين أغلبيتها من البروتستانت لكن كان هناك الكثير من الكاثوليك يسكنون في الولايات الجنوبية وخصوصا بافاريا. وبوجه عام فقد كان ثلث الألمان من الكاثوليك. وكان بسمارك يعتقد أن الكنيسة الكاثوليكية تحوز سلطة سياسية أكبر مما ينبغي وكان قلقا أيضا من تكوين الحزب المركزي الكاثوليكي (وقد حدث هذا في عام ١٨٧٠).

وعلى هذا فقد بدأت حملة معادية للكاثوليكية معروفة باسم "الحرب الثقافية". فألغي القسم الكاثوليكي لوزارة الثقافة البروسية. وطرد اليسوعيون من ألمانيا في عام ١٨٧٢, وقام بسمارك بدعم اللوثرية والكنائس المعادية للكاثوليكية الرومانية القديمة. وسنت في عام ١٨٧٣ قوانين عديدة معادية للكاثوليكية الرومانية فسمحت للحكومة الإشراف على تعليم رجال الدين الكاثوليك الرومان, وقللت من السلطات التأديبية للكنيسة. واشترطت مراسم مدنية لحفلات الزواج, التي تؤدى في الكنائس. لكن هذه الكنائس زادت من قوة الحزب المركزي الكاثوليكي, وتخلى بسمارك عن حملة "الحرب الثقافية" في عام ١٨٧٨, ومات البابا بيوس في نفس العام وحل محله البابا ليو الثالث عشر الذي كان أكثر واقعية من سلفه.

وخرج بسمارك من هذه الحملة بكسب حليف جديد هو حزب الأحرار الوطني

العلماني الذي أصبح حليفا رئيسيا له في الرايخستاج. لكن في عام ١٨٧٣ دخلت ألمانيا ومعظم دول أوروبا فترة "الكساد الطويل" حين انهارت سوق الأوراق المالية في فيينا وعرفت هذه الأزمة بأزمة المؤسسين Grundekrise . وهو الكساد الذي ضرب الاقتصاد الألماني للمرة الأولى منذ التنمية الصناعية الواسعة في الخمسينيات بعد ثورة عام ١٨٤٨ . ولمساعدة الصناعات المتعثرة أصدر بسمارك قرارات بإلغاء التجارة الحرة وفرض تعريفات وقائية أضعفت الأحرار الوطنيين الذين كانوا ينادون بالتجارة الحرة والذين كان بسمارك يدعمهم منذ حملة "الحرب الثقافية" . وهكذا انتهت الصلة بين بسمارك وبين الأحرار الوطنيين في عام ١٨٧٩ تقريبا .

وعاد بسمارك لطلب الدعم وإنشاء الصلات مع القوى المحافظة ومن بينها الحزب المركزي الكاثوليكي. وللحؤول دون دقوع مشاكل عنصرية بين الأقليات المختلفة مثل المجريين والنمساويين والفرنسيين شرع بسمارك في محاولة "ألمنة" هؤلاء الذين كانوا يقطنون المناطق الحدودية الألمانية مثل الدنماركيين في الشمال والفرنسيين في الإلزاس واللورين والبولنديين في الشرق. ونهج بسمارك تجاه البولنديين سياسة عدائية مما ساعد ازدياد الإحساس بالتمييز القومي بين البولنديين والألمان مما أدى إلى توتر العلاقة النفسية بينهم. وكانت فكرة بسمارك في هذا هو اعتقاده بأن الوجود البولندي في ألمانيا يمثل تهديدا للدولة الألمانية الوليدة.

وكانت من الأمور التي تثير قلق بسمارك هو ازدياد شعبية الحركة الاشتراكية في ألمانيا وانتشار أنصارها . فقرر في عام ١٨٧٨ سن قوانين مناهضة الاشتراكيين. فمنعت التنظيمات والاجتماعات الاشتراكية كما اعتقل الاشتراكيين وحوكموا في محاكم بوليسية .

لكن على الرغم من ذلك فقد استمرت شعبية الاشتركيين بالتزايد فنجحوا في الفوز بمقاعد لا بأس بها في الرايخستاج. حين رشحوا أنفسهم مرشحين مستقلين غير معلنين تبعيتهم لأي حزب وهو ما كان يسمح به الدستور الألماني وقت ذاك. فاتجه بسمارك إلى استخدام مبدأ "حارب عدوك بسلاحه" فشرع في

التحول إلى الاشتراكية لمحاولة استرضاء الشعب وكسب تأييد الطبقة العاملة التي تمثل أغلبية الشعب الألماني. فشرع في سن قوانين تهدف إلى الإصلاح الاجتماعي والتي تعتبر أولى القوانين الاشتراكية في أوروبا. ومن تلك القوانين التأمين الصحي على العمال في سنة ١٨٨٣ التي تنص على أن يدفع العامل ثلثي مبلغ التأمين ورب العمل الثلث الباقي. ثم أضيفت قوانين التأمين ضد الحوادث في عام ١٨٨٤ ومعاشات التقاعد والتأمين ضد العجز الجسدي عن العمل في عام ١٨٨٩, كما حددت القوانين شروط عمل النساء والأطفال ونظمته إلى حد كبير. وبرغم هذه القوانين إلا أن الطبقة العاملة بقيت غير راضية عن حكومة بسمارك المحافظة.

الاستقالة:

في عام ١٨٨٨ مات الإمبراطور الألماني فيلهلم الأول تاركا العرش لابنه فريدريش الثالث. لكن العاهل الجديد كان مصابا بالسرطان وأنفق الثلاثة شهور فترة حكمه في صراع معه قبل أن يموت. فحل محله ابنه فيلهلم الثاني. وكان الإمبراطور الجديد معارضا لسياسة بسمارك الخارجية الحذرة والمترددة في التصرف., وكان يطمح نحو توسع سريع وقوي لحماية مكانة ألمانيا في العالم.

وسرعان ما أفسدت الخلافات بين فيلهلم الثاني ومستشاره جو العلاقة بينهما. وقد اعتقد بسمارك ان بإمكانه السيطرة على فيلهلم, فأبدى احتراما قليلا لسياساته في أواخر العقد الثامن. وقد حدث الشرخ النهائي بعد أن حاول بمسارك تنفيذ قوانين مكافحة الاشتراكيين في بداية عام ,١٨٩٠ وكانت الأغلبية البرلمانية المكونة من حزب المحافظين والحزب الليبرالي القومي على استعداد لتمديد مدة العمل بالقانون. ولكن الخلاف حدث بشأن سماح القانون لقوات الشرطة بنفي الاشتراكيين من بلداتهم وهي سلطة كانت تستخدم لقمع الخصوم السياسيين.

ورفض الحزب الليبرالي القومي الموافقة على هذا الجزء من القانون في حين ساند المحافظون فقط القانون إذا تم تعديله, وهددوا بعدم الموافقة على القانون لأن بسمارك لم يمنح موافقته على تعديل القانون. وحين استمر الجدل ازداد

اهتمام فيلهلم بالقضايا الاشتراكية، وخاصة معاملة عمال المناجم الذين أعلنوا إضرابهم في عام ١٨٨٩، واستمر في تنفيذ سياسته النشطة في الحكومة.

وكان دائما ما يقاطع بسمارك في المجلس لكي يوضح سياسته الاشتراكية. عارض بسمارك بحدة سياسة فيلهلم وعمل على تجاهلها. ورغم أن فيلهلم دعم مكافحة الاشتراكيين المعدل. حاول بسمارك دفعه إلى عدم الموافقة على هذا التعديل كلية. ولكن حين لم تنجح حجج بسمارك في إقناع بسمارك لم يستطع التحكم في أعصابه واندفع يفصح لفيلهلم رغبته في تأجيج الصراع مع الاشتراكيين، لكي يتخذ ذلك حجة للقضاء عليهم وتحطيمهم. فأجابه فيلهلم بأنه لا يريد بدء فتره حكمه بمعركة دموية ضد رعاياه. وحين أدرك بسمارك الحماقة التي ارتكبها حاول التوصل مع فيلهلم إلى حل وسط فوافق على سياسته الاشتراكية تجاه عمال الصناعة بل وقترح أيضا تكوين مجلس أوروبي لمناقشة ظروف العمل يرأسه الإمبراطور الألماني.

ورغم هذا فقد أدت سلسلة الأحداث إلى زيادة الهوة بين فيلهلم وبسمارك. وشعر بسمارك بكراهية الإمبراطور وعدم تقديره له وبمحاولة مستشاريه تشويه صورته لديه فرفض التوقيع مع فيلهلم على إعلان لحماية حقوق العمال، كما كان يشترط الدستور الألماني وقد أظهر ذلك مدى استياء بسمارك من تدخل الإمبراطور المتزايد في سلطات بسمارك الغير محدودة.

وقد عمل بسمارك من خلف الكواليس على تحطيم مجلس العمل لعالمي الذي كان فيلهلم يعتز به أيما اعتزاز. وكانت آخر فصول الخلاف حين حاول بسمارك تكوين أغلبية برلمانية جديدة فصوتت كتلته بالموافقة على قانون الاشتراكيين. أما القوى الأخري في الرايخستاج فكانت الحزب المركزي الكاثوليكي وحزب المحافظين.

أراد بسمارك تشكيل تحالف جديد مع الحزب المركزي ودعى لودفيج فيندهورست الزعيم البرلماني إلى مناقشة إمكانية التخالف بينهما. وكانت هذه آخر مناورات بسمارك السياسية. وغضب فيلهلم لدى سماعة خبر زيارة بسمارك لفيندهورست. في دولة برلمانية يمتلك رئيس الحكومة معتمدا على الثقة التي

منحهته إياها الأغلبية البرلمانية في تكوين تحالفات سياسية لدعم قرارته. أما في ألمانيا فالمستشار كان معتمدا على ثقة الإمبراطور وحده وكان فيلهلم يعتقد بأن لديه الحق في ان يتم إبلاغه بلقاء رئيس وزرائه قبل حدوثه. وهنا انفجر فيلهلم بالغضب بعد أن أدرك استهانة بسمارك به كإمبراطور.

وللمرة الأولى أجبر بسمارك على كتابة استقالته، شجب فيها تدخل فيلهلم في الشؤون الداخلية والخارجية ولم تنشر هذه الاستقالة إلا بعد وفاة بسمارك.

وهكذا سقط بسمارك ضحية لإمبراطور صنع هو إمبراطوريته بنفسه وأدرك أن قرار العزل على وشك الصدور. اضطر بسمارك إلى تقديم استقالته بعد إصرار فيلهلم الثاني في عام ,١٨٩٠ عن عمر يناهز الخامسة والسبعين ليخلفه في مستشارية ألمانيا ورئاسة الوزراء في بروسيا ليو فون كابريفي.

لقد طرح بسمارك مثل ورقة لعب, وأعطي لقبا جديدا وهو "دوق فون لاوّنبورج" وبدأ فترة تقاعده الهادئة في ضيعته في فارتسين (الواقعة حاليا في بولندا). وانتقل بعد شهر من وفاة زوجته في ٢٧ نوفمبر ١٨٩٤ إلى فريدريشسروهه بالقرب من هامبورج منتظرا بلا جدوى خطاب استدعائه للخدمة مرة أخرى. وبمجرد خروجه من السلطة بدأ المواطنون في تمجيده. فجمعوا الأموال لبناء النصب التذكارية تخليدا له. وقد كان شهرته الواسعة في ألمانيا. فسميت العديد من المباني باسمه, وألفت الكتب عنه وحققت نجاحا كبيرا ورسمه الكثير من الرسامين ومن بينهم فرانتس فون لينباخ وألرز.

النهاية:

أنفق بسمارك سنواته الأخيرة في جمع مذكراته المعنونة "أفكار وذكريات". مات في ٣٠ يوليو عام ١٨٩٨ عن عمر ناهز الثالثة والثمانين عاما في فريدريشسروهه. حيث دفن في ضريحه المسمى ضريح بسمارك. وقد نقش على شاهد قبره الرخامي "الخادم الألماني المخلص للقيصر فيلهلم الأول".

توج الأمير فيلهلم الوصي على العرش, ملكا على بروسيا ولقب ب "الملك فيلهلم الأول" بعد وفاة أخيه في عام ١٨٦١. وكان الملك الجديد في خلاف متزايد

مع المجلس البروسي الليبرالي, وقد تفاقمت الأزمة في عام ١٨٦٢ إثر رفض المجلس الموافقة على ميزانية إعادة تنظيم الجيش. لم يستطع وزراء الملك إقناع النواب بتمرير الميزانية, ولم يكن الملك على استعداد لإعطاء تنازلات. آمن فيلهلم بأن بسمارك هو الشخص الوحيد الذي يستطيع معالجة الأزمة. وحين أجمع مجلس النواب في سبتمبر ١٨٦٢على رفض الميزانية المقدمة، قرر فيلهلم استدعاء بسمارك إلى بروسيا بناء على نصيحة من رون. وفي الثالث والعشرين من سبتمبر ١٨٦٢ عين فيلهلم بسمارك رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية.

كان بسمارك عازما على المحافظة على هيبة الملك بإنهائه الخلاف حول الميزانية لصالح الملك, حتى لو اضطر إلى استخدام وسائل غير دستورية. وكانت وجهة نظره ان الدستور لم يفصل في حالة ما إذا فشل النواب في إقرار الميزانية, وعليه فإن ميزانية العام الماضي تظل سارية. وعليه فبناء على ميزانية عام ١٨١٦ فإن جمع الضرائب سيستمر لأربع سنوات.

وتصعدت حدة الخلاف بين المجلس وبسمارك في السنوات التالية. ففي عام ١٨٦٣ أصدر مجلس النواب قرارا يقولون فيه بعدم شرعية بقاء بسمارك في منصبه, وفي المقابل رد الملك بحل المجلس متهما إياه بمحاولة السيطرة الغير دستورية على الوزارة. ثم قرر بسمارك فرض الرقابة على الصحافة, وقد لقي هذا القرار معارضة علنية من ولي العهد الأمير فريدريش فيلهلم (الذي أصبح فيما بعد الملك فريدريش الثالث). وبرغم الانتقادات العديدة ظل بسمارك سياسيا عديم الشعبية. وقد سقط مؤيدوه في انتخابات أكتوبر, ١٨٦٣ التي فاز فيها الائتلاف الليبرالي (الذي يقوده حزب التقدم) بأكثر من ثلثي مقاعد المجلس. وقد طالب المجلس مرارا الملك فيلهلم الأول بإقالة بسمارك, إلا ان الملك ظل على تأييده له, خوفا منه بان يحل محل وزارة بسمارك وزارة ليبرالية.

كانت ألمانيا تتكون من العديد من الإمارات المتفرقة. قرر بسمارك استخدام الدبلوماسية والعسكرية البروسية لتحقيق الوحدة, واستثني النمسا من الاتحاد لرغبته في ان تكون بروسيا هي أقوى الأعضاء واكثرهم نفوذا في الأمة المتحدة الجديدة. واجه بسمارك أزمة دبلوماسية حين مات فريدريك الرابع ملك

الدنمارك في نوفمبر عام ١٨٦٣. فقد نشأ نزاع حول تبعية دوقيتي شليزفيج وهولشتاين بين كريستيان الرابع (وريث الملك فريدريك الرابع) ملك الدنمارك، وبين فريدريش فون أوجوستنبورج (وهو دوق ألماني).

وكان الرأى العام البروسي يؤيد تبعية الدوقتين للدوق الألماني. غير أن بسمارك اتخذ خطوة غير شعبية بإصراره على تبعية الدقيتين للدنمارك بموجب بروتوكول لندن الموقع قبل عشر سنوات. غير أنه عاد فأعلن رفضه لضم الدنمارك للدوقيتين. وبدعم من النمسا أرسل قرره النهائي إلى كريستيان بضرورة إعادة الدوقيتين إلى الوضع الذي كانت عليه من قبل. وحين رفضت الدنمارك القرار، قررت بروسيا والنمسا شن الحرب على الدنمارك "حرب شليزفيج الثانية"، وأجبرت الدنمارك على التنازل عن كلتا الدوقيتين. وفي الأساس فقد اقترح أن يقرر مجلس الاتحاد الألماني (الذي يمثل كل الإمارات الألمانية) بشأن مصير الدوقيتين. ولكن قبل أن يحدث هذا أقنع بسمارك النمسا بالموافقة على معاهدة "جاستاين". وبموجب هذه الاتفاقية الموقعة في ٢٠ أغسطس ١٨٦٥ ، تذهب شليزفيج إلى بروسيا وتذهب هولشتاين إلى النمسا. وفي هذا العام منح بسمارك لقب "أمير فون بسمارك - شونهاوزن".

لكن في عام ١٨٦٦ خالفت النمسا الاتفاق السابق وذلك بمطالبتها بأن يقرر المجلس مصير شليزفيج وهولشتاين. فاستغل بسمارك ذلك ذريعة لبدء حرب ضد النمسا، باتهام النمساويين بأن أخلُّوا باتفاقية جاستاين. وأرسل بسمارك القوات البروسية لاحتلال هولشتاين. وسرعان ما طلبت النمسا مساعدة باقي الإمارات الألمانية، التي لبت هذا الطلب وخاضت الحرب البروسية النمساوية. وبفضل إعادة تنظيم الجيش البروسي الذي قام به ألبريشت فون رون، فإن قوة الجيش البروسي كانت تضاهي قوة الجيش النمساوي. وقد شكل بسمارك حلفا سريا مع إيطاليا، التي كانت تطمع في السيطرة على "فينيتيا" التي كانت خاضعة للسيطرة النمساوية. وبدخول إيطاليا الحرب اضطرت النمسا إلى تقسيم قواتها، لمواجهة الجيش البروسي من جهة، والجيش الإيطالي من جهة أخرى.

هزمت بروسيا النمسا وحلفاءها هزيمة ساحقة في معركة كونيجريتس.

ونتيجة لصلح براج الذي عقد في عام ١٨٦٦، فقد حل الاتحاد الألماني، وضمت بروسيا إليها شليزفيج وهولشتاين وفرانكفورت وهانوفر وهيسه - كاسل وناساوْ، وتعهدت النمسا بعدم التدخل في الشئون الداخلية الألمانية. ولتعزيز السيطرة البروسية، فقد انضمت إلى بروسيا إمارت شمال ألمانيا الأخرى لتكوين ما سمي "بالاتحاد الألماني الشمالي" في عام ١٨٦٧، وترأسه فيلهلم الأول وشغل بسمارك فيه منصب المستشار. ومنذ هذه النقطة بدأ ما يسميه المؤرخون "بؤس النمسا"، والتي شكلت فيه النمسا دولة ضئيلة بالنسبة لجارتها المتفوقة ألمانيا، وظلت هذه العلاقة بين النمسا وألمانيا حتى أثناء الحربين العالميتين.

أكسب النصر العسكري دعما سياسيا ضخما لبسمارك في بروسيا. ففي انتخابات مجلس النواب في عام ١٨٦٦ تكبد الليبراليون خسارة فادحة، حيث خسروا أغلبيتهم الكبيرة. وكان البرلمان الجديد المكون في أغلبيته من المحافظين يمثل ظلا لبسمارك، فقد وافق بطلب منه على الميزانية التي رفضت في الأعوام الأربع السابقة، ونفذت رغم ذلك. ومنذ ذلك الوقت وبسمارك يعتبر واحدا من أبرز السياسيين في التاريخ.

وبعد حرب عام ١٨٦٦ ضم بسمارك مملكة هانوفر التي تحالفت مع النمسا ضد بروسيا. وقد سعى الملك المعزول جورج الرابع ملك هانوفر إلى التوصل إلى اتفاق يمنحه الحق بالاحتفاظ بنصف ممتلكات التاج، ويكون النصف الآخر ملك للدولة ثم يتحول إلى مكتسبات وطنية. لكن بسمارك اتهمه بالتخطيط للانقلاب ضد الدولة وقلص نصيبه من ممتلكات التاج إلى ١٦ بالمائة وكان ذلك في ربيع عام ١٨٦٨، وقد استخدم بسمارك هذا المال لإنشاء صندوق سري (عرف بصندوق المخبرين الوقحين)، والذي استخدمه لرشوة الصحفيين ولتشويه سمعة خصومه السياسيين. واستخدم هذه الأموال في عام ١٨٧٠ لكسب تأييد الملك لودفيج الثاني ملك بافاريا لجعل فيلهلم الأول إمبراطورا لألمانيا.

واستخدم بسمارك هذه الأموال أيضا لزرع المخبرين داخل حاشية قصر ولي العهد الأمير فريدريش والأميرة فيكتوريا، وفي بث الأخبار الملفقة في الصحف تتهم الاثنين بأنهما عميلين بريطانيين يشيان بأخبار الدولة إلى الحكومة

البريطانية. وكان فريدريش وفيكتوريا معجبان بالأمير ألبرت أمير ساكسكوبورج وجوتا، وكان يخططان للحكم كرفيفين مثل ألبرت والملكة فيكتوريا، ولإعادة تنظيم السلطة التنفيذية التي كان بسمارك يهدف للسيطرة عليها. وكان مكتب المستشار المسئول أمام الملك سيستبدل بوزارة على الطريقة البريطانية، مكونة من وزراء يكونون مسئولين أمام الرايخستاج. وكانت سياسة الحكومة ستكون معتدمة على إجماع الوزراء.

وفيما بعد حين اعتلى فيلهلم الثاني العرش خطط بسمارك لتشويه سمعة والديه لفصله عنهما، ولوضعه تحت سيطرته. وكان ينوي استخدامه كسلاح ضد والديه لكي يحتفظ بقوته الخاصة. كما كان بسمارك سيدرب فيلهلم ليتمرد عليمها وسيعلمه أن يكون عاصيا لهما. ونتيجة لذلك نشأت علاقة غير طبيعية لفيلهلم مع والده وخاصة مع أمه. وفي عام ١٨٩٢ بعد عزل بسمارك، أوقف القيصر فيلهلم الثاني هذا الصندوق وفساده بالتخلي عن دفع الرواتب الإضافية في الميزانية الرسمية.

تأسيس الإمبراطورية الألمانية:

أدى انتصار بروسيا على النمسا إلى زيادة التوتر بينها وبين فرنسا. وكان الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث يخشى من أن قوة ألمانيا ستؤدي إلى قلب ميزان القوى في أوروبا. ولم يكن بسمارك في الوقت نفسه يخشى من خوض حرب ضد فرنسا، فقد كان يؤمن أن الحرب معها ستؤدي إلى توحيد الإمارات الألمانية خلف قيادة ملك بروسيا.

ولم ينقص لإشعال هذه الحرب إلا شرارة صغيرة. وقد حدث، ففي عام ١٨٧٠ عرض على الأمير ليوبولد أمير هوهنتسولرن وزيجمارينجن أن يعتلي العرش الإسباني، الذي كان قد شغر منذ ثورة عام ١٨٦٨ في إسبانيا. عارضت فرنسا الترشيح وطالبت بضمانات لكى لا يعتلي أحد من آل هونتسولرن العرش الإسباني. ولدفع فرنسا إلى إعلان الحرب على بروسيا، تعمد بسمارك في الرابع عشر من يوليو (وهو يوم الباستيل العيد القومي للفرنسيين) نشر الحوار بين الملك فيلهلم والسفير الفرنسي في بروسيا الكونت بنيديتي، بطريقة مهينة لفرنسا.

حشدت فرنسا جيوشها وأعلنت الحرب في التاسع عشر من يوليو (أي بعد خمسة أيام). فبدت بمظهر المعتدي أمام الأمراء والملوك الألمان, فاندفعوا بنداء الوطنية والقومية إلى الاتحاد والتحالف مع بروسيا. حتى أن عائلة بسمارك دفعت بابنيها للاشتراك في سلاح الفرسان. وكانت الحرب الفرنسية البروسية في عام ١٨٧٠ نصرا كبيرا لبروسيا. وتوالت انتصارات الجيش الألماني بقيادة الصقر هيلموت فون مولتكه انتصارا بعد انتصار. ووقعت المعارك الرئيسية في شهر واحد (بين ٧ أغسطس و ١ سبتمبر)، وهزمت فرنسا فيها كلها.

وأبرز ما ميز هذه الحرب هو التنظيم البارع على الجانب البروسي والاضطراب الكبير على الجانب البروسي. وفي النهاية اضطرت فرنسا إلى التنازل عن الإلزاس وجزء من اللورين, لأن مولتكه وجنرالاته كانوا يصرون على وضع فرنسا موضع الدفاع. وقد عارض بسمارك هذا الضم لأنه لم يكن يريد أن يجعل من فرنسا عدوا دائما.

حفل تتويج فيلهلم الأول إمبراطورا لألمانيا الموحدة

وبعد انتهاء الحرب تحرك بسمارك لتأمين الطريق نحو اتحاد ألمانيا. فتفاوض مع ممثلين عن الولايات الألمانية الجنوبية، عارضا تنازلات خاصة لضمان موافقتهم على الاتحاد. ونجحت المفاوضات، فأعلن الملك فيلهلم الأول إمبراطورا لألمانيا في الثامن عشر من يناير عام ١٨٧١ في قاعة المرايا في قصر فرساي (للإمعان في إهانة فرنسا). وكانت الإمبراطورية الجديدة اتحادية تتكون من ٢٥ ولاية (بما فيها الممالك والدوقيات الكبيرة والدوقيات والإمارت والمدن الحرة) والتي احتفظ كل منها ببعض السلطة. ولم يكن ملك بروسيا , كإمبراطور لألمانيا حاكما مطلقا على بقية ألمانيا بل كان كما أطلق عليه "الأول بين متناظرين". ولكنه كان يرأس البوندستاج الذي يجتمع لمناقشة السياسة المقدمة من المستشار (الذي يعينه الرئيس الذي هو الإمبراطور).

وفي سنواته الأخيرة ادعى بسمارك أن حروب بروسيا ضد النمسا وفرنسا إنما نشبت عن طريق تلاعبه بالإمارات المحيطة وفقا لخطته الكبيرة. وكانت هذه الرؤية مقبولة بين المعاصرين والمؤرخين حتى عقد الخمسينيات من القرن

العشرين. وبالرغم من ذلك فقد بنيت هذه الرؤية على مذكرات بسمارك التي كتبها بعد عزله، والتي يضع نفسه فيها في مقدمة الأحداث. غير أن فكرة سيطرة وتحكم بسمارك في الأحداث الكبرى قد شكك فيها بعض المؤرخين ومن بينهم الجدلي أ. تايلور، التي خالف كل التفسيرات السابقة عليه بقوله أن بسمارك كان "قائدا هشا ذا سيطرة ضئيلة على الأحداث". ويرى كذلك أن موهبة بسمارك الكبرى كسياسي هي موهبته في طريقة ردود أفعاله على الأحداث حين وقوعها، وتحويلها إلى ميزة في صالحه.

بسمارك مستشارا لألمانيا

في عام ١٨٧١ منح بسمارك لقب "أمير فون بسمارك". وعين في نفس السنة مستشارا للإمبراطورية الألمانية الناشئة، بجانب احتفاظه بمناصبه في مملكة بروسيا كرئيس للوزراء ووزير للخارجية. وبذلك فقد كان بسمارك على درجة عالية من النفوذ والسيطرة على الشئون الداخلية والخارجية لألمانيا. وقد حدث في عام ١٨٧٣ أن عزل بسمارك عن منصب رئيس الوزراء وعين مكانه ألبريشت فون رون، غير أن ذلك لم يدم طويلا فما لبث فون رون أن استقال لأسباب مرضية. وعاد بسمارك مرة أخرى ليكون رئيس للوزراء في بروسيا.

في السنوات التالية كانت أحد أهم أهداف بسمارك داخليا هو الحد من تأثير الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا. وربما كان ذلك بسبب خوف بسمارك من تأثير البابوات على المسحيين الكاثوليك الألمان واستخدامهم لفكرة عصمتهم في تحريك أتباعهم وجهة سياسية معينة، وخلق عدم استقرار عن طريق دق أسافين بين الكاثوليك والبروتستانت.

وقد حاول بسمارك دون نجاح أن يتوصل إلى تفاهم مع الحكومات الأوروبية الأخرى حين كانت هناك انتخابات بابوية جديدة في الفاتيكان. فالحكومات الأوروبية كانت ستوافق على مرشحين غير مناسبين، وسيدفعون كاردينالاتهم إلى اختيار بابا جديد غير مؤمن بفكرة التعايش بين الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا. وكانت بروسيا فيما عدا منطقة الراين أغلبيتها من البروتستانت، لكن كان هناك الكثير من الكاثوليك يسكنون في الولايات الجنوبية وخصوصا بافاريا.

وبوجه عام فقد كان ثلث الألمان من الكاثوليك. وكان بسمارك يعتقد أن الكنيسة الكاثوليكية تحوز سلطة سياسية أكبر مما ينبغي، وكان قلقا أيضا من تكوين الحزب المركزي الكاثوليكي (وقد حدث هذا في عام ١٨٧٠).

وعلى هذا فقد بدأت حملة معادية للكاثوليكية معروفة باسم "الحرب الثقافية". فألغي القسم الكاثوليكي لوزارة الثقافة البروسية. وطرد اليسوعيون من ألمانيا في عام ١٨٧٢. وقام بسمارك بدعم اللوثرية والكنائس المعادية للكاثوليكية الرومانية القديمة. وسنت في عام ١٨٧٣ قوانين عديدة معادية للكاثوليكية الرومانية، فسمحت للحكومة الإشراف على تعليم رجال الدين الكاثوليك الرومان، وقللت من السلطات التأديبية للكنيسة. واشترطت مراسم مدنية لحفلات الزواج، التي تؤدى في الكنائس. لكن هذه الكنائس زادت من قوة الحزب المركزي الكاثوليكي، وتخلى بسمارك عن حملة "الحرب الثقافية" في عام ١٨٧٨. ومات البابا بيوس في نفس العام وحل محله البابا ليو الثالث عشر الذي كان أكثر واقعية من سلفه.

وخرج بسمارك من هذه الحملة بكسب حليف جديد هو حزب الأحرار الوطني العلماني، الذي أصبح حليفا رئيسيا له في الرايخستاج. لكن في عام ١٨٧٣ دخلت ألمانيا ومعظم دول أوروبا فترة "الكساد الطويل" حين انهارت سوق الأوراق المالية في فيينا، وعرفت هذه الأزمة بأزمة المؤسسين Grundekrise. وهو الكساد الذي ضرب الاقتصاد الألماني للمرة الأولى منذ التنمية الصناعية الواسعة في الخمسينات بعد ثورة عام ١٨٤٨.

ولمساعدة الصناعات المتعثرة أصدر بسمارك قرارات بإلغاء التجارة الحرة وفرض تعريفات وقائية، أضعفت الأحرار الوطنيين الذين كانوا ينادون بالتجارة الحرة والذين كان بسمارك يدعمهم منذ حملة "الحرب الثقافية". وهكذا انتهت الصلة بين بسمارك وبين الأحرار الوطنيين في عام ١٨٧٩ تقريبا. وعاد بسمارك لطلب الدعم وإنشاء الصلات مع القوى المحافظة ومن بينها الحزب المركزي الكاثوليكي.

وللحيلولة دون وقوع مشاكل عنصرية بين الأقليات المختلفة مثل المجريين والنمساويين والفرنسيين، شرع بسمارك في محاولة "ألمنة" هؤلاء الذين كانوا يقطنون المناطق الحدودية الألمانية، مثل الدنماركيين في الشمال والفرنسيين في الإلزاس واللورين والبولنديين في الشرق.

ونهج بسمارك تجاه البولنديين سياسة عدائية مما ساعد على ازدياد الإحساس بالتمييز القومي بين البولنديين والألمان، مما أدى إلى توتر العلاقة النفسية بينهم. وكانت فكرة بسمارك في هذا هو اعتقاده بأن الوجود البولندي في ألمانيا يمثل تهديدا للدولة الألمانية الوليدة.

وكانت من الأمور التي تثير قلق بسمارك هو ازدياد شعبية الحركة الاشتراكية في ألمانيا وإنتشار أنصارها. فقرر في عام ١٨٧٨ سن قوانين مناهضة الاشتراكيين. فمنعت التنظيمات والاجتماعات الاشتراكية، كما اعتقل الاشتراكيين وحوكموا في محاكم بوليسية. لكن على الرغم من ذلك فقد استمرت شعبية الاشتركيين بالتزايد، فنجحوا في الفوز بمقاعد لا بأس بها في الرايخستاج، حين رشحوا أنفسهم مرشحين مستقلين غير معلنين تبعيتهم لأي حزب، وهو ما كان يسمح به الدستور الألماني وقت ذاك.

فاتجه بسمارك إلى استخدام مبدأ "حارب عدوك بسلاحه"، فشرع في التحول إلى الاشتراكية لمحاولة استرضاء الشعب وكسب تأييد الطبقة العاملة التي تمثل أغلبية الشعب الألماني. فشرع في سن قوانين تهدف إلى الإصلاح الاجتماعي، والتي تعتبر أولى القوانين الاشتراكية في أوروبا. ومن تلك القوانين التأمين الصحي على العمال في سنة ١٨٨٣، التي تنص على أن يدفع العامل ثلثي مبلغ التأمين ورب العمل الثلث الباقي. ثم أضيفت قوانين التأمين ضد الحوادث في عام ١٨٨٤ ومعاشات التقاعد والتأمين ضد العجز الجسدي عن العمل في عام ١٨٨٩، كما حددت القوانين شروط عمل النساء والأطفال ونظمته إلى حد كبير. وبرغم هذه القوانين إلا أن الطبقة العاملة بقيت غير راضية عن حكومة بسمارك المحافظة.

السياسة الخارجية

كرس بسمارك جهوده السياسية للإبقاء على استقرار أوروبا السياسي، لضمان عدم تهديد بروسيا من أي قوة كانت. ولأنه أجبر على إبقاء روح التنافس والانتقام مع فرنسا منذ الحرب الأخيرة بينهما (الحرب الفرنسية البروسية)، فقد عمل على تنفيذ سياسة تهدف إلى عزل فرنسا سياسيا، بينما أبقى على العلاقات الودية بين بروسيا وبقية الدول والممالك الأوروبية. ولتجنب الدخول مع المملكة المتحدة في تنافس على السيطرة فقد تنازل عن الطموح نحو إمبراطورية استعمارية ورفض توسيع الأسطول والجيش الألماني. وفي عام ١٨٧٢ عرض الصداقة على الإمبراطورية النمساوية المجرية وكذلك على بروسيا، اللتين انضم إمبراطوراهما إلى فيلهلم الثاني في تحالف عرف بتحالف الأباطرة الثلاث Dreikaiserbund. كما حافظ بسمارك على علاقات جيدة مع إيطاليا.

لكن بعد انتصار روسيا على الإمبراطورية العثمانية في الحرب الروسية التركية (١٨٧٧- ١٨٧٨)، قام بسمارك في الاشتراك في المفاوضات التي جرت في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨، وقد أثمرت المفاوضات عن معاهدة برلين التي قللت من المزايا التي اكتسبتها روسيا في جنوب شرق أوروبا. عارض بسمارك وزعماء أوروبيون آخرون نمو النفوذ الروسية، وحاولوا لذلك حماية الإمبراطورية العثمانية وإقامة علاقات أكثر وداً معها. ونتيجة لذلك فقد أصاب العلاقة بين روسيا وألمانيا شرخ كبير. وقد اتهم الأمير الروسي جورتشاكوف بسمارك بالتقليل من هيبة الأمة الروسية. وقد ازداد الشرخ بينهما اتساعا بسبب السياسات الوقائية الألمانية. وحين حلت حلف الأباطرة الثلاث، حاول بسمارك إنشاء تحالف ثنائي مع النمسا والمجر. وقد أصبح الحلف ثلاثيا بانضمام إيطاليا. وباءت كل محاولات الصلح بين ألمانيا وروسيا بالفشل.

في بادئ الأمر كان بسمارك معارضا لفكرة التوسع الاستعماري، محتجا بفكرة أن تكاليف احتلال مستعمرة والدفاع عنها ستتجاوز فوائدها. غير أن الرأي العام في أواخر عقد السبعينيات من القرن التاسع عشر كان مع الحصول على مستعمرات وأراض جديدة. في الوقت الذي تسابقت فيه الدول الأوروبية في

الحصول على مستعمرات جديدة (فيما عرف بفترة الإمبريالية الجديدة). وخلال أوائل الثمانينيات انضمت ألمانيا إلى الدول الأوروبية المتنافسة على الوجود الاستعماري في أفريقيا. وكانت من بين المستعمرات الألمانية في أفريقيا: توجولاند (وهي حاليا جزء غانا وتوجو)، والكاميرون..أفريقيا الشرقية الألمانية (حاليا رواندا وبوروندي وتنزانيا)، وجنوب شرق أفريقيا الألمانية)حاليا ناميبيا). وفي مؤتمر برلين (١٨٨٤-١٨٨٥) اتفقت الدول المؤتمرة على وضع عدة قواعد لتنظيم الاستعمار في إفريقيا ، واتفق على أن تكون هناك منطقة تجارة حرة في أجزاء معينة من منطقة حوض الكونغو.

وخلال الأزمة البلغارية ألقى بسمارك خطابا في الرايخستاج حول أخطار حرب أوروبية. وحذر من أن احتمالية أن تحارب ألمانيا على جبهتين، وتحدث عن رغبته في السلام ثم عرض الأزمة في البلقان ووصف الحرب المحتملة بالعقيمة: بلغاريا ، هذا البلد الصغير الواقع بين نهر الدانوب والبلقان، بعيد عن أن يكون ذا أهمية كافية..ولأي سبب يتم الزج بأوربا من موسكو حتى جبال البرانس ومن بحر الشمال حتى باليرمو في أتون حرب لا يعلم مداها أحد. وفي نهاية اصراع يجب علينا ان نعلم بصدق لماذا بدأنا القتال.

الاستقالة

بسمارك في عيد ميلاده الثمانين (١ أبريل ١٨٩٥)

في عام ١٨٨٨ مات الإمبراطور الألماني فيلهلم الأول تاركا العرش لابنه فريدريش الثالث. لكن العاهل الجديد كان مصابا بالسرطان وأنفق الثلاثة شهور فترة حكمه في صراع معه قبل أن يموت. فحل محله ابنه فيلهلم الثاني. وكان الإمبراطور الجديد معارضا لسياسة بسمارك الخارجية الحذرة والمترددة في التصرف.، وكان يطمح نحو توسع سريع وقوي لحماية مكانة ألمانيا في العالم.

وسرعان ما أفسدت الخلافات بين فيلهلم الثاني ومستشاره جو العلاقة بينهما. وقد اعتقد بسمارك ان بإمكانه السيطرة على فيلهلم، فأبدى احتراما قليلا لسياساته في أواخر العقد الثامن. وقد حدث الشرخ النهائي بعد أن حاول

بمسارك تنفيذ قوانين مكافحة الاشتراكيين في بداية عام ١٨٩٠ , وكانت الأغلبية البرلمانية المكونة من حزب المحافظين والحزب الليبرالي القومي على استعداد لتمديد مدة العمل بالقانون.

ولكن الخلاف حدث بشأن سماح القانون لقوات الشرطة بنفي الاشتراكيين من بلداتهم, وهي سلطة كانت تستخدم لقمع الخصوم السياسيين. ورفض الحزب الليبرالي القومي الموافقة على هذا الجزء من القانون, في حين ساند المحافظون فقط القانون إذا تم تعديله, وهددوا بعدم الموافقة على القانون لأن بسمارك لم يمنح موافقته على تعديل القانون.

وحين استمر الجدل ازداد اهتمام فيلهلم بالقضايا الاشتراكية, وخاصة معاملة عمال المناجم الذين أعلنوا إضرابهم في عام ١٨٨٩, واستمر في تنفيذ سياسته النشطة في الحكومة, وكان دائما ما يقاطع بسمارك في المجلس لكي يوضح سياسته الاشتراكية. عارض بسمارك بحدة سياسة فيلهلم وعمل على تجاهلها. ورغم أن فيلهلم دعم مكافحة الاشتراكيين المعدل, حاول بسمارك دفعه إلى عدم الموافقة على هذا التعديل كلية. ولكن حين لم تنجح حجج بسمارك في إقناع بسمارك لم يستطع التحكم في أعصابه واندفع يفصح لفيلهلم رغبته في تأجيج الصراع مع الاشتراكيين, لكي يتخذ ذلك حجة للقضاء عليهم وتحطيمهم. فأجابه فيلهلم بأنه لا يريد بدء فتره حكمه بمعركة دموية ضد رعاياه. وحين أدرك بسمارك الحماقة التي ارتكبها حاول التوصل مع فيلهلم إلى حل وسط, فوافق على سياسته الاشتراكية تجاه عمال الصناعة, بل وقترح أيضا تكوين مجلس أوروبي لمناقشة ظروف العمل يرأسه الإمبراطور الألماني.

ورغم هذا فقد أدت سلسلة الأحداث إلى زيادة الهوة بين فيلهلم وبسمارك. وشعر بسمارك بكراهية الإمبراطور وعدم تقديره له وبمحاولة مستشاريه تشويه صورته لديه, فرفض التوقيع مع فيلهلم على إعلان لحماية حقوق العمال، كما كان يشترط الدستور الألماني، وقد أظهر ذلك مدى استياء بسمارك من تدخل الإمبراطور المتزايد في سلطات بسمارك الغير المحدودة. وقد عمل بسمارك من

خلف الكواليس على تحطيم مجلس العمل لعالمي الذي كان فيلهلم يعتز به أيما اعتزاز.

وكانت آخر فصول الخلاف حين حاول بسمارك تكوين أغلبية برلمانية جديدة, فصوتت كتلته بالموافقة على قانون الاشتراكيين. أما القوى الأخري في الرايخستاج فكانت الحزب المركزي الكاثوليكي وحزب المحافظين. أراد بسمارك تشكيل تحالف جديد مع الحزب المركزي, ودعى لودفيج فيندهورست الزعيم البرلماني إلى مناقشة إمكانية التخالف بينهما. وكانت هذه آخر مناورات بسمارك السياسية. وغضب فيلهلم لدى سماعة خبر زيارة بسمارك لفيندهورست. في دولة برلمانية يمتلك رئيس الحكومة معتمدا على الثقة التي منحته إياها الأغلبية البرلمانية في تكوين تحالفات سياسية لدعم قرارته. أما في ألمانيا فالمستشار كان معتمدا على ثقة الإمبراطور وحده, وكان فيلهلم يعتقد بأن لديه الحق في ان يتم إبلاغه بلقاء رئيس وزرائه قبل حدوثه. وهنا انفجر فيلهلم بالغضب بعد أن أدرك استهانة بسمارك به كإمبراطور.

وللمرة الأولى أجبر بسمارك على كتابة استقالته, شجب فيها تدخل فيلهلم في الشؤون الداخلية والخارجية, ولم تنشر هذه الاستقالة إلا بعد وفاة بسمارك. وهكذا سقط بسمارك ضحية لإمبراطور صنع هو إمبراطوريته بنفسه, وأدرك أن قرار العزل على وشك الصدور.

اضطر بسمارك إلى تقديم استقالته بعد إصرار فيلهلم الثاني في عام ١٨٩٠, عن عمر يناهز الخامسة والسبعين, ليخلفه في مستشارية ألمانيا ورئاسة الوزراء في بروسيا ليو فون كابريفي. لقد طرح بسمارك مثل ورقة لعب, وأعطي لقبا جديدا وهو "دوق فون لاوْنبورج" , وبدأ فترة تقاعده الهادئة في ضيعته في فارتسين (الواقعة حاليا في بولندا). وانتقل بعد شهر من وفاة زوجته في ٢٧ نوفمبر ١٨٩٤ إلى فريدريشسروهه بالقرب من هامبورج, منتظرا بلا جدوى خطاب استدعائه للخدمة مرة أخرى. وبمجرد خروجه من السلطة بدأ المواطنون في تمجيده, فجمعوا الأموال لبناء النصب التذكارية تخليدا له. وقد كان شهرته

الواسعة في ألمانيا، فسميت العديد من المباني باسمه، وألفت الكتب عنه وحققت نجاحا كبيرا، ورسمه الكثير من الرسامين ومن بينهم فرانتس فون لينباخ وألرز.

بسمارك: صانع الوحدة الألمانية في عهد القيصرية الثانية:

ولد أوتو فون بسمارك في الأول من نيسان/ أبريل عام ١٨١٥ بمدينة شونهاوزن على نهر الإلبه التي تقع اليوم في ولاية ساكسونيا أنهالت. بعد إنهائه للمرحلة الدراسة الثانوية التحق بجامعة غوتنغن ومن ثم بجامعة برلين حيث درس الحقوق. وفي عام ١٨٣٥ عمل في دوائر رسمية عديدة في كل من مدينة بوتسدام وآخن قبل أن ينتقل إلى مدينة غرايفسفالد حيث درس الزراعة في جامعتها. وبعد وفاة والديه عاد إلى شونهاوزن من أجل الاهتمام بأملاك العائلة وزراعة أراضيها. غير أن مجال الزراعة لم يفلح وحده في السيطرة على اهتمامه، ما بدا جليا في ميوله السياسية وانشغاله بالفلسفة والفنون وعلوم الدين والأدب.

كان بسمارك في الفترة التي تلت عام ١٨٣٥ عضوا فعالا في صفوف المحافظين برلمان بروسيا. وكان مؤيدا للحكم الملكي خلال ثورة /١٨٤٨ ١٨٤٩، إذ رفض مطالب الجمعية الوطنية التي كانت تنادي بإقامة دولة ديمقراطية. وهكذا بدأ بسمارك مسيرته السياسية حيث عينه الملك فيلهلم الأول رئيسا لوزراء بروسيا ووزيرا لخارجيتها، ثم اصبح بعد ذلك مستشارا للقيصرية الألمانية الثانية التي يعتبر نفسه مؤسسها إبان الحرب الألمانية الفرنسية ١٨٧٠/ ١٨٧١.

بعد صعود بسمارك الذي يطلق عليه اسم المستشار الحديدي إلى سدة الحكم عام ١٨٧١ كان شغله الشاغل بناء أساس اقتصادي وسياسي قادر على المنافسة في ألمانيا التي لا تملك أية مستعمرات تستغلها من أجل الحصول على النفوذ والثروة، وهكذا فقد عمد إلى عسكرة الاقتصاد من خلال سن قوانين صارمة تعتبر مثالا للدقة وحسن الأداء. كما بذل كل ما في وسعه من أجل المضي قدما باقتصاد ألمانيا على نحو تميز بالدقة والقوة، وهو ما يعرف حتى يومنا بسياسة النار والحديد.

أما سياسة بسمارك الخارجية فقد تمثلت بعد توحيد ألمانيا في الإبقاء على ما حققته القيصرية الألمانية من مكاسب في أوروبا، إضافة إلى إحلال السلام للحيلولة دون إثارة حرب تتمكن فرنسا فيها بعد إيجاد حلفاء لها من استعادة مقاطعتي الإلزاس واللورين. وسعى بسمارك إلى عزل فرنسا عن بقية الدول الأوروبية وبالذات عن النمسا وروسيا كي لا يضطر لاحقا إلى خوض حرب على جبهتين اثنتين مع روسيا من جهة وفرنسا من جهة أخرى. كان بسمارك يأمل في الوقت ذاته في أن تحقق ألمانيا تطورا ونموا في فترة السلام هذه، لذا فقد عمل على توقيع معاهدات سلام مع روسيا وإمبراطورية النمسا والمجر عام ١٨٧٣.

بعد موت الإمبراطور فيلهلم الأول عام ١٨٨٨ خلفه على العرش ابنه المريض فريدريش الثالث الذي لم تدم فترة حكمه سوى ٩٩ يوما قبل وفاته. بعد ذلك اعتلى ابن فريدريش فيلهلم الثاني عرش القيصرية الذي أراد من خلاله الاستفراد بالحكم فأجبر المستشار بسمارك على الاستقالة عام ١٨٩٠، توفي بسمارك في ٣٠ تموز /يوليو عام ١٨٩٨ في مدينة فريدريشزروه بمحاذاة مدينة هامبورغ. الجدير بالذكر أن المستشار الحديدي حظي بعد إقالته التي اعتبرها بمثابة تشييع لجثمانه "جنازة من الدرجة الأولى" بشعبية وتقدير لم يسبق لهما مثيل. وفي هذا السياق أطلق اسمه على شوارع كثيرة، وأقيمت نصب تذكاريه له في مدن عدة ومنحته درامشتادت وميونخ وهامبورغ وكاسل وكولونيا ومدن أخرى لقب مواطن الشرف .

دبلوماسية بسمارك :

أعد بسمارك خططا لمستقبل الإمبراطورية الألمانية خلال دورته ممثلاً لبروسيا في المجلس التشريعي الألماني في فرانكفورت من ١٨٥١م إلى ١٨٥٩م. مثل بسمارك بلاده في روسيا أولاً وبعدها في فرنسا . استُدعي إلى بروسيا في ١٨٦٢م، ليصبح رئيسًا للوزراء ووزيراً للشؤون الخارجية.

حروب بسمارك. خاض بسمارك ثلاثة حروب لتوحيد الولايات الألمانية . كانت هذه الحروب ضد الدنمارك في سنة ١٨٦٤م، وحرب الأسابيع السبعة ضد النمسا في سنة ١٨٦٦م، والحرب الفرنسية - البروسية (١٨٧٠ - ١٨٧١م). تُوّج

ملك بروسيا ولهلم الأول إمبراطورًا على ألمانيا بعد أن دحرت بروسيا نابليون الثالث. أصبح بسمارك مستشارًا للرايخ الثاني للإمبراطورية الألمانية الجديدة. وكان يدعى المستشار الحديدي.

ديلوماسية بسمارك: بُني نجاح بسمارك في تحقيق الوحدة الألمانية والسيادة الوطنية، على القسوة والسياسة العسكرية الصارمة والحكمة السياسية الاستثنائية، وبراعة التنفيذ، والمهارة الديلوماسية الصائبة. كرّس بسمارك عبقريته في عقد المعاهدات التي تحصّن وضع ألمانيا في أوروبا.

عقد الحلف الثلاثي مع النمسا وهنغاريا (المجر) وإيطاليا والذي استمر حتى الحرب العالمية الأولى. رأى أن وضع ألمانيا في أوروبا يمكن أن يتعرض للخطر، فعقد اتفاقية مع روسيا تضمنت حياد ألمانيا في حالة أي هجوم على روسيا. عدَّ بسمارك السلام مع روسيا حجر الزاوية في سياسته. لأنه يمنع ألمانيا من خوض حرب على جبهتين.

قام ولهلم الثاني، الذي أصبح ملكًا في سنة ١٨٨٨م بطرد المستشار الهرم، لأنه كان يغار من الشهرة التي نالها بسمارك. وبعد أن تقاعد بسمارك أشرف على ممتلكاته في فريدريك زرو، وتوفي في ٣٠ يوليو سنة ١٨٩٨م.

تاريخ ألمانيا: صعود الدولة القومية ووصول بسمارك إلى السلطة .

مصالح بروسيا كانت على رأس أولويات المستشار الحديدي بسمارك على خلاف ما هو شائع في الأدب السياسي العربي ركز بسمارك في بدايات سلطته على تكريس مصالح مملكته بروسيا. غير أن انتصار الأخيرة على فرنسا وتأسيس الرايخ الألماني فرض عليه لعب دور أكبر من حدود مملكته.

مع الإعلان رسميا عن نهاية الإمبراطورية الرومانية المقدسة في عام ١٨٠٦ بدأت حقبة جديدة من التاريخ الألماني. وقد تميزت هذه الحقبة كغيرها من حقب سابقة بالكثير من الصراعات والحروب الإقليمية والدولية بين مختلف القوى المتنفذة في أوروبا. كما توافقت مع انتشار الأفكار القومية في القرن التاسع عشر كرد فعل على حالة التمزق والتفتت السائدة حينذاك. إذ تشير المصادر الى

أن المناطق الناطقة بالألمانية كانت تضم في عام ١٧٨٩ نفس هذا الرقم من الدويلات والممالك والإمارات والمدن الحرة. وهو ما شكل عائقا في وجه التطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي. وعلى ضوء ذلك فإن الطموحات الرامية إلى تأسيس دولة قومية موحدة لم تأت من فراغ وإنما تحت تأثير العديد من العوامل.

نمو الشعور القومي بعد الانتصار على نابليون

الفيلسوف فيشته صاحب رسائل شهيرة وجهها إلى الأمة الألمانية وتوصف بالشوفينية

ففي المجال الفكري ساهم عدد من المفكرين البارزين في الدعوة إلى لأفكار القومية ولتأسيس دولة موحدة قادرة على منافسة الدول القومية الأخرى في أوروبا. وتجدر الإشارة هنا الى الدور الهام الذي لعبه كل من الفيلسوف يوهان غوتليب فيشته (١٧٦٢ لأ ١٨١٤) والعالم اللغوي الشهير يوهان غوتفريد هيردر (١٧٤٤ لأ ١٨٠٣) في هذا المجال، هذا بالإضافة الى الدور الذي لعبه الطلاب ومنظماتهم في النهضة القومية.

كما وجد الوعي القومي صداه في حروب الاستقلال ضد طموح إمبراطور فرنسا نابليون بونابرت بالسيطرة على أوروبا. وقد شكلت معركة الأمم في عام ١٨١٣ قرب مدينة لايبزج شرق ألمانيا مرحلة حاسمة في هذه الحروب التي أدت الى تعميق الفكر القومي. الجدير ذكره أن جيوش بروسيا والنمسا وروسيا والسويد ودول أوروبية أخرى ألحقت هزيمة كبيرة بجيوش نابليون في هذه المعركة.

الثورة الصناعية اصطدمت بالحدود الجمركية

بدأت بواكير الثورة الصناعية التي انطلقت من بريطانيا، بالوصول الى ألمانيا منذ أوائل القرن التاسع عشر. وقد أدت عملية التصنيع الى انتعاش اقتصادي ملحوظ وإقامة شبكات كثيفة للمواصلات وخاصة شبكة السكك الحديدية التي ربطت بين مختلف المدن والمناطق. من جهة أخرى ترافق التطور الاقتصادي مع

تغيرات اجتماعية عميقة، أهمها ظهور وتنامي نفوذ الطبقة البرجوازية والفئات الوسطي وبروز الحركة العمالية، هذا بالإضافة الى الكثير من المشاكل الاجتماعية. وهذا ما ساهم في انتشار الأفكار الليبرالية الداعية إلى إجراء إصلاحات جذرية. وعزز من ذلك اصطدام النمو الاقتصادي بالقيود الجمركية الناجمة عن انقسام ألمانيا إلى العديد من الدويلات المستقلة. ولذا تعالت الأصوات الداعية وخاصة في بروسيا إلى توحيد السوق. وقد تمخض عن ذلك في البداية تأسيس الاتحاد الجمركي الذي شمل غالبية الدويلات الألمانية في عام ١٨٣٤.

رابطة شمال ألمانيا كنواة للرايخ الألماني

في شهر شباط / فبراير من عام ١٨٤٨ بدأت حالة الغليان الثوري في فرنسا. وسرعان ما امتد تأثيرها إلى المناطق الناطقة بالألمانية التي شهدت في شهر آذار/ مارس من نفس العام اندلاع ثورة عارمة أدت إلى سقوط نظام الزعيم النمساوي ميترنيخ المعادي للأفكار الليبرالية. من جهة أخرى حاولت السلطات في مختلف المناطق امتصاص النقمة الشعبية من خلال منح المواطنين بعض الحريات كحرية الصحافة وحرية التظاهر وتكريسها في الدساتير السارية.

وفي شهر أيار/ مايو من العام المذكور أقيمت انتخابات في معظم المناطق الألمانية لاختيار مندوبي الجمعية الوطنية الألمانية كهيئة برلمانية لعموم ألمانيا. وقد أصدرت الجمعية في ٢٨ مارس/ آذار من عام ١٨٤٩ دستورا جديدا على أن يسري على كافة المناطق الألمانية. كما جرت محاولات لإحياء ما يدعى بالرابطة الألمانية (أو الاتحاد الألماني) الذي تأسس في عام ١٨١٥ في مؤتمر فيينا. لكن محاولات وضع فكرة إقامة دولة ألمانية موحدة تضم جميع المناطق الألمانية بما فيها النمسا موضع التطبيق كانت تصطدم بالصراع الدائر بين كل من الإمبراطورية النمساوية ومملكة بروسيا حول تقاسم النفوذ في وسط أوروبا. وقد توج هذه الصراع باندلاع الحرب بين بروسيا وحليفاتها من الدويلات الألمانية الشمالية من جهة وبين النمسا المدعومة من قبل بعض الولايات في جنوب ألمانيا من جهة أخرى. وانتهت هذه الحرب في تموز/ يوليو ١٨٦٦ الأخيرة، ما أسفر عن

تأسيس رابطة شمال ألمانيا في ١٨آب / أغسطس من نفس العام بمبادرة من رئيس وزراء بروسيا اوتو فون بسمارك. وضمت هذا الرابطة في البداية سبع عشرة دولة وإمارة إلى جانب بروسيا. وقد اكتسبت زخما أقوى من خلال انضمام مملكة سكسونيا إليها. كما دفع تعاظم نفوذ بروسيا دويلات وإمارات أخرى في جنوب ألمانيا إلى التقارب مع الرابطة.

الحرب الألمانية- الفرنسية توجت بتأسيس الرايخ الألماني

فتح انتصار بروسيا على النمسا مجالاً واسعاً أمام بسمارك لتزعم الحركة القومية الألمانية الرامية إلى تشكيل دولة قومية للألمان. ورغم أن توحيد ألمانيا في القرن التاسع عشر يربط عادة باسم بسمارك، إلا أن المبدأ القومي لم يكن يلعب في البداية دورا كبيرا في تصوراته وخططه السياسية. وبخلاف ما هو شائع في الأدب السياسي والفكر القومي العربي والذي يحاول إضفاء هالة على بسمارك ويميل الى تمجيده كبطل قومي، فإن سياسته كانت تهدف بالدرجة الأولى الى تكريس مصالح بروسيا وضمان نفوذها وهيمنتها. وقد عمد نهاية الستينات من القرن التاسع عشر إلياستغلال تصاعد التوتر في العلاقات بين فرنسا وبروسيا من أجل هذا الهدف وأهداف أخرى. وقد نشأ هذه التوتر بعد الخلاف حول تسمية مرشح للعرش الأسباني آنذاك.

وسرعان ما تفاقمت الخلافات في تموز / يوليو من عام ١٨٧٠ عندما أقدم إمبراطور فرنسا نابليون الثالث على إعلان الحرب ضد بروسيا. وهو ما دفع ولايات جنوب ألمانيا إلى الوقوف الى جانب بروسيا. وقد تمكنت الأخيرة من دحر الجيش الفرنسي وحسم الحرب الألمانية الفرنسية لصالحها في معركة سيدان مطلع سبتمبر/ أيلول ١٨٧٠. وفي مطلع العام التالي ١٨٧١ انتهت الحرب باستسلام فرنسا. وفي الثامن عشر من يناير/ كانون الثاني من العام المذكور تم الإعلان رسميا عن تأسيس الرايخ الألماني في قصر فرساي قرب باريس. ويرى الكثيرون من المؤرخين أن اختيار هذه المكان شكل استفزازا للمشاعر الفرنسية وساهم في تغذية العداء التاريخي بين فرنسا وألمانيا. وبموجب دستور الدولة الجديدة أصبح ملك بروسيا فيلهيلم الأول قيصرا للرايخ الألماني. أما بسمارك

فقد تولى بصفته رئيس وزراء بروسيا منصب مستشار الرايخ الألماني. وهو منصب احتفظ به حتى عام ١٨٩٠.

بسمارك تحقيق الوحدة الألمانية بالقوة

عندما وقعت أحداث ١٨٤٨ م اقترح على الملك إخماد الثورة بالقوة وطلب منه السماح له باستخدام فرقة من فلاحيه للقضاء عليها ، وفى عام ١٨٤٩ انتخب لأول مره عضواً فى البرلمان البروسى الجديد. وكان موقفه متشدداً ضد الأغلبية الليبرالية. وبعد حل برلمان فرانكفورت عين مندوباً لبروسيا فى " الدايت " الألمانى ، وفى عام ١٨٥٩ م عين سفيراً لبروسيا فى موسكو وفى مايو ١٨٦٢ م عين لفترة سفيراً لبروسيا فى باريس ، ثم أستدعى لتولى الوزارة .

ومنذ بداية حكمه عبر عن حقيقة اتجاهه نحو الوحدة القومية ،عندما صرح بأن ألمانيا لا تتطلع إلى بروسيا فى تحقيق الوحدة بسبب ما تتمتع به من حكم ليبرالى وإنما لقواتها، وأن المسائل الكبرى فى ذلك العصر ، كمسئلة الوحدة ، لا تتحقق بالخطب وقرارت الأغلبية كما حدث فى سنة ١٨٤٨ م و ١٨٤٩ م ، ولم يؤد إلى نتيجة وإنما تتحقق "بالدم والحديد " .

على هذا النحو أعلن بسمارك سياسته فى تحقيق الوحدة الألمانية ، وهى القوة على أن بسمارك لم ينجح بواسطة القوة وحدها بل بواسطة القوة والدبلوماسية معاً، وتقوم شهرته فى الحقيقة ، لا على خلق الظروف، بل على الأستفادة الذكية من الظروف بالدرجة الأولى وخصوصاً فى المراحل الأولى. ويمكن تتبع سياسته التى أدت فى النهاية الى تحقيق الاتحاد الألمانى على النحو الأتى :

اولاً : فى البداية حارب بسمارك اتجاه النمسا لتدعيم سلطانها وتقويته فى ألمانيا .

وكانت النمسا قد وجهت دعوه لعقد اجتماع الأمراء الألمان فى فرانكفورت لبحث مشروع قدمته لإصلاح الدستور التعاهدى الألمانى . وكان إمبراطور النمسا

يرى أنه يستطيع بتحدثه مع الأمراء الألمان أنفسهم ، لا مع مندوبيهم ، التوصل إلى غايته بشكل أفضل .

ولكن بسمارك أحس بأن اصلاحات تنفيذ بإرشاد النمسا وبتسليم بروسيا . لن تكون نتيجتها الا تدعيم سلطان النمسا وتقويته فى المانيا، ولذلك اتجهت خطته إلى عدم تمثيل بروسيا فى فرانكفورت، لإحباط المشروع النمسوى وهو فى المهد، واستطاع أن يحصل على موافقة ملك بروسيا قسرا، بعد ان هدد بإستقالته.

وعندما افتتح المؤتمر فى ١٤ اغسطس ١٨٦٣ م كان واضحاً أنه لايمكن إصلاح الاتحاد الألمانى دون إرضاء بروسيا، وعندما ابلغت النمسا بروسيا بمشروع الإصلاح فى ٢٢ سبتمبر ١٨٦٣ م اجابت بوضع ثلاثة شروط

١- مساواة بروسيا للنمسا للحقوق فى الاتحاد، أى تكون رئاسة الاتحاد مناوبة بين بروسيا والنمسا .

٢- أن يكون لبروسيا الحق فى رفض اعلان الحرب على دولة أخرى أو قرر البرلمان الفيدرالى الحرب ، ومعنى ذلك ان تحتفظ بروسيا باستقلال سياستها الخارجية .

٣- ألا تتنازل عن حق من حقوقها إلا لبرلمان يمثل الأمة الالمانية بأثرها .

وعندما طلبت النمسا من جميع الحكومات الألمانية تشكيل الاتحاد دون رضاء بروسيا، رفض الأمراء ذلك لانهم لم يتصوروا اتحاداً المانياً بدون بروسيا. وقد كانت أهمية هذا القرار هو اقتناع الرأى العام الألمانى بان لا وحدة ممكنه بأى شكل من الأشكال إذا لم تدخل فيها بروسيا، وكان هذا الاقتناع مهماً جداً للمستقبل. وهنا يلاحظ أن المصالح المادية للشعوب الألمانية كانت مرتبطة فى الحقيقة بالاتحاد الجمركى (الزولفراين) الذى تشكل تحت إدارة بروسيا ولم تشارك فيه النمسا.

ثانياً : فى نفس العام ١٨٦٣ م سنحت الظروف لبسمارك لتأمين حدود بروسيا الشرقية من أى صراع تخوضه ضد النمسا وذلك عندما اندلعت الثورة فى بولندا الروسية، وقمعت قمعاً عنيفاً. واستفز هذا القمع الرأى العام فى

فرنسا وإنجلترا والنمسا، واتفقت الدول الثلاثة على تقديم مذكرة إلى روسيا تحضها فيها على منح بولندا استقلالها الداخلى ، ودعيت بروسيا إلى تأييد هذاالمطلب على أن بسمارك لم يكتف فقط برفض الاشتراك فى تقديم هذه المذكرة ، بل وقع مع روسيا اتفاقية حربية تحمل فى ظاهرها دلائل إهتمامهما المشترك فى بسط الأمن بين شعب مشاغب ، فضمن بسمارك منذ تلك اللحظة تحالفه مع روسيا .

وفى الحقيقة ان بسمارك وهو يفعل ذلك ، لم تكن عينيه فقط على الحدود الشرقية فقط وانما ايضاً على الجزء البولندى الخاضع لبروسيا .

ففى ذلك الحين كان بسمارك يرى أن الحل الوحيد للمشكلة البولندية فى بلاده هو فى تحويل البولنديين إلى بروسيين بأقل تأخير مستطاع ، والقضاء على لغتهم وإزالت ثقافتهم القومية من الوجود، ولم يكن يسمح بطرح هذه المسألة على مؤتمر دولى بل لقد ذكر أنه يؤثر على ذلك سلخ أراضى الراين نفسها ! وعلى كل حال فيلاحظ أن بسمارك فى هذه المسألة لم يخلق الظروف لتدعيم علاقة بروسيا ، انما احسن استخدام الظروف .

ثالثاً : ولم تلبث ان برزت فى العام التالى ١٨٦٤ ميلادى ، مشكلة شلزفيج وهولشتاين ، لتقدم لبسمارك فرصة أخرى تتبدى فيها مهارته السياسية ، وتدفع ببروسيا خطوة أخرى على طريق تزعم حركة الوحدة الألمانية .

وكانت هاتان الدوقيتان الواقعتان فى شمال شرقى المانيا فى شبه جزيرة جاتلاند Jutland تابعتين لملوك الدنمارك شخصيّاً منذ ١٤٩٠ م وإن لم تكونا جزءاً من مملكة الدنمارك . وكانت شلزفيج التى تقع شمال هولشتاين ويبلغ عدد سكانها ٣٩٥ الفاً منهم ١٥٠ الف يتكلمون الألمانية ، فى حين كان سكان هولشتاين يبلغ عددهم ٥٤٠ ألف نسمة ، ولغتهم الألمانية . وكانت هولشتاين من قبل جزءاً من الأمبراطورية الرومانية المقدسة ، واعترفت بها معاهدة فيينا سنة ١٨١٥ م عضواً فى الإتحاد الكنفدرالى (التعاهدى) الألمانى the Germanic confederation. ومنذ أن ظهرت الحركات القومية فى القرن التاسع عشر

وجد فى الدوقيتين حركة تنزع إلى الارتباط بالاتحاد الألمانى فى الوقت الذى كانت الدنمارك تتوق الى ضمهما.

وفى عهد فردريك السادس ملك الدنمارك (١٨٠٨- ١٨٣٩ م) حاول ادماج الدوقيتين نهائيّاً فى مملكته. ولكن محاولته وجهت بمعراضة بيت أوجستنبورج augustenburg، الذى كان يطمع فى الوصول الى العرش عند انقضاء نسل الذكور فى البيت الدنماركى الحاكم طبقاً للقانون فى هاتين الدولتين.

ولكن فى عام ١٨٤٦ م اعترف كريستيان الثانى (١٨٣٩ - ١٨٤٨م) بحق اخته الأميرة شارلوت وورثتها فى حكم دوقيتى شلزفيج وهولشتاين بعد وفاة ابنه ، وقد أثار هذا العمل غضب الدوقيتين اللتين كانتا تتوقان إلى خضوعهما لحاكم ألمانى . وثار الألمان فى الدوقيتين عندما بدأت القوات الدنماركية فى احتلال شلزفيج، وألفوا حكومة مؤقتة فى (كـيـيل) فى ٢٤ مارس ١٨٤٨ م وايدهم برلمان فرانكفورت .

وأفسح ذلك لحربين خاضهما الجيش البروسى ضد الدنمارك وقد انتهتا بعقد مؤتمر فى لندن ضم بريطانيا وبروسيا والنمسا وروسيا وفرنسا والسويد والدنمارك وتم الإتفاق فى البروتكول الذى وقع فى ٨ مايو ١٨٥٢ م على تثبيت وراثة العرش وحكم شلزفيج وهولشتاين ووقعت بروسيا مع النمسا على هذه المعاهدة ، وأما الدوق أوجستنبرج المطالب بالعرش ، فقد قبل تعويضاً كبيراً لقاء تنازله عن مطالبه ودعاويه ، ولم يدع الإتحاد الألمانى لتوقيع المعاهدة ، كما لم توقع الدوقيتان . على انه لم تكن تمضى عشرون عاماً على المعاهدة حتى نسى فردريك السابع ملك الدنمارك بنود البروتكول ، وأصدر فى ٣٠ مارس ١٨٦٣ م دستوراً تضمن إدماج شلزفيج فى مملكته ومنح هولشتاين الإستقلال الداخلى وعند ذلك استنجدت هولشتاين " بالدايت " الألمانى الذى اعتبرنفسه مطلق اليد نظراً لأنه لم يشترك فى توقيع معاهدة لندن ولم يوافق عليها ، وتقدم ابن الدوق اوجستنبرج الذى تنازل عن العرش معلناً ان تنازل ابيه ليس ملزماً له وقد رد فردريك السابع ملك الدنمارك على ذلك فى ١٣ نوفمبر ١٨٦٣ م بإصدار دستور أخر ضم فيه الدوقيتين نهائياً إلى مملكة الدنمارك ، وبذلك نقض بروتكول لندن

١٨٥٢ م. وفى سياق هذه التعقيدات ، توفى فردريك السابع بعد يومين وخلفه الأمير كريستيان التاسع الذى وضع الدستور الأخير موضع التنفيذ.

وقد كانت تلك هى الظروف التى انتهزها بسمارك للقيام بسلسلة من المناورات التى أدت فى النهاية إلى سقوط الدوقيتين فى يد بروسيا ،فمع انه كان احد الموقعين على بروتكول لندن ، وبالتالى فقد كان ملزماً بالإعتراف بكريستيان التاسع ، إلا أنه اعتزم العمل على محاربته .

ففى ذلك الحين قرر "الدايت" الألمانى لسان حال الإتحاد الإعتراف بأوجستنبرج أميراً على شلزفيج وهولشتاين، وطلب إلى الدنمارك ان تجلو عن دوقيتي شلزفيج وهولشتاين ولاونبرج ، وكانت القوات التى تحت تصرف الإتحاد قوات ضعيفة ولذلك انتهز بسمارك الفرصة للتدخل ، وعرض على النمسا الاشتراك فى الحرب، ومع أن النمسا لم يكن لديها أى سبب مباشر للاشتراك، ونظراً لأنها كانت دولة متعددة القوميات وكان من الخطر أن تتدخل لصالح ألمان الدوقيات باسم القومية إلا أنها خشيت انفراد بروسيا بنجدة ألمان الدوقيات وتقاعسها هى عن ذلك ، وتم الاتفاق فى يناير ١٨٦٤ م على تقديم إنذار نهائى إلى الدنمارك بإلغاء دستور نوفمبر ، وقد صيغ فى أسلوب يجعل قبوله مستحيلاً!

وسار كل شيء طبقاً للخطة الموضوعة ، فقد رفضت الدنمارك الإنذار ، وتقدمت جيوش بروسيا والنمسا لغزو الدوقيتين ، وأكره كريستيان على طلب الصلح ، وتنازل للدولتين الألمانيتين عن حقوقه فى شلزفيج وهولشتاين، وفى دوقية لاونبرج الصغيرة.

ثم أختصت بروسيا بإدارة شلزفيج ، واختصت النمسا بهولشتاين فى معاهدة جشتاين Gastein سنة ١٨٦٥ م. وهكذا أحبط بسمارك دعاوى بيت اوجستنبرج ، رغم رأى غالبية الأمة الألمانية. على ان بسمارك لم يكن جاداً فى التقسيم ، لأن شلزفيج التى اختص بإدارتها كانت تقع فى الطرف الشمالى الأقصى وتفصلها عن بقية ألمانيا هولشتاين فضلاً عن غالبية سكانها يتكلمون الدنماركية ، فى حين كانت هولشتاين التى اختصت بها النمسا ألصق بألمانيا، كما ان سكانها جميعاً كانو المانيين، يضاف الى ذلك ان برزخ كييل كان يقع وسط الدوقيتين وكان

فى نية بسمارك حفر قناة تخدم أغراض بروسيا الإقتصادية، وكان التقسيم على هذا النحو يعرقل مشاريعه.

لذلك فلم يكن مفر من الحرب مع النمسا ، وبات يترقب فرصة للاحتكاك بها على أنه قبل أن يفعل ذلك كان عليه أن يعزل النمسا ويدعم موقفه . ولما كان مطمئناً من ناحية حدود بلاده الشرقيه مع بروسيا فقد اتجه همه إلى ضمان حياد فرنسا ومعاونة ايطاليا لبلاده .

وبالنسبة لفرنسا فقد تقابل نابليون الثالث مع بسمارك فى بياريتز Biaritez فى ٣٠ سبتمبر ١٨٦٥ م ، بعد فشل الحملة الفرنسية فى المكسيك، مستغلاً ان نابليون الثالث فى تعويض هذه الهزيمة بنجاح فى ميدان أخر، وأبدى استعداده للنظر فى توسيع رقعة فرنسا إذا ما ضمن حيدتها فى الحرب القادمة بينه وبين النمسا وموافقتها على عقد تحالف بروسى إيطالى.

وأما بالنسبة إلى إيطاليا. فقد اشترى بسمارك مساعدتها بوعدها بضم مقاطعة البندقية إليها، وأبرم التحالف البروسى الإيطالى فى ٨ ابريل ١٨٦٦ م بالفعل وبمقتضاه رضيت إيطاليا أن تعلن الحرب على النمسا بشرط الا تعقد بروسيا الصلح مع النمسا قبل ضم البندقية إلى إيطاليا .

ثم أقدم على خطوة لكسب ولاء الشعوب الألمانية ، فتقدم فى اليوم التالى لإبرام التحالف البروسى الإيطالى المشروع إلى (الدايت) الألمانى بإصلاح عام للاتحاد التعاهدى الألمانى ، ودعوة الناخبين إلى انتخاب برلمان ألمانى (تنتخبه الأمة الألمانية كلها) بواسطة الانتخاب المباشر على أساس حق الإنتخاب للجميع ، للنظر فى مقترحات الحكومات لإصلاح الدستور الفيدرالى. وكان غرضة من هذا المشروع الثورى (لم يكن اى قطر من الأقطار الألمانية قد عرف حق الإنتخاب المباشر للجميع حتى ذلك الوقت) ان تثبت بروسيا انها تهتم فعلاً بمصالح الأمة الألمانية ورغباتها ، وبذلك تلتف حول بروسيا فى صراعها المقبل .

وفى تلك الأثناء كانت الأحوال فى هولشتاين تنبئ بقرب الصدام مع النمسا، فإن الدوق اوجستنبرج كان يقوم بدعاية ضد معاهدة جشتاين بتشجيع السلطة النمساوية، فطلبت حكومة بروسيا الى الحكومة النمسوية قمع هذه الدعاية، ولكن النمسا ردت فى ان كل دولة منهما حرة فى العمل داخل منطقة إدارتها فى اول يونيو ١٨٦٦ م حدث ما كان يتوقعه بسمارك. فقد قررت الحكومة النمساوية إحالة قضية شلزفيج وهولشتاين إلى " الدايت " واعترض بسمارك بأن هذا القرار يعد إنتهاكاً للمعاهدة التى ابرمت بين بروسيا والنمسا فى يناير ١٨٦٤ م بمناسبة قضية الدوقيتين ، وأمر القوات البروسية بدخول هولشتاين.

فردت النمسا بعرض الأمر على الدايت على اعتبار أن هولشتاين هى عضو فى الاتحاد الألمانى وطلبت إلى الحكومات الألمانية إعلان الحرب على بروسيا .

وهنا انقسمت الدول الأمانية بين النمسا وبروسيا فبينما وقفت دول الجنوب وبعض دول الوسط ودولة واحدة هى هانوفر فى ألمانيا الشمالية إلى جانب النمسا وقفت الدول الصغيرة إلى جانب بروسيا .

وفى يونيو ١٨٦٦ م قطعت العلاقة بين النمسا وبروسيا ، وفى الأسبوع الأول من الحرب سحقت بروسيا المقاومة النمساوية التى جابهتها فى الشمال الغربى من ألمانيا، واستولى البروسيون على سكسونيا وهانوفر والتقوا مع الجيش النمسوى فى بوهيميا عند سادوا Sadwa حيث دارت معركة من أكبر معارك التاريخ يوم ٣ يوليو ١٨٦٦ م انتصر فيها الجيش البروسى انتصاراً حاسماً .

وأما إيطاليا فقد برت بوعدها فى محاربة النمسا ولكنها هزمت براً فى كستوزا Costozza وبحراً فى ليزا lissa وأرادت القوات البروسية الزحف على فيينا ، ولكن بسمارك السياسى الكبير ، لم يشأ إذلال النمسا توقعاً منه الحرب التالية مع فرنسا ورغبة فى إعادة المصادقة مع النمسا لتحييدها فى الحرب مع فرنسا كما حيد الأخيرة فى حربه مع النمسا. لذلك أثر على إبرام الصلح مع النمسا بشروط لا تحط من شرفها . وابرمت معاهدة براج Prague فى ٢٣ أغسطس ١٨٦٦ م ، وبها ضمت بروسيا هانوفر وبعض أجزار بافاريا ، وكذلك هسدرمشاتات وشلزفيج وهولشتاين ، ومدينة فرانكفورت ، وأصبحت زعيمة

إتحاد المانى شمال يشمل كل الإمارات الواقعه شمال نهر الماين main مع معارضة النمسا لهذا الإتحاد .

أما الإمارات التى فى جنوبى النهر ، فتكون منها اتحاد جنوبى ألمانى ، ولم يشأ بسمارك مراعاة لشعور هذه الحكومات إكراهها على الإنضمام إلى اتحاد الشمال ، وكان من رأيه ان اتحاداً شمالياً هو أقصى ما تستطيع بروسيا ان تطمع فى هضمه فى هذه المرحلة ومع أن الولايات الألمانية الجنوبية كانت قد انضمت إلى النمسا إلا أنه لم يفرض عليها غرامات حربية ، بل إنه لم يسلبها أى أرض . وقد لقى جزاء اعتداله ، فإنه قبل ان ينتهى أغسطس ١٨٦٦ م كانت بافاريا وفيرتمبرج وبادن قد أبرمت إتفاقيات حربية مع حكومة بروسيا .

أما بالنسبة لإيطاليا ، فقد انتزعت البندقية من النمسا وضمت إليها مكافأة لها . وبذلك تمت الوحدة الإيطالية .

ولم يلبث بسمارك أن استدار إلى فرنسا . ذلك أن نابليون الثالث أراد فى شتاء ١٨٨٦ - ١٨٦٧ م الحصول على مكافأة لوقوفه موقف الحياد فى الحرب . ولكن بسمارك أنذره بأن اى تعديل من جهة حدود الراين معناه الحرب ، وعندئذ ولى نابليون الثالث وجهه شطر لوكسمبورج ، حيث استمال ملك هولندة الذى كان يسيطر عليها ليبيع له حقه فيها ، ولكن بسمارك الذى كان يعد لوكسمبورج مفتاح ألمانيا الجنوبية ، وقف فى وجه هذه المحاولة فترتب على ذلك أزمة حادة انتهت بحل وسط فقد اجتمع مؤتمر من الدول الكبرى فى لندن يوم ٧ مايو ١٨٦٧ م ، حيث أبرمت" معاهدة لندن " فى ١١ مايو ١٨٦٧ م التى خرجت بها لوكسمبورج من الإتحاد الألمانى ، وأصبحت دوقية محايدة تضمن حيادها الدول الكبرى تحت السيادة الأسمية لهولندا .

وأحست فرنسا بالمهانة العميقة وبأن الخطوات التى خطاها بسمارك نحو توحيد ألمانيا سوف تهدد مستقبل فرنسا وكانت فرنسا من قبل تعتقد أن الخطر من جهة توحيد ألمانيا يأتى من جانب النمسا لا بروسيا بإعتبارها الدولة الأقوى ، ولذلك وقف نابليون الثالث على الحياد بين بروسيا والنمسا فى الحرب الدائرة بينهما على امل إضعاف الدولتين كل منهما الأخرى ، ثم تقدم ليفرض شروطه ،

فلما تحقق النصر لبروسيا فى سرعة خارقة ، اعلن تيير وزير الحربية الفرنسية أنه يجب توقيف بروسيا عند هذا الحد وأجاب بسمارك بنشر مفاوضاته مع نابليون بعد معركة سادوا التى طلب فيها نابليون منحع بعض الأراضى على شاطئ الراين الأيسر كترضية له.

ورفض بسمارك ذلك ، فظهر بسمارك فى عين الولايات الجنوبية الأربع التى كانت تختلف عن الشمال فى الدين والثقافة فى مظهر المدافع عن السيادة الألمانية ، وسارعت الى الدخول فى الزولفران ، فألف بسمارك منها ومن الرايشستاج Reishstag الألمانى الشمالى برلماناً جمركياً zollparlmnt يحضره ممثلو الولايات الجنوبية ، فكان هذا البرلمان الجمركى برلماناً لجميع المانيا.

وفى ذلك الحين تقدمت المسئلة الأسبانية لتشعل نيران الحرب البروسية والفرتسية . ففى سبتمبر عام ١٨٦٨ م قامت ثورة فى أسبانيا أسفرت عن طرد ملكتها ايزابيلا isabellaa وقرر الثورا أن تكون حكومة أسبانيا ملكية دستورية ، فأختير أخيراً الأمير ليوبولد من أسرة هوهنزولرن - سيجمارينجن Hohenzolien - sigmaringen ليكون ملكاً ، ولكن هذا الإختيار أهاج فرنسا التى خشيت ان يؤدى تولى بروسى عرش اسبانيا الى توحيد الدولتين البروسية والأسبانية وإعادت دولة شرلمان وقلب التوازن الدولى .

ومع أن الملك وليم تقض يده من مسئلة العرش الإسبانى، كما تخلى الأمير ليوبولد عن إعتلاء العرش ، الا ان فرنسا التى كانت تريد الحرب طلبت من ملك بروسيا أن يتعهد بألا يعود مستقبلاً الى المواقفه على ترشيح هذا الأمير لعرش إسبانيا الأمر الذى كان يشكل إهانة لملك بروسيا قابلها بالرفض .

وهنا انتهز بسمارك الفرصة ليظهر رفض وليم فى شكل يهين الأمة الفرنسية، فأعلنت حكومتها الحرب على بروسيا فى ١٩ يوليو ١٨٧٠ م وهى الحرب المشهورة فى التاريخ التى انتهت بهزيمة فرنسا هزيمة ساحقة ووقوع نابليون

الثالث فى الأسر خلال شهر واحد ، وانتهت بإبرام الصلح الذى أجبرت فيه فرنسا على النزول عن الألزاس واللورين فى معاهدة فرانكفورت فى يوم ١٠ مايو ١٨٧١ م .

وقد كان تأثير هذا النصر حاسماً على الحركة القومية الألمانية ، فقد ابتدأت المفاوضات بين بسمارك والدويلات الألمانية ، وانتهت فى نهاية نوفمبر ١٨٧١ م بإنضمام ولايات الجنوب إلى الاتحاد الألمانى الشمالى، ودعى الملك وليم willim يعتلى عرش الاتحاد ألمانى بلقب "إمبراطور" ألمانيا ، وتوج رسميّاً فى ١٨ يناير ١٨٧١ م فى قاعة المرايا فى قصر فرساى versailles وسط احتفالات النصر على فرنسا وذلك تحت وحدة ألمانيا.

2

الفصل الثاني

محاولة السلام الدائم والحرب الرمزية

الفصل الثاني

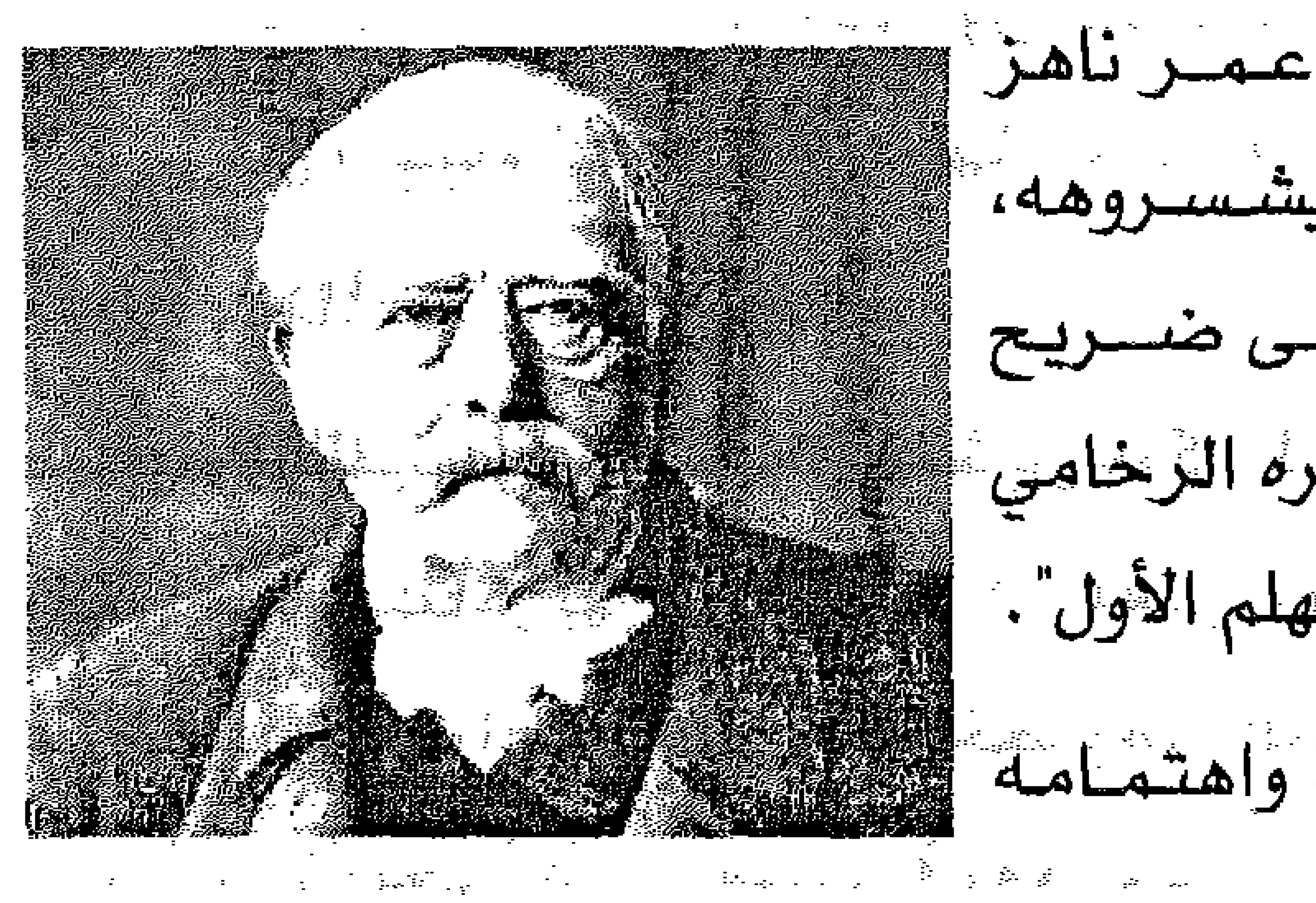
محاولة السلام الدائم والحرب الرمزية

مستشار الإمبراطورية الألمانية :

في عام ١٨٧١ منح بسمارك لقب "أمير فون بسمارك". وعين في نفس السنة مستشارا للإمبراطورية الألمانية الناشئة، بجانب احتفاظه بمناصبه في مملكة بروسيا كرئيس للوزراء ووزير للخارجية. كما سبق وذكرنا وبذلك فقد كان بسمارك على درجة عالية من النفوذ والسيطرة على الشئون الداخلية والخارجية لألمانيا. وقد حدث في عام ١٨٧٣ أن عزل بسمارك عن منصب رئيس الوزراء وعين مكانه ألبر يشت فون رون، غير أن ذلك لم يدم طويلا فما لبث فون رون أن استقال لأسباب مرضية. وعاد بسمارك مرة أخرى ليكون رئيس للوزراء في بروسيا.

النهاية

أنفق بسمارك سنواته الأخيرة في جمع مذكراته المعنونة "أفكار وذكريات". مات في ٣٠ يوليو عام ١٨٩٨ عن عمر ناهز الثالثة والثمانين عاما في فريدريشسروهه، حيث دفن في ضريحه المسمى ضريح بسمارك. وقد نقش على شاهد قبره الرخامي "الخادم الألماني المخلص للقيصر فيلهلم الأول".



رغم دراسته الحقوق والزراعة واهتمامه

بالفنون، فإنه قدر له أن يقود ألمانيا القيصرية إلي عصر ذهبي حافل بالإزدهار والسلام، من خلال سياسته التي اعتمدت القبضة الحديدية.. نحن نتحدث عن أتوفون بسمارك، المولود في أول أبريل عام ٥١٨١ بمدينة شونهاوزن علي نهر الإلبة.

أتم بسمارك المرحلة الثانوية والتحق بجامعة برلين ودرس الحقوق، وكان والده أحد الملاك الزراعيين وكان ضابطاً سابقاً في الجيش البروسي، تزوج بسمارك من «يوهانافون بوتكامر» المنحدرة من إحدي الأسر النبيلة، وفي هذا العام اختير ليكون نائباً في المجلس التشريعي.

واكتسب شهرة كمناصر للملكية وسياسي محنك، وحين اندلعت الثورة في بروسيا في مارس ٨٤٤١ كادت أن تسقط الملك فريديش فيلهلم الرابع، الذي أخمد هذه الثورة وأقر دستوراً يعترف بوحدة الشعب الألماني، لكن المحافظين عادوا مرة أخري للحكم، وفي عام ٩٤٤١ انتخب لعضوية مجلس الشوري.

وفي عام ١٥٨١ عاش في فرانكفورت ثماني سنوات، تغيرت فيها رؤيته لرفض الوحدة، وحين أصيب الملك فيلهلم بالشلل في عام ٨٥٨١ وتولي أخوه الوصايا، أوفد بسمارك سفيراً في روسيا، ثم فرنسا، وفي عام ٢٦٨١ عين رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية.. ليبدأ مشوار توحيد ألمانيا خاصة بعد عام ١٧٨١، حينما عين مستشاراً للإمبراطورية الألمانية، ورحل عن عالمنا «زي النهارده» من عام ٨٩٨١.

أسطورة بسمارك ساهمت في انهيار جمهورية فايمر الديمقراطية" :

مازالت شخصية بسمارك، أول مستشار ألماني وصانع الوحدة الألمانية تثير الكثير من التساءلات وتدبج حولها العديد من الكتب، آخرها كتاب المؤرخ الألماني روبرت غروات.

يقول الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو:"لعبة التاريخ الكبرى تتمثل فيمن يفوز بالقواعد ويستأثر بها ويستعملها في معنى مغاير ويعكسها لترتد إلى نحور الذين فرضوها". القواعد أجل، ولكن خصوصا الرموز التاريخية، التي كثيرا ما قُرئ ميراثها وتاريخها قراءة مسيسة ومغرضة، خصوصا تلك الشخصيات السياسية

التي لعبت أدوارا طلائعية في رسم مصائر بلدانها، وبسمارك أحد هذه الشخصيات التي ظلت حاضرة وبقوة في الذاكرة الجمعية الألمانية، بل وساهمت في تشكيل الحاضر الألماني مرات كثيرة ورسم ملامحه.

ويأتي كتاب المؤرخ الألماني روبرت غروات: "أسطورة بسمارك: الألمان والمستشار الحديدي" ليسلط الضوء على الحرب الرمزية التي احتدمت حول شخصية وإرث بسمارك وعمليات تضخيم وتفكيك هذا الرمز التاريخي التي عرفها الفضاء السياسي الألماني في الفترة التي أعقبت مرحلة حكم بسمارك مباشرة وحتى انهيار العهد النازي.

بسمارك بين الواقع والأسطورة :

قبل مائة وعشرين سنة، في الثلاثين من يوليو ١٨٨٩! توفي أوتو فيرست فون بسمارك عن عمر يناهز ثلاثة وثمانين عاما في مدينة هامبورغ، واستطاع بسمارك الذي شغل منصب المستشار لسنوات طويلة، أن يتحول وهو بعد على قيد الحياة إلى أسطورة ورمز قومي كبير لدى البرجوازية الألمانية. فكرئيس لوزراء بروسيا، وكأول مستشار لألمانيا الشمالية ثم لكل ألمانيا منذ تأسيس الإمبراطورية الجرمانية سنة ١٨٧١، استطاع بسمارك أن يضع حجر أساس الدولة الألمانية الموحدة، وأن يطور نظاما اجتماعيا وأن يحقق السلام في أوروبا عبر توقيع معاهدات كثيرة لكن هزائمه الداخلية ألقت بظلالها على نجاحاته في ميدان السياسة الخارجية. ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى ما اصطلح عليه قانون الاشتراكيين والذي صدر سنة ١٨٧٨، والذي أعطى كافة الصلاحيات للأجهزة الأمنية حتى تضيق الخناق على الاشتراكيين الديمقراطيين، كما خاض بسمارك حربا ثقافية ضد الكنيسة الكاثوليكية من أجل تحقيق فصل واضح بين الدولة والكنيسة. ورغم إقالة بسمارك من منصبه من طرف القيصر الإمبريالي فيلهلم الثاني سنة ١٨٩٠، إلا أن البرجوازية لم تنس قط أن بسمارك كان الرجل الذي حقق الوحدة الألمانية وأسس للإمبراطورية الألمانية، وقد تم الاحتفاء به في كل مكان في ألمانيا، عن طريق بناء تماثيل له، وإطلاق اسمه على العديد من القلاع والمناطق.

بسمارك والحرب الرمزية حول ميراثه :

لا يركز كتاب روبرت غروات على سنوات حكم بسمارك، لأن هدفه تحليل القراءات المختلفة والتطبيقات السياسية المتناقضة التي تعرض لها الإرث البسماركي. لقد ركز الكاتب خصوصا في كتابه على الحضور الرمزي والسياسي لبسمارك في جمهورية فايمار التي امتد عمرها من سنة ١٩١٨ وحتى سنة ١٩٣٣.

إنه يسلط الضوء عن الدور السلبي الذي لعبته أسطورة بسمارك في إضعاف جمهورية فايمار والاتجاه الديمقراطي داخل هذه الجمهورية. فقبل سنة ١٩١٨ يقول الكاتب تم استعمال إرث بسمارك من أجل شرعنة النظام السياسي والاجتماعي القائم في حين تحول بعد هذه السنة إلى سلاح في الصراع ضد ديمقراطية فايمار الوليدة. "العودة إلى بسمارك"، ذاك كان شعار اليمين الألماني في عصر جمهورية فايمار. ولم يستطع اليسار الجمهوري شيئا ضد هذه الأسطورة الضاربة بجذورها في الوعي الجمعي الألماني، ورغم أن القانوني المحسوب على اليسار الليبرالي هرمان كانتروفيتس طالب سنة ١٩٢١ بتجاوز إرث بسمارك وإلا فإن الديمقراطية الوليدة لن تنجح في الاستمرار، إلا أن دعوته لم تلق آذانا صاغية، بل سرعان ما سيعمد النازيون إلى استغلال هذه الأسطورة وأدلجتها بما يتوافق مع أطماعهم القومية.

بسمارك: صانع الوحدة الألمانية في عهد القيصرية الثانية :

رغم دراسته الجامعية للحقوق والزراعة واهتمامه البالغ بالفنون والأدب، التحق بسمارك بالسلك الدبلوماسي ليقود ألمانيا القيصرية إلى عصر ذهبي حافل بالازدهار والسلام من خلال سياسة قبضة حديدية صارمة.

ولد أوتو فون بسمارك في الأول من نيسان/ أبريل عام ١٨١٥ بمدينة شونهاوزن على نهر الإلبه التي تقع اليوم في ولاية ساكسونيا أنهالت. بعد إنهائه للمرحلة الدراسة الثانوية التحق بجامعة غوتنغن ومن ثم بجامعة برلين حيث درس الحقوق. وفي عام ١٨٣٥ عمل في دوائر رسمية عديدة في كل من مدينة

بوتسدام وآخن قبل أن ينتقل إلى مدينة غرايفسفالد حيث درس الزراعة في جامعتها. وبعد وفاة والديه عاد إلى شونهاوزن من أجل الاهتمام بأملاك العائلة وزراعة أراضيها. غير أن مجال الزراعة لم يفلح وحده في السيطرة على اهتمامه، ما بدا جليا في ميوله السياسية وانشغاله بالفلسفة والفنون وعلوم الدين والأدب.

كان بسمارك في تلك الفترة عضوا فعالا في صفوف المحافظين برلمان بروسيا. وكان مؤيدا للحكم الملكي خلال ثورة ١٨٤٨/ ١٨٤٩، إذ رفض مطالب الجمعية الوطنية التي كانت تنادي بإقامة دولة ديمقراطية. وهكذا بدأ بسمارك مسيرته السياسية حيث عينه الملك فيلهلم الأول رئيسا لوزراء بروسيا ووزيرا لخارجيتها، ثم اصبح بعد ذلك مستشارا للقيصرية الألمانية الثانية التي يعتبر نفسه مؤسسها إبان الحرب الألمانية الفرنسية ١٨٧٠/ ١٨٧١.

بسمارك يعسكر الاقتصاد من أجل النفوذ والقوة :

بسمارك من عام ١٨٧١ حتى ١٨٩٠ مستشار للقيصرية الألمانية بعد صعود بسمارك الذي يطلق عليه اسم المستشار الحديدي إلى سدة الحكم عام ١٨٧١ كان شغله الشاغل بناء أساس اقتصادي وسياسي قادر على المنافسة في ألمانيا التي لا تملك أية مستعمرات تستغلها من أجل الحصول على النفوذ والثروة، وهكذا فقد عمد إلى عسكرة الاقتصاد من خلال سن قوانين صارمة تعتبر مثالا للدقة وحسن الأداء. كما بذل كل ما في وسعه من أجل المضي قدما باقتصاد ألمانيا على نحو تميز بالدقة والقوة، وهو ما يعرف حتى يومنا بسياسة النار والحديد.

أما سياسة بسمارك الخارجية فقد تمثلت بعد توحيد ألمانيا في الإبقاء على ما حققته القيصرية الألمانية من مكاسب في أوروبا، إضافة إلى إحلال السلام للحيلولة دون إثارة حرب تتمكن فرنسا فيها بعد إيجاد حلفاء لها من استعادة مقاطعتي الإلزاس واللورين. وسعى بسمارك إلى عزل فرنسا عن بقية الدول الأوروبية وبالذات عن النمسا وروسيا كي لا يضطر لاحقا إلى خوض حرب على جبهتين اثنتين مع روسيا من جهة وفرنسا من جهة أخرى. كان بسمارك يأمل في

الوقت ذاته في أن تحقق ألمانيا تطورا ونموا في فترة السلام هذه، لذا فقد عمل على توقيع معاهدات سلام مع روسيا وإمبراطورية النمسا والمجر عام ١٨٧٣.

شعبية قل مثيلها :


بسمارك

بعد موت الإمبراطور فيلهلم الأول عام ١٨٨٨ خلفه على العرش ابنه المريض فريدريش الثالث الذي لم تدم فترة حكمه سوى ٩٩ يوما قبل وفاته. بعد ذلك اعتلى ابن فريدريش فيلهلم الثاني عرش القيصرية الذي أراد من خلاله الاستفراد بالحكم فأجبر المستشار بسمارك على الاستقالة عام ,١٨٩٠ توفي بسمارك في ٣٠ تموز /يوليو عام ١٨٩٨ في مدينة فريدريشزروه بمحاذاة مدينة هامبورغ. الجدير بالذكر أن المستشار الحديدي حظي بعد إقالته التي اعتبرها بمثابة تشييع لجثمانه "جنازة من الدرجة الأولى" بشعبية وتقدير لم يسبق لهما مثيل. وفي هذا السياق أطلق اسمه على شوارع كثيرة، وأقيمت نصب تذكاريه له في مدن عدة ومنحته درامشتادت وميونخ وهامبورغ وكاسل وكولونيا ومدن أخرى لقب مواطن الشرف.

بين البطولة الفردية والبطولة الجماعية :

تتمتع ألمانيا بموقع متميز بين جميع أمم الأرض، ليس بسبب تقدمها الحضاري والعلمي والثقافي فقط، بل كذلك بسبب ما يتفق البعض على تسميته بـ»المعجزة الألمانية«، حيث نهضت هذه الدولة الأوروبية العظمى من رماد الحرب العالمية الأولى، ثم الثانية بعد سقوط الرايخ الثالث على يد الحلفاء، لتنطلق في مسيرة إعجازية نحو إعادة البناء التي قادتها لتكون اليوم واحدة من أقوى إقتصاديات العالم على الإطلاق. وإذا كان بعض المحللين والمؤرخين يرجعون هذا التطور المذهل إلى إلغاء أو تخفيض النفقات العسكرية إلى الحد الأدنى، كي يتم

التركيز على حقول الصناعة والمعارف السلمية، فإن البعض الآخر من المحللين يرجعون هذه «المعجزة» إلى العقلية الألمانية الجديدة التي ولدت من بين حرائق الحرب لتطلق سلسلة التقدم، كحجر أساس، لكل ما تحقق ويتحقق اليوم. هذا ما جعل من استخدام رمز «العنقاء» رمزًا مطابقًا لحالة ألمانيا، حيث حدثت عملية انطلاق العنقاء من «عمادة النار» fire baptism نحو الأعالي، وكأنها أمة لا تموت.

يذهب المؤرخون إلى أن ألمانيا ما قبل الحربين العالميتين، الأولى والثانية، قد تبنت نوعًا من الفلسفة الاجتماعية المبنية على التقديس الشوفيني للعنصر الآري «الجرماني»، هذا التقديس الذي قاد إلى تعظيم الاعتماد على «البطولة الفردية»، والذي كان سببًا لإشعال وإطلاق طاقات «البطولة الجماعية» الكامنة في داخل الشعب. وقد بدت بوادر هذا الفكر تحت تأثير الحركة الرومانسية المثالية الألمانية transcendentalism، إذ كشفت كتابات «شللر» F. schiller عن آفاق خلق تعاطف وتفاعل بين المؤرخ من ناحية، وبين الفرد، أو الحدث التاريخي المتمركز حول الفرد، من الناحية الأخرى، الأمر الذي أدى إلى التركيز على الجانب الشخصي في صناعة الإنجاز التاريخي. وقد أدى هذا الأسلوب إلى التركيز على الطريقة الانتخابية المعتمدة على انتقاء المرحلة التاريخية الإيجابية التي تساعد على بناء الأمة. لذلك بقي الشعب الألماني يؤمن بقوة بفكرة «الولادة - الموت - الولادة الثانية» (رمز العنقاء، ثانية)، حيث اعتمدت هذه الفكرة على فلسفة «هيردر» Herder ومن ثم على فلسفة تلميذه الفذ «غوته» Goethe، خاصة فيما يتعلق بتطبيقات النظرية الدورية على التاريخ القومي. لقد كان «التطور العضوي» عند هيردر جانبًا مهمًا في حركة تطور المجاميع البشرية، أو الأمم (بدلًا عن التاريخ الكوني)، تلك الأمم التي يشترك أعضاؤها بمشاعر وعواطف قومية وأشكال سلوكية خاصة بها، كنتيجة نهائية لقرون طويلة من التداخل المشترك والتفاعل الجماعي. لذا درس هيردر التاريخ الكوني كحالة مجزأة إلى «وحدات عضوية»، تمتلك كل واحدة منها، وعلى نحو وراثي، قوة «إبداعية وانتظامية» تتمثل فيما يسمى بـ«الروح القومية». لقد بدت هذه الروح،

بالنسبة لمفكري القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكأنها هي المحرك الفعلي للتغيير التاريخي. وهي، لذلك، تعبر عن القوى الوطنية الفاعلة داخل الوحدة الاجتماعية بشكل إيحائي غير مرئي يعمل بصلب تاريخ «الأمة».

أما «نوفالس» Novalis، فهو الفيلسوف الذي كان مدفوعًا بفكرة انبعاث الروح القومية الألمانية، وهي الفكرة التي قادت لبلورة هدف «الوحدة الألمانية». كما اتفق الفيلسوف «فردريك فون شليغل» Schlegel مع نوفالس على هذه الفكرة، ولكنه منح هدف الوحدة الألمانية المنشودة بعدًا دينيًا، بعدًا يتوق إلى روحيات وأخلاقيات العصر الوسيط، كالفروسية والأبوية والقيادة الرشيدة. ومع أفكار هذين المفكرين ظهرت أفكار فلاسفة آخرين من أمثال «فيخته» التي أدت إلى تأسيس حركة قومية تعمل من أجل الوحدة تحت اسم «برلين الفتاة» Berlin Junga يحتمل أن تكون حركة »العربية الفتاة«، التي ظهرت في العصر العثماني، مستوحاة منها).

لقد مهد هؤلاء الفلاسفة، الذين لم يكونوا شوفينيين متعصبين بالمعنى الحديث الشائع اليوم، إلى ظهور حالة منحرفة من نوع تقديس العنصر و«تأليه» الفرد، خاصة قبل الوحدة الألمانية وبعد ظهور نظرية «الرجل الخارق» superman التي ابتدعها وأطلقها الفيلسوف »نيتشه« Nitsche. الشيء الطريف هنا هو أن أقوى أصداء هذه النظريات، القائمة على تقديس روح المجموعة الإثنية الجرمانية Volksgeist وعلى تمجيد البطولة الفردية، قد ظهرت في بريطانيا وليس في ألمانيا، حيث برز كتاب المفكر الاسكتلندي توماس كارلايل الموسوم بـ«في الأبطال وعبادة الأبطال والبطولي في التاريخ»، On Heroes, Hero -Worship, and the Heroic in History، لقد حاول هذا المفكر إيجاد مخرج لمأزق بريطانيا العصر الصناعي الجديد من خلال طرح «نظرية البطل»، متخذًا من اثني عشر بطلًا تاريخيًا نموذجًا لأشخاص غيروا مجرى التاريخ (لاحظ أن الفصل الثاني من الكتاب هو حول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، البطل نبيًا). لم يكن كالاريل يؤمن بالبطولة الديكتاتورية أو الشوفينية القائمة على العصبيات الإثنية أو الدينية، ولكن تعبير أدولف هتلر Hitler ، بعد

عقود، عن إعجابه بهذا الكتاب جعل النقاد يعتبرون كارلايل من مؤسسي الفكر النازي، لسوء الحظ، حيث أدى ذلك إلى صدور كتاب بنفس المعنى بقلم Grierson بعنوان «كارلايل وهتلر» Carlyle and Hitler.

لقد أدت هذه التفاعلات الفكرية وآثارها الاجتماعية في ألمانيا إلى ظهور بطل قومي، هو محقق الوحدة الألمانية في القرن التاسع عشر، المستشار «بسمارك» Bismark، الرجل الذي قاد دولته «بروسيا» (نواة ألمانيا الموحدة) إلى توحيد الممالك والدويلات الألمانية في «ألمانيا واحدة» لأول مرة في العصر الحديث. كان هذا الزعيم الألماني، بسمارك، يؤمن بضرورة تقوية وبناء ألمانيا لتعزيز وتكريس وحدتها، ولكنه اصطدم بآخرين ممن كانوا ينظرون بعين الحسد والمنافسة إلى بناء بريطانيا وفرنسا لإمبراطوريتين عظيمتين في الشرق، مما أدى إلى اعتزال بسمارك ووقوع ألمانيا في مصيدة هذا النوع من القيادة الجديدة الطامحة إلى منافسة الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية عبر بناء إمبراطورية ألمانية. وهكذا لاحت بوادر الاحتكاك بين ألمانيا من جهة، وفرنسا وبريطانيا، من جهة ثانية. وقد تجسدت طموحات هؤلاء القادة الجدد في فكرة مد خط سكة حديد «برلين–بغداد» لأجل الوصول للمياه الدافئة في الخليج العربي، وكذلك من أجل قطع الطريق أمام البريطانيين نحو جوهرة التاج، الهند. كانت هذه السكة واحدة من أهم أسباب اندلاع الحرب العالمية الأولى التي أدت إلى تدمير ألمانيا بالكامل، وأدت بعد حين إلى ولادة العنقاء، ثانية، ولكن عبر تأليه الفرد، أدولف هتلر، الذي قاد ألمانيا إلى الحرب العالمية الثانية. انتهت هذه الحرب إلى سقوط الرايخ الثالث Third Reich وتقسيم ألمانيا إلى دولتين: ألمانيا الشرقية (تحت مظلة الكتلة الشيوعية)، وألمانيا الغربية (تحت المظلة النووية للكتلة الرأسمالية الغربية)، حيث ظهر «جدار برلين»، كرمز للتقسيم وكجرح عميق في النفس الجماعية الألمانية، سياج عملاق يفصل بين الشرق والغرب حتى انتهاء الحرب الباردة يوم سقوطه المشهود في بدايات تسعينيات القرن الماضي.

لقد استفاق الإنسان الألماني، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية محاكمات نورنبيرغ للزعماء النازيين، على دولتين مسحوقتين لم يتبق منهما من

المعالم شيئًا. وعاش الألمان في فاقة وفقر شديدين. ولكن هذا الانكسار النفسي والمادي لم يمنع الألمان من البداية بالخطوة الأولى على درب الألف ميل. وبواسطة «مشروع مارشال»، الذي أعده الغرب لإعادة بناء ألمانيا «الغربية الاتحادية»، تمكن الألمان من لمّ شملهم والسير على طريق البناء، بينما بقي الألمان الشرقيون محتفظين بتفوقهم وقدراتهم من أجل التميز داخل المعسكر الاشتراكي نفسه. وقد لعبت المرأة الألمانية الدور الأبرز في إعادة البناء وإيقاف وطنها على أقدامه بعد أن خسرت ألمانيا في الحرب العديد من الجنود، حيث أدى هذا إلى اختلال في التركيبة الجنسية للسكان: فزادت أعداد الإناث مقارنة بأعداد الذكور. وهكذا بدأت عنقاء ألمانيا تصعد إلى الأعالي من رماد الحريق : فتطورت الصناعات الألمانية على الجانبين الشرقي والغربي بعد أن تحررت من معوقات الهدر والتبديد العسكري لتغدو، ألمانيا الغربية خاصة، واحدة من أعظم دول العالم، صناعيًا وعلميًا، وثقافيًا، وحضاريًا. وعلى المهتم أن يتذكر أن واحدة من أهم غنائم الحرب العالمية الثانية التي فاز بها المعسكران الأميركي والسوفييتي هي سلب العلماء من ألمانيا وأخذهم للاستفادة منهم.

لكن المهم في هذا التغير الكبير لم يكن يكمن في أموال إعادة الإعمار التي خصصها المعسكران الغربي أو الشرقي، ولا في حيوية الفلسفتين، الاشتراكية والرأسمالية اللتين كانتا سائدتين عبر فترة الحرب الباردة على الجانبين. إن سر الانطلاق الألماني الجديد يكمن في ظهور نوع جديد، أو نظرية جديدة للبطولة، بديلًا عن البطولة الفردية التي قادت إلى الديكتاتورية وإلى العنصرية والحروب. هذا النوع الجديد من البطولة الجماعية هو بطولة الفرد داخل الجماعة أو المجموعة الاجتماعية. وهكذا ظهر العامل الألماني جزءًا من عمال مخلصين في عملها، قادرين على غزو أسواق العالم بسيارات الفولكس فاغن للفقراء، والمرسيدس للأغنياء. وظهر كذلك العالم ورجل القلم، ممثلين لفنون السلام والبناء، حيث ازدهرت ألمانيا من جديد لتبرهن للعالم على حيوية الشعب الألماني، ليس كشعب مختار، حسب الأسطورة الآرية، ولكن كشعب محب للسلام، يؤمن بالتعايش على أساس البناء والتفاعل بداخل محيطه الأوربي والعالمي.

لقد تجسد هذا النوع من البطولة الجماعية في بروز فلسفات وأفكار جديدة، معادية للشوفينية الجرمانية، ومؤمنة بالإنسانية وبالمحبة. وكان من أفضل تعبيرات هذه الفلسفات قد برز في أفكار المسرحي الألماني الفذ «بريخت» Brecht الذي يعد أبرز مؤلف ومنظر مسرحي في العصر الحديث. لقد هرب بريخت من ألمانيا النازية محتجًا على دكتاتوريتها وسحقها للحريات، حيث وجد في أجواء الحرية ببريطانيا وفرنسا ملاذًا أولًا له، ومحطة نحو الولايات المتحدة الأميركية. وهناك، على الساحل الغربي للمحيط الأطلسي، تبلورت عبقريته القائمة على اعتبار المسرح أداة ووسيلة اتصال جماهيري قادرة على تغيير المجتمع، ليس من خلال تأليه الفرد، ولكن من خلال تعريف الفرد ذاته بواسطة دمجه في روح الجماعة، روح الفريق الذي يعمل بطريقة متناسقة ومتناغمة لبناء الخطاب والعمل الثقافي والفكري. وهكذا ظهرت نظرياته المسرحية المبتكرة في «التأثير الاغترابي» Alienation effect وفي «المسرح البطولة Epic Theater، نماذج لروح ألمانية جديدة، روح متحررة من سكبلات الماضي العنصري ومتمسكة بالبطولة الجماعية التي أحالت ألمانيا إلى «جنينة أوروبا»، وليس إلى «أوروبا القديمة»، كما أسماها وزير الدفاع الأميركي، دونالد رامسفيلد. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ألمانيا مابعد الحرب قد شهدت حملة شاملة لإعادة تأليف وكتابة المناهج الدراسية والسياسات التعليمية، لتحذف كل ما يمت بصلة إلى تقديس الفرد وتفضيل العنصر الآري من أجل تنقية الأجيال الجديدة مما أصاب ألمانيا سابقًا من براثن العنصرية.

إن ألمانيا الموحدة اليوم تمثل نموذجًا يستحق الدراسة، والمحاكاة أحيانًا، بالنسبة للعديد من أمم الأرض، لاسيما بالنسبة للشعوب العربية التي هي في أمس الحاجة إلى «البطولة الجماعية» التي تصهر البطولة الفردية في بوتقتها على طريق البناء المبدع الخلاق.

ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين :

وفي كتابه «ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين»، يتناول عبد الرؤوف سنو موضوع العلاقات المتنوعة التي سادت ما بين ألمانيا والعالم الإسلامي خلال قرنين من الزمن، حيث يرجع إلى القرن التاسع عشر كي يرصد بعض أوجه العلاقات ما بين ألمانيا وبين الدولة العثمانية والمشرق العربي وشمال أفريقيا وشرقها. كما يتناول سياسة ألمانيا المبكرة تجاه لبنان، راصداً الخطوات الأولى والتدريجية لانغماس ألمانيا فيما عُرف بالمسألة الشرقية، وموقفها من عروبة فلسطين والمسألة اللبنانية. ثم يعود إلى علاقة ألمانيا ببعض دول العالم الإسلامي بعد الحرب العالمية الثانية، ولا ينسى في ترحاله البحثي هذا أن يبرز بعض الصفحات المشرقة للاستشراق الألماني من خلال الكيفية التي تناول بها عالم الإسلاميات «فريتس شتبات» الإسلام والقضايا العربية في كتاباته.

وحيث سلكت ألمانيا سياسة «الاندفاع نحو الشرق»، خلال القرن التاسع عشر، التي ترد إلى اعتبارات اقتصادية، مثل تراكم رأس المال والنمو الكبير للصناعة ومتطلباتها، مقرونة باستراتيجية ألمانيا الإمبريالية وأهمية الدولة العثمانية بولاياتها الآسيوية، الأمر الذي جعل ألمانيا تدخل الدولة العثمانية ضمن نسق سياستها العالمية. وتحت شعار الاندفاع نحو الشرق، حدث تدخل رجال الصناعة المتنفذين والرأسمال البنكي، والقادة السياسية والقوى العسكرية، خلال عصر الإمبراطور ويليام الثاني.

في حين أن بسمارك كان متحفظاً تجاه المسألة الشرقية، حيث لم تشكل لديه السلطنة العثمانية سوى مجالاً لصراع دول أوروبا الإمبريالية على أطراف القارة، أو مجالاً لاستخدامها في لعبة التوازنات الأوروبية إذا ما دعت الحاجة إلى خوض حربين على جبهتين.

وكانت فترة تسعينيات القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين المنصرم قد شكلت مرحلة تبلور سياسة رسمية ألمانية، تنهض على الاستفادة من قوة الإسلام، وبلغت ذروتها إبان الحرب العالمية الأولى، وحاولت

ألمانيا استغلال روابط «الجامعة الإسلامية» بين السلطنة العثمانية والمغرب الأقصى من أجل مناهضة نفوذ فرنسا في شمال أفريقيا.

ولم يتوان بسمارك من استخدام دول المغرب »كحجر شطرنج« في توازناته الأوروبية، فحاول دفع الجزائريين إلى الثورة على فرنسا إبان الحرب البروسية ـ الفرنسية، ودعم العثمانيين في إقامة تمثيل دبلوماسي لهم مع المغرب، واعترف بعبد الحميد الثاني «خليفة» على المسلمين.

وفي المشرق العربي، دفعت الأزمة الشرقية (١٨٣١ ـ ١٨٤٠) وانشاء مطرانية القدس بروسيا إلى الدخول سياسياً إلى البلاد السورية، لكن بروسيا وألمانيا البسماركية ظلتا تمارسان دوراً ثانوياً في المسألة الشرقية لا تأثير له على مصير البلاد السورية.

وحتى في عهد ويليام الثاني الذي زار مدن عديدة في بلاد الشام لم تشكل المقاطعات اللبنانية أية قيمة استراتيجية أو اقتصادية في سياسة ألمانيا العالمية، أو في استراتيجيتها حيال السلطنة العثمانية. وأسوة بغيرها حاولت بروسيا دخول المنطقة من خلال طوائف «لبنان» والقيام بدراسات استكشافية لتعزيز حضورها في المنطقة، وكان «الدين» يشكل مدخلاً سياسياً عريضاً لنفوذ الدول الأوروبية في المنطقة.

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، انضمت الدولة العثمانية إلى الصراع الأوروبي، وبالتحديد إلى جانب ألمانيا والنمسا/ هنغاريا وبلغاريا، وأصبح لهذه الحرب شقها الإسلامي المميز بعد إعلان السلطان العثماني «الجهاد المقدس» ضد دول «الوفاق الودي» المسيحية، بريطانيا وفرنسا وروسيا.

وحفلت فترة الحرب بظهور ثلاث دعوات للجهاد المقدس: «جهاد عثماني» داعم لألمانيا وحلفائها المسيحيين، وجهاد آخر «عربي» سنّي مضاد دعا إليه شريف مكة حسين بن علي المتحالف مع بريطانيا، وجهاد «شيعي» للمرجعيات الدينية في النجف وكربلاء ضد البريطانيين وحثّ عليه الألمان، فضلاً عن صدور فتاوى عن علماء بلغار لصالح خلافة إسلامية منافسة للخلافة العثمانية.

عملت ألمانيا على توظيف الإسلام و«الجهاد» المقدس و«الجامعة الإسلامية» ضمن مخططاتها لإثارة العالمين العربي والإسلامي ضد أعدائها، جاعلة من الجهاد العثماني ركيزة لدعايتها الهادفة إلى استقطاب العرب والمسلمين وراء أهدافها في الحرب، لكن دعايتها فشلت في تحقيق أغراضها، لأن إعلان «جهاد عربي» داعم لبريطانيا تسبب في كارثة حقيقية لمشروع ألمانيا من وراء «الجهاد العثماني»، بينما تمكنت بريطانيا من أن تلعب على وتر التناقضات القومية بين العرب والعثمانيين، فاحتوت كل مخططات ألمانيا في شقها العربي، وطوقت التحالف الألماني – العثماني عبر سلسلة من الاتفاقات والمعاهدات مع إمارات الخليج العربي.

واكتفت ألمانيا باستقطاب الشخصيات الإسلامية والعربية عندها واستخدمتهم في حملاتها الدعائية، جاعلة منهم مجرد مصدر للمعلومات أو أدوات دعاية وليس حلفاء. وبخسارة ألمانيا والدولة العثمانية الحرب، بات الوطنيون والإسلاميون الذين تعاملوا معها عرضة للهجوم والتهم الشنيعة من قبل أتباع الحركة العربية في المشرق.

ويرى عبد الرؤوف سنو أن الإسلام أدى دوراً رئيسياً في سياسة ألمانيا الخارجية وصراعاتها الإمبريالية مع القوى الأخرى، ذلك أن تقاربها مع الدولة العثمانية والعزف على نغمة «الجامعة الإسلامية» وإظهار نفسها مدافعاً عن الإسلام، جعل كثيرا من المسلمين يعتقدون فعلاً بأنها حليف للإسلام يُتكل عليه. ولم يع هؤلاء أن التقدم الصناعي والتكنولوجي والرأسمالي والعسكري في ألمانيا، وتأكيد إمبراطورها على سعي بلاده إلى احتلال «مكان تحت الشمس»، كان أول الطريق لتحولها إلى الإمبريالية.

وبعد الحرب العالمية الثانية، طبقت ألمانيا مبدأ «هالشتاين» القاضي بقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بالدول التي تقدم على الاعتراف بألمانيا الشرقية كدولة ألمانية ثانية، ومقابله كان للدول العربية «مبدأها» القائم على التلويح بالاعتراف بألمانيا الديموقراطية إذا ما أقدمت ألمانيا الاتحادية على إقامة علاقات دبلوماسية مع «إسرائيل».

وبالرغم من ذلك ظلت ألمانيا الاتحادية موجودة على الساحة العربية من خلال قوتها الاقتصادية والتجارية والعلمية والفنية والثقافية، وفتح اتباع حكومة «براندت/ شيل» «سياسة شرق أوسطية متوازنة» «تجاه الصراع العربي الإسرائيلي» الباب أمام عودة العلاقات بين العرب وألمانيا الغربية إلى مسارها السابق.

بسمارك فترة السلم المسلح (١٨٧٠ - ١٩١٤):

أمور كثيرة أدت إلى زيادة التوتر بين الدول الأوروبية في فترة ١٩١٤–١٨٧٠ السلم المسلح وأهمها الخلاف الألماني-الفرنسي والسباق على الاستعمار فترة السلم المسلح : تمتد هذه الفترة على مدى ٤٤ عاما, بين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٩١٤ ابتدأت الفترة عندما تمت الوحدة الألمانية وظهرت الدولة الألمانية الجديدة كأقوى دولة في أوروبا اقتصاديا وعسكريا وثاني دولة سكانيا بعد روسيا . تمت الوحدة بعد قهر النمسا وهزيمتها سنة ١٨٦٦ وهزيمة فرنسا سنة ١٨٧٠ أجبرت فرنسا التوقيع على صلح مع ألمانيا يدعى صلح فرانكفورت سنة ١٨٧١ . في هذا الصلح أجبرت فرنسا على قبول ما يلي :

الاعتراف بألمانيا الموحدة.

تنازلها عن الالزس واللورين الغنيتين بالمواد الخام والمناطق الصناعة المتطورة.

تدفع فرنسا تعويضات حرب بقيمة ٥ مليارد فرانك للألمان .

تبقى الجيوش الألمانية على ارض فرنسا حتى تدفع فرنسا كامل التعويضات الألمانية.

بعد هذا الصلح خرجت فرنسا مهزومة ومذلة تم أن الألمان توجوا ملكهم في قصر فرساي رمز عظمة فرنسا وذلك بعد ان اعتقد الفرنسيون أنهم أقوى امة في العالم. لكن بعد هذا الصلح المذل أصبح هم فرنسا الأول الانتقام واستعادة الالزس واللورين. وكان على ألمانيا أن تمنعها عن ذلك . وهنا بدأ الصراع ومحوره باريس – برلين الألمان بالمقابل لفرنسا وعلى رئسهم المستشار الألماني الحديدي "

اوتو فون بسمارك " الذي قاد ألمانيا نحو الوحدة بسمارك كان يعلم ما يخطط له الفرنسيون ولهذا عمل على:

عزل فرنسا سياسيا في أوروبا وإفشال أي حلف تحاول عقده مع الدول الأخرى.

إقامة أحلاف من ألمانيا ودول أوروبية أخرى.

بقاء ألمانيا أقوى دولة عسكريا في أوروبا.

بسمارك حاول عدم أخراج ألمانيا إلى الاستعمار لأنه كان يعرف أن هذا قد يؤدي إلى تصادم بين ألمانيا وبريطانيا وربما مع دول أخرى.

لكن بعد سنة ١٨٨٥ لم يستطع بسمارك وقف النزعة نحو الاستعمار التي شدد عليها أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب المصانع والتجار في ألمانيا ، حتى أن هناك أوساط عسكرية في ألمانية ومن ضمنهم الإمبراطور ويلهلم ٢ . الإمبراطور الشاب الذي حكم ألمانيا من سنة ١٨٨٨ لأ حتى سنة ١٩١٨يم القوة العسكرية الألمانية جعلته رجلا متعجرفا مؤمنا بان ألمانيا القوية من حقها أن يكون لها إمبراطورية استعمارية كبيرة مثل بريطانيا. بسمارك نجح في فترة حكمه في إقامة حلف مع النمسا سنة ١٨٧٩ وتوسع الحلف ليشمل ايطاليا سنة ١٨٨٢ . أما فرنسا فبقيت معزولة وحيدة حتى نجحت في إقامة حلف مع روسا سنة ١٨٩٤.

أما لندن فكانت لا تزال متمسكة بسياسة العزلة وعدم التدخل في الشؤون الأوروبية .

بسمارك :-

اوتو فون بسمارك سنة ١٨١٥ لأسنة ١٨٩٨ .هو من عائلة عريقة تولى بعض المناصب الإدارية والقضائية في سنة ١٨٤٧ أصبح نائب في البرلمان البروسي قاوم أفكار حزب الأحرار ودعا إلى توحيد ألمانيا بزعامة بروسيا باعتبارها أقوى

واكبر مملكة ألمانية. شغل منصب سفير بلاده ب " سانت بطرسبرغ " عاصمة روسيا وسفيرا في باريس عاصمة فرنسا ومن خلال عملة في تلك العواصم أدرك عن قرب طبيعة الأنظمة في البلدين ونقاط الضعف فيها وهذا ما ساعده فيما بعد في التعامل مع البلدين عندما أصبح مستشارا لبروسيا ثم ألمانية الموحدة . عين مستشارا في سنة ١٨٦٢ لبروسيا ثم بقي مستشارا في عهد ألمانيا الموحدة بين سنوات ١٨٦٢ – سنة ١٨٩٠ . توفي في سنة ١٨٩٨ عن عمر يناهز ٨٣ عاما .

لقب بسمارك باسم "رجل الدم والحديد " حيث بنى جيشا بروسيا قويا وامن أن الوحدة الألمانية لن تنجح إلا بقهر معارضيها وهم النمسا وفرنسا. وهذا لن يتحقق إلا بالقوة فعندما عرض على البرلمان البروسي خطة لتقوية الجيش بدأت مناقشات طويلة بين معارض ومؤيد حتى قال" أن الوحدة الألمانية لن تحل بالمناقشات البرلمانية بل بقوة الدم والحديد".

اخذ بسمارك يخطط لبناء الجيش بواسطة مراسيم الملك كما حضر بروسيا للحرب مع النمسا والحق بها الهزيمة سنة ١٨٦٦ وفعل نفس الشيء مع فرنسا سنة ١٨٧٠ حتى نجح في تحقيق الوحدة الألمانية.

تميز بسمارك ببعد النظر السياسي ولهذا نجح في عزل فرنسا سياسيا وعسكريا في عهده ونجح في إقامة حلف ثلاثي مع ألمانيا وحاول عدم خروج ألمانيا نحو الاستعمار حتى يحافظ على علاقات ودية مع بريطانيا إلا أن الإمبراطور الشاب ويلهلم ٢ الذي تولى الحكم سنة ١٨٨٨ عارض هذا الخط الأمر الذي جعل بسمارك يستقيل من منصبه سنة ١٨٩٠ .

يمكن القول أن بسمارك هو أهم سياسي ألماني في القرن التاسع عشر.

الحلف الألماني-النمساوي ثم الألماني - الايطالي :

لأول وهلة يشعر البعض قيام حلف سنة ١٨٧٩ بين ألمانيا والنمسا هذا أمر مفاجئ خاصة أن النمسا هزمت في حربها مع ألمانيا وأخرجت من الوحدة الألمانية. لكن بسمارك بذكائه استطاع أن يجعلها حليفة لألمانيا مفضلا إياها عن روسيا للأسباب التالية:

الروس بعيدون عن الجبهة مع فرنسا . في حال قيام حرب بين ألمانيا وفرنسا النمساويون اقرب إليها. الألمان والنمساويون هم من نفس العنصر الألماني .النمسا بحاجة إلى حليف قوي مثل ألمانيا لمساعدتها في صراعها مع الروس في البلقان .

وهكذا عقد الحلف الذي يقول :

تقف النمسا على الحياد إذا حدثت حرب بين ألمانيا وفرنسا. أما إذا انضمت روسيا إلى فرنسا تنضم النمسا إلى ألمانيا.

بالنسبة لايطاليا فإنها انضمت إلى هذا الخلف أيضا سنة ١٨٨٢ بسبب العداوة مع النمسا والنزاع على الحدود في منطقة التيرول ويعود انضمام ايطاليا الحلف إلى غضبها على فرنسا التي احتلت تونس سنة ١٨٨١ في حين كانت تعتبرها ايطاليا من حصتها في الاستعمار كما قامت فرنسا بنفس الفترة برفع قيمة الجمارك على المستوردات الزراعية من ايطاليا وهذا ما الحق الضرر الاقتصادي الكبير بالصادرات الايطالية.

الحلف الروسي - الفرنسي سنة ١٨٩٤ :

شعرت روسيا وفرنسا بالعزلة السياسية والعسكرية في أوروبا لهذا بدأ التقارب بينهما رغم البعد الجغرافي ورغم الاختلاف في أنظمة الحكم (قيصري في روسيا ديمقراطي في فرنسا) ورغم الخلاف المتعلق بمصير الدولة العثمانية إلا أن كل منهما كان بحاجة إلى الأخر روسيا تريد الأموال الفرنسية والتكنولوجيا والسلاح بينما فرنسا بحاجة إلى الأسواق الروسية والى حليف عسكري في حرب مقبلة مع ألمانيا.

في هذه الفترة شهدت روسيا تطورا ملموسا في مجال دخول الثورة الصناعية إليها فرنسا لديها المال والتكنولوجيا وهكذا عقد اتفاق تجاري ضخم بين البلدين سنة ١٨٩٢ , تم حلف عسكري سنة ١٨٩٤ يقضي بوقوف روسيا بجانب فرنسا إذا دارت الحرب بين فرنسا وألمانيا وانضمام النمسا إليها.

الاتفاق الودي الفرنسي - بريطاني سنة ١٩٠٤ :

فرنسا وبريطانيا كانتا متخاصمتين منذ أيام الثورة الفرنسية وعهد نابليون، بريطانيا عارضت حفر قناة السويس ولكن النزاع بلغ أشده عندما قامت بريطانيا باحتلال مصر سنة ١٨٨٢ في حين اعتبرت فرنسا ذلك سلبا لحقها في مصر بسبب العلاقات الوثيقة معها منذ أيام محمد علي وسعيد باشا والخديوي إسماعيل. لم تعترف فرنسا بهذا الاحتلال وساعدت المعارضة المصرية ضد الانجليز .

سنة ١٨٩٨ كادت العلاقات تصل إلى حرب شاملة بينهما في أزمة فاشودة في السودان. لكن فرنسا أدركت انه لا بد من تحسين علاقتها مع بريطانيا كي تستطيع الانتقام من ألمانيا واسترجاع الالزس واللورين .

بالمقابل اتبع الانجليز خلال القرن التاسع عشر في عهد الملكة فيكتوريا سياسة "العزلة المجيدة " أي عدم التدخل الشؤون الأوروبية إلى أدنى حد . والانشغال بالاستعمار وتطوير تجارتها وصناعتها حتى أصبحت تلقب ب " مصنع العالم" ولها أكبر إمبراطورية استعمار في التاريخ لكن البوير في جنوب أفريقيا في السنوات ١٨٩٨ - ١٩٠٢ وما لحق بها من خسائر هناك ووقوفها وحيدة معزولة كشف لها استمرار العزلة لم يعد يخدم مصلحتها لان ألمانيا أصبحت المنافس الأكبر لها في الاستعمار بشكل اخطر من فرنسا, وقوف ألمانيا إلى جانب سكان البوير في هذه الحرب وكذلك وضع خطة بناء أسطول بحري ألماني يضاهي الأسطول الانجليزي التي عرفت باسم " خطة تريتز سنة ١٨٩٧ " الانجليز كانت خطتهم منذ سقوط نابليون ١٨١٠ أن يبقى أسطولهم البحري أقوى من أي أسطولين مجتمعين في العالم لأن بلادهم مجموعة جزر بحرية والوسيلة

الوحيدة بينهم وبين العالم الخارجي هو البحر وهكذا جاءت الخطة الألمانية لتهدد امن بريطانيا وكل خطوط اتصالها مع إمبراطوريتها وسائر أنحاء العالم .

لهذه الأسباب أدرك الانجليز انه لا بد لهم من التصالح مع فرنسا ضد العدو المشترك. وقد تم فعلا عقد الاتفاق الودي سنة ١٩٠٤ الذي يقضي بتنسيق مواقف البلدين وخططهم العسكرية ضد الألمان وكذلك أن تعترف فرنسا بالحكم الانجليزي على مصر . بالمقابل تعترف بريطانيا بحق فرنسا على المغرب.

الاتفاق الودي البريطاني- الروسي سنة ١٩٠٧ :

العلاقات الروسية البريطانية كانت سيئة بسبب الخلاف على الاستعمار والمسالة الشرقية. الانجليز عارضوا توسع الروس في البلقان والمضائق. كما عارضوا التوسع الروسي في إيران وأفغانستان وشمال الصين خوفا من اقتراب الروس من الهند لكن فرنسا سعت لتقريب وجهات النظر بين البلدين حتى توسع التحالف ضد ألمانيا فتم توقيع الاتفاق الودي بين روسيا وبريطانيا سنة ١٩٠٧ وبه اتفق على ما يلي :

تنسيق المواقف العسكرية بين البلدين .

توثيق العلاقات الاقتصادية بينهما .

تقاسم مناطق النفوذ في إيران : الشمال للروس والجنوب لبريطانيا والمنطقة الوسطى تحت الشاه الإيراني.

أفغانستان تكون تحت نفوذ بريطانيا.

بقاء إقليم التبت المحاذي للهند مستقلا ومحايدا .

اعتراف بريطانيا بمصالح روسيا في منطقة المحيط الهادي.

هكذا نجد أن أوروبا قد انقسمت إلى محورين : محور برلين ويشمل ألمانيا , ايطاليا والنمسا . ومحور باريس يشمل فرنسا, بريطانيا وروسيا .أطلق على المحور الأول اسم "دول المحور" أو المركز بينما أطلق على المحور الثاني اسم دول الوفاق الثلاثي.

مظاهر فترة السلم المسلح :

انقسام أوروبا إلى محورين متخاصمين حول برلين وباريس وكل محور كان يجهز نفسه للحرب المقبلة.

تتميز فترة السلم المسلح بتسليح لم يكن له مثيل في أوروبا. شملت:

أ- بناء الأساطيل، إنتاج بنادق، دبابات، المدافع وغيرها كما شمل هذا السباق تطبيق التجنيد الإجباري لكل ذكور البلاد البالغين في معظم دول أوروبا.

وكذلك زيادة مصاريف الدول في أوروبا على إنشاء المصانع العسكرية والعتاد الحربي .

التسابق بين الدول الكبرى على الاستعمار حيث أصبح ذلك نهج اتبعته الدول الأوروبية وكذلك اليابان في الشرق لإثبات عظمتها . السباق على الاستعمار ولد احتكاكات متزايدة بين روسيا واليابان في أسيا. بريطانيا وفرنسا في أفريقيا وبين ألمانيا وكل من فرنسا وبريطانيا كما حدث في المغرب، جنوب أفريقا والصين.

ازدياد الصراع بين روسيا القيصرية والإمبراطورية الاستروهنغارية في منطقة البلقان. روسيا تدعي حمايتها للأرثوذكس والسلافين في العالم خاصة في البلقان . النمسا ترى في هذه المنطقة منطقة إستراتيجية هامة خاصة في منطقة نهر الدانوب وترفض نوايا صربيا المتحالفة مع روسيا بإقامة اتحاد سلافي تحت حمايتها . النمسا تخشى من أن يؤدي ذلك إلى انهيار إمبراطوريتها المتعددة الأجناس. هذا الصراع بين النمسا وروسيا كان مصدر أزمات عديدة حدثت قبل الحرب العالمية الأولى وقد صدف ما تنبأ بسمارك به حين قال انه إذا اندلعت الحرب العالمية في أوروبا فإنها ستنطلق من البلقان مشيرا بذلك إلى هذا الخلاف بين البلدين.

ازدياد مكانة رجال الجيش وتركهم في اتخاذ القرار على حساب رجال السياسة. رأي هولاء يميل إلى حل المشاكل بالقوى وليس بالتفاوض .

ظهور الأزمات المحلية بين الدول الكبرى سواء في المغرب أو في البلقان والتي كادت أن تؤدي إلى اندلاع الحرب لولا حل الأزمة مؤقتا .

هذه الأزمات هي تعبير عن الجو المشحون الذي ساد العلاقات بين الدول الأوروبية وكان له دور في تدهور العلاقات فيما بينهما .

أزمات قبل الحرب العالمية الأولى :

أزمة مراكش الأولى سنة ١٩٠٥/٦ :-

بعد عقد الاتفاق الودي الفرنسي البريطاني فيما يخص المغرب أرادت ألمانيا في المغرب اختبار هذا الاتفاق ومدى متانته فقام إمبراطور ألمانيا ويلهلم ٢ بزيارة طنجة وهناك صرح أن ألمانيا ترفض احتلال فرنسا للمغرب وتؤيد استقلالها ووحدة أراضيها كما أنها تطالب بتطبيق مبدأ" سياسة الباب المفتوح" الذي كان معناه انه لا يجوز للدولة المستعمرة احتكار التجارة لنفسها في الدولة التي احتلتها بل بقاء ذلك البلد مفتوحا تجاريا بدون قيود مع الدول المختلفة .

هذه الزيارة وهذا التصريح كان موجها بالأساس ضد فرنسا وتحديا لها على اعتبار أنها كانت تنظر إلى المغرب كمنطقة استعمار من نصيبها هي وحدها .وزير الخارجية الفرنسي دلاديه كاسيه طلب من حكومته أن تسير بخط متشدد ضد الألمان وطلب رفض عقد مؤتمر دولي لحل الأزمة لكن حكومة فرنسا رفضت طلبه ووافقت على عقد مؤتمر " الخسيراس" (الجزيرة الخضراء) سنة ١٩٠٦ محل الأزمة وذلك بحضور أهم الدول الكبرى : ألمانيا , بريطانيا , فرنسا , النمسا , واسبانيا .

قرارات المؤتمر:

المحافظه على استقلال المغرب .

إتباع سياسة الباب المفتوح من الناحية التجارية .

وضع جهاز الشرطة المغربي تحت إشراف فرنسا .

في هذا المؤتمر انتصر موقف ألمانيا حيث حققت ما أرادته من خلال فرض

سياسة الباب المفتوح. لكن هذا المؤتمر أوثق العلاقات بين فرنسا , روسيا وبريطانيا كما اظهر مدى انقسام أوروبا إلى معسكرين.

أزمة مراكش الثانية سنة ١٩١١ :-

بعد سنة ١٩٠٦ زادت فرنسا من تدخلها في جهاز الشرطة المغربي وفي السياسة الداخلية المغربية, هذا اقلق ألمانيا وعادت للتحرش في فرنسا في أراضي المغرب فأرسلت سفينة حربية تدعى تايغر"TIGER" إلى ميناء أغادير المغربي لإظهار تحديها العسكري للفرنسيين . هذا العمل عكر جو العلاقات في أوروبا وازداد التوتر كثيرا وكان الحل الذي جنب أوروبا ويلات الحرب هذه المرة هو اتفاق الدول الكبرى على ما يلي :

فرنسا تأخذ المغرب .

ايطاليا تأخذ ليبيا .

ألمانيا أخذت منطقة غرب الكونجو الفرنسية والكاميرون.

أزمة البوسنة والهرسك سنة ١٩٠٨ :-

قام انقلاب في اسطنبول ضد السلطان عبد الحميد الثاني. كانت البوسنة والهرسك قد وضعتا تحت الإدارة النمساوية سنة ١٨٨٥ . استغل النمساويون انشغال تركيا بالانقلاب لكي يبسطوا سيطرتهم الكاملة على البوسنة والهرسك. هذا الأمر اعتبر بمثابة تحدي لصربيا التي كانت تسعى إلى إقامة دولة سلافية كبرى تضم البوسنة ,الهرسك وصربيا وغيرها . وأبقيت تحديا لروسيا التي اعتبرت نفسها حامية السلافين والمسيحيين الاورثوذكس في العالم اجمع وخاصة روسيا كانت متحالفة مع صربيا في البلقان . حشرت روسيا جنودها على الحدود مع النمسا تحرك الألمان وحليفتهم النمسا وطلبوا من روسيا إعادة جيوشهم إلى مواقعها وإلا ستحصل حرب, اتصلت روسيا بحليفتها فرنسا لمعرفة موقعها في حال حدوث حرب مع الألمان فأجابت فرنسا أنها غير مستعدة حاليا لخوض حرب شاملة من اجل البوسنة والهرسك, عندها رأت روسيا انه لا بد من

الاستجابة للتهديد الألماني وأرجعت جيوشها إلى مواقعها متحملة الاهانة التي تعرضت لها بسبب عدم مقدرتها على الوقوف إلى جانب حليفتها صربيا .

حرب البلقان الأولى سنة ١٩١١ :-

هذه الحرب كانت بين الدولة العثمانية من جهة وبين حلف ضم اليونان، بلغاريا والجبل الأسود (مونيتيجرو) وصربيا.

اندلعت الحرب بتحريض من بريطانيا وروسيا لهذه الشعوب ضد الدولة العثمانية .انتقاما منها بسبب تقاربها من ألمانيا في عهد عبد الحميد والاتحادين.

الهدف الأساسي كان استقلال بلغاريا كليا عن الدولة العثمانية وإنهاء وجود الأخيرة في أوروبا فمعظم معارك الحرب دارت على ارض بلغاريا والبلغار يون هم الذين تحملوا العبء الأكبر من ضحايا هذه الحرب انتهت الحرب بهزيمة ساحقة للأتراك وتوقيعهم على معاهدة لندن سنة ١٩١٣ التي نصت على:

استقلال بلغاريا كليا عن الدولة العثمانية.

تراجع الدولة العثمانية عن مكدونيا ومنطقة شمال بحر ايجة.

صربيا واليونان يتقاسمان مكدونيا فيما بينهما.

تحصل اليونان على شمال بحر ايجة حتى مسافة ٢٠ كم عن اسطنبول

إنشاء دولة ألبانيا مستقلة (وهذا لضغط من النمسا في محاولة لإضعاف صربيا ومنع وصولها إلى البحر).

حرب البلقان الثانية سنة ١٩١٣ :

بلغاريا لم تكن راضية من نتائج الحرب البلقانية الأولى لأنها أرادت أن يكون لها منفذ مباشر على بحر ايجة يجنبها الحاجة إلى دخول المضائق التركية البوسفور والدردنيل .ولهذا قاومت بلغاريا بإعلان الحرب على صربيا واليونان اشتملت رومانيا والدولة العثمانية وأعلنتا الحرب على بلغاريا التي استمرت

الحرب شهر واحد فقط انهار بعده الجيش البلغاري وخسرت بلغاريا الحرب وأجبرت على التوقيع على صلح " بوخارست " عاصمة رومانيا ونتائجه :

خسرت بلغاريا إقليم دبروجا على نهر الدانوب لصالح رومانيا.

استعادة الدولة العثمانية بعض أراضيها شمال بحر ايجة وهو الإقليم المعروف اليوم باسم "إقليم تراكيا" أما فيما يتعلق بباقي الأمور فبقيت على ما هي .

حروب البلقان الأولى والثانية سنة ١٩١١/١٣ :-

أدت إلى مزيد من التباعد بين صربيا والنمسا لان إنشاء دولة ألبانيا كان بتشجيع من النمسا بهدف منع إعطاء صربيا منفذ على البحر وكذلك ازداد التقارب بين الدولة العثمانية وألمانيا وازدياد التباعد عن روسيا وبريطانيا كما أن بلغاريا غضبت من الحلفاء فانضمت إلى ألمانيا في الحرب العالمية الأولى.

اغتيال ولي العهد النمساوي في سراييفو سنة ١٩١٤ :-

كان ولي العهد النمساوي فرانس فيردنياند في زيارة إلى مدينة سراييفو عاصمة البوسنة مع زوجته . فاغتالهما شاب صربي في الوقت الذي كانت العلاقات بين البلدين متوترة جدا . فأرسلت النمسا إلى صربيا إنذار شديد يتضمن إنهاء الدعاية المعادية للنمسا في الصحف والجامعات الصربية. محاكمة القتلة المنتمين إلى جماعة الكف الأسود تقدم اعتذار على الحادث وان يحضر قضاة من النمسا إثناء محاكمة المتآمرين على قتل ولي العهد.

وافقت صربيا على كل الشروط ما عدا حضور القضاة النمساويين في المحاكمة حيث اعتبر ذلك مسا في سيادة صربيا.

لهذا أرسلت النمسا إنذارا أخر لصربيا تطالب فيه بإلغاء التجنيد الإجباري في صربيا وانسحاب الجيش عن الحدود مع النمسا وان لم تنفذ ذلك ستعلن النمسا الحرب عليها . وهذا ما فعلته ١٩١٤/٧/٢٨ هذا العمل أدى إلى حشد الجيش الروسي على الحدود مع النمسا إذ أن روسيا لا تستطيع أن تترك صربيا مرة ثانية كما حدث سنة ١٩٠٨ لان ذلك قد يعرض النظام القيصري إلى

الانهيار. عند ذلك تحركت ألمانيا حليفة النمسا وأعلنت الحرب على روسيا لكن ألمانيا وفقا لخطة شليفن أرادت أن تعرف موقف فرنسا حليفة روسيا . فكان الرد الفرنسي باتخاذ الموقف الذي يتناسب مع مصالحها الوطنية. فأعلنت ألمانيا الحرب على فرنسا في ٣/٨ وأدخلت جيشها في الأراضي البلجيكية)خطة شليفن بنيت على أساس أن ألمانيا ستحارب على جبهتين في آن واحد روسيا شرقا وفرنسا غربا). بلجيكا كانت دولة محايدة بريطانيا اتخذت من الهجوم على بلجيكا حجة لدخول إلى الحرب ضد ألمانيا وهكذا انفجرت الحرب العالمية الأولى. أما ايطاليا فوقفت محايدة تم انضمت إلى الحلفاء سنة ١٩١٦ ناقضة حلفها مع ألمانيا . أما بلغاريا والدولة العثمانية تدخلا مع ألمانيا وفي سنة ١٩١٧ حدثت تطورات أخرى ودخلت الولايات المتحدة إلى جانب الحلفاء لكن في نفس السنة خرجت روسيا من الحرب بسبب الثورة البلشفية.

من هنا اتضح أن ميزان القوى منذ البداية لم يكن في صالح المحور مع أن ألمانيا كانت أقوى دولة برا في العالم آنذاك.

أسباب الحرب العالمية الأولى :-

سباق التسلح بين الدول الأوروبية نتيجة وجود توتر بين الدول الأوروبية خاصة ألمانيا, فرنسا, روسيا والنمسا.

اغتيال ولي عهد النمساوي في سراييفو.

رغبة فرنسا في الانتقام من ألمانيا واستعادة الالزس واللورين .

الصراع على الاستعمار بين الدول الكبرى مثل : فرنسا , ألمانيا .

نشأة الأحلاف العسكرية بين الدول.

النهضة القومية في أوروبا وخصوصا دول شرق أوروبا التي أرادت الاستقلال عن النمسا والدولة العثمانية وخصوصا البلقان .

الصراع بين الدول على اقتسام أملاك الدولة العثمانية كما جاء في المسالة

الشرقية . مثال على ذلك: ازدياد النفوذ الألماني في تركيا واستياء كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا من ذلك.

الأزمات التي سبقت الحرب العالمية الأولى ساهمت في زيادة التوتر والاحتكاك في أوروبا .

في هذه الفترة ارتفعت مكانة رجال الجيش الذين رأوا في الحرب وسيلة لتحقيق أطماع الدول . هذا كان بارزا في اليابان التي قامت بغزو الصين واحتلال كوريا وهذا نراه في ألمانيا خاصة الإمبراطور ويلهلم الثاني.

محاولة تأمين السلام الدائم والمُستقر في أوروبا ١٨١٥-١٨٧٠

١٨١٥- إنتهاء حكم نابليون في فرنسا ما بعد الثورة الفرنسية التي جرت عام ١٧٨٩.

١٨٧١- توحيد ألمانيا على يد بسمارك.

الدول الكُبرى الرئيسة في النصف الأول من القرن التاسع عشر:

روسيا :

إعتبرت نفسها من اعظم الدول بعد إنتصارها على نابليون. لقد وسعت حدودها حتى دول البلقان. نظام حُكمها إستبدادي(أوتقراطي) وسلطة القيصر غير محدودة بإنتخاب من الشعب.

إن القيصر الأول لقد بدأ بإصلاحات لكن تراجع عنها بعد سقوط نابليون وبدأت روح الرجعية تنتشر في روسيا:

رقابة صارمة على الصحافة.

وعلى جميع المجالات(الأداب، التعليم،التربية والبحث العلمي).

تعرضت الأقليات القومية منها الأقلية اليهودية إلى ملاحقات بشكل عنيف.

معظم الأراضي الزراعية تابعة للنبلاء.

لذالك كانت الكثير من القوى بالعمل ضد السلطات من أجل التحرر.

النمسا

إمبراطورية واسعة الاطراف. رئيس حكومة النمسا، مترنيخ، شخصية البارزة في مؤتمر فينا الذي أوصى بروح الرجعية وبقاءها. كانت النمسا في عهد مترنيخ"دولة شرطى": كانت العيون السلطة ترى كل ما يحدث في النواحي السياسية والفكرية التعليمية.

وبُذلت جهود لعدم إنتشار الأراء التحررية والتقدمية وإن النبلاء إعتقدوا ذلك من أجل الحفاظ على إمتيازاتهم.

بروسيا

لم تكن واسعة المساحة بالرغم من ذلك أحرزت نصراً على نابليون. كانت بروسيا تخضع لنظام حكم ملكي مستبد (اوتقراطي). إنتشرت فيها عام ١٩١٥ الأراء الرجعية.

بريطانيا

تحولت بريطانيا خلال القرن الثامن عشر إلى الدولى الأولى الدول التجارية، وسبقت جميع الدول الأُخرى في التطور الصناعي. ولم تكن لأوروبا أهمية كبيرة بالنسبة لها.

نشبت رياح رجعية فيها عام ١٩١٥ فصُدرت عام ١٩١٥ قوانين مست بحرية التعبير عن الرأي وتحول النظام من برلماني وليبرالي إلى رجعي.

كيف حاولت الدول الأبسلوتية أن تؤمن لنفسها سلاماً دائماً وثابتاً؟

الشرط الأول من أجل تحقيق الهدف هو تأسيس نظام جديد، نظام دولي يمكنه أن يمنع سيطرة قوة واحدة في أوروبا.

لذالك إهتمت روسيا النمسا، بروسيا، بريطانيا بإيجاد ضمانات ناجحة من أجل منع قوة فرنسا. ولتحقيق ذالك قوَة الدول الواقعة على حدودها، بتوحيدها مع دول أُخرى لكن لم يمر وقت طويل حتى إستعادة فرنسا وأخذت مكانتها بين الدول الرئيسية في أُوروبا.

مقابل إنفصال بعض الدول: ألمانيا، إيطاليا، بولندا. تم توحيد شعوب أُخرى في إطار إمبراطوريات متعددة القوميات منها النمسا وروسيا. والإمبراطورية الثالثة التي تميزت بتعدد الشعوب هي الإمبراطورية العثمانية. لكن لم يكن لها تأثير كبير في تاريخ أُوروبا بالرغم من أنها كانت ما تزال تحكم أماكن كبيرة من البلقان ومناطق واسعة من الشرق الأوسط ومنها: يونانيون وصربيين وعرب وأرمن ويهود وغيرهم.

ولمحاولة أن يجعلوا هذه التسويات مفعوله أقاموا حلفين:

حلف المقدس: عن طريقه أعلن زعماء روسيا والنمسا وبروسيا عن نواياهم أن يعتبروا أنفسهم داخل الأُمة المسيحية الواحدة. لم يكونوا معنيين بالتقدم والإنفتاح إنما بالرجعية. مع مرور الزمن إنضم إلى الحلف جميع زعماء أوروبا بإستثناء ملك إنجلترا والسلطان العثماني والبابا.

حلف الرُباعي: تَكَوَنَ من إنجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا، (إنضمت فرنسا بعد مدة قصيرة). لقد حافظوا أعضائه على التسويات التي تم الوصول إليها في مؤتمر فينا ١٩١٥ لمدة عشرين عام والإجتماع في فترات محددة من أجل بحث في المصالح المشتركة والوسائل المناسبة للمحافظة على السلام في أُروربا. عقد احلف الرُباعي عدة مؤتمرات الذي بحث فيها القضايا التي ظهرت من حين إلى آخر ووجدت محاولات لحلها بالإتفاق والتعاون الدولي. تم وضع حجر الأساس لعهد "الكونسرت الأوروبي" هذا العهد مكون من تنسيق وتعاون وتوافق وإنسجام في العلاقات بين الدول الرئيسية.

ما هي القوى التي حاولت أن تزعزع التسويات التي قررت عام ١٨١٥ :

القوى التي حاولت أن تزعزع التسويات التي قُررت عام ١٨١٥ الذي أدت إلى توقف الإنسجام والتعاون في "الكونسرت الأُوروبي" هي القوة القومية.

مراكز الفوران ١٨١٥ لأ ١٨٤٩ في أُوروبا

في تلك الفترة حدثت في أُوروبا ثورات عديدة ضد الحكم الرجعي وإرجاع الدستور الليبرالي وهي القوى التي سُميت "قوة تغيير" بعد سقوط نابليون عام

١٨١٥ في فرنسا وسميت أيضاً القوة القومية من أجل الوحدة فهذه الثورات والحركات أدت في بعض الدول إرجاع النظام الليبرالي. منها حصلت ونالت على إستقالها.

لكن بعد هذه الفترة جاءت فترة إزدهار سُميت بأحداث "ربيع الشعوب" ١٨٤٨ - ١٨٤٩.

في هذه الفترة بدأت الدول في أُوروبا تحصل أو تحقق بعض الأُمنيات خاصة أن بفصل الربيع تُفتح الأزهار والأجواء ممتازة لذالك سُميت هذه الفترة بربيع الشعوب. فبعض الدول مثل النمسا رجعت الأوضاع كما كانت في الماضي قبل سقوط نابليون بونابرت في فرنسا.

القومية في القرن التاسع عشر، توحيد إيطاليا وألمانيا

لقد حصلت ٣ أحداث قد تؤدي إلى تغير الواقع:

حرب القرم

الوحدة الإيطالية لأ ١٨٥٩-١٨٦١يمالوحدة الألمانية لأ ١٨٧١يمبدأ تغير في ميزان القوى.

القومية تبقى للأُمة حتى لو فَقَدَت هذه الأُمة إسْتقلالها.

الوحدة الإيطالية - ١٨٥٩-١٨٦١ - كافور.

رأى كافور أن العقبة الرئيسية التي تعترض في طريقة هي النمسا. لقد حظي بتأييد من نابليون الثالث مقابل التنازل عن أراضي إيطالية إلى الحدود الفرنسية. لقد تمكن من هزيمة النمساويين بعملية عسكرية مشتركة مع الفرنسيين. وتم توحيد معظم الأقسام الشمالية.

هذه الإنجازات أدت إلى جمهويين مثال غريبالدي بتأييد كافور. غريبالدي – كان منفذ خطط كافور، لقد كان القائد للجيش.

لقد خرج ١٩٦٠ إلى جنوب إيطالية لإحتلال دولة نابولي المؤيدة للنمسا. ووصل نتيجة إنتصاره إلى الحدود الجنوبية لملكة البابا. إستمر غريبالدي في

حملته نحو روما فإن ذلك سيؤدي إلى تدخل فرنسا لحماية البابا. فقرر كافور الإتفاق مع نابليون الثالث أن يُمنع من إحتلال روما إنما يستطيع إحتلال الأقسام الأُخرى من دولة البابا وهكذا تم توحيد إيطاليا بإستثناء روما والبندقية لكن لم يمر حتى إنضمت هذه الدولتين إلى إيطاليا.

الوحدة الألمانية - ١٨٧١ - بسمارك.



رأى بسمارك أن العقبة التي تعترض طريقة هي النمسا. لكن لم يكتف بمساعدة دولة واحدة مثل كافور بفرنسا. إنما تطلع إلى غزل النمسا وتقريب روسيا، إيطاليا، بريطانيا وفرنسا. وتم تقربهم إليه بوعود كاذبة لم يفكر يوماً بتحقيقها. وبعد ذالك ورط بسمرك النمسا في حرب قصيرة، كانت حرب قصيرة وساحقة. إنتهت الحرب بإنتصاره لكن لم يستغل إنتصاره من أجل الوصول إلى الأراضي النمساوية إنما لتتنازل النسما عن نفوذها في المانيا وتعترف بتوحيد دول شمال ألمانيا بقيادة بروسيا.

إن إنتصار بروسيا على النمسا أثار مخاوف الفرنسيين مما أدى إلى طلب النمسا بتعويض بسبب إختراق ميزان القوى، ذلك بتحويل أراضي ألمانية إلى فرنسا وذلك ما حدث.

فأدى إلى تحالف دول أُخرى مع بروسيا وهكذا بقيت فرنسا لوحدها حتى أعلنت الحرب على بروسيا وإنتصرت بروسيا وأدى هذا الإنتصار إلى توحيد المانيا وضمت لها ولاتي الزاس واللورين من فرنسا.

وتحولت ألمانيا الموحدة دولة عظمة وأقوى دولة في أوروبا وضمت روما إلى إيطاليا.

إن توحيد ألمانيا وإيطاليا أدى إلى شعوب أُخرى تطالب بإستقلالها.

من توازن قوى إلى حرب شاملة (١٨٧١-١٩١٤)

(أسباب الحرب العالمية الأُولى)

١٨٧١- توحيد ألمانيا على يد بسمارك.

١٩١٤- إندلاع الحرب العالمية الأُولى.

الإعتبارات السياسية التي وجهت سياسة الدول الكبرى بعد ١٨٧٠

ألمانيا

عزل فرنسا سياسياً حتى لا تستطيع شن حرب عليها في المستقبل أي منعها من تشكيل أحلاف.

إتباع سياسة الأحلاف من المبدأ الأول بمبادرة رئيس حكومتها(المستشار) بسمارك.

لتطبيق هذه السياسة أقام بسمارك عدة أحلاف وهي:

حلف القياصرة الثلاثة الذي شمل المانيا، النمسا-المجر، روسيا(١٨٧٣).

الحلف الثنائي الذي شمل المانيا، النمسا(١٨٧٩).

الحلف الثلاثي الذي شمل ألمانيا، إيطاليا، النمسا-المجر(١٨٨٢).

عدم القيام بنشاط إستعماري بهدف عدم إثارة عِداء بريطانيا.

فرنسا

سعت فرنسا لإستعادة قوتها الإقتصادية والعسكرية بعد هزيمتها في حرب ١٨٧٠ وقد تمكنت من ذالك خلال مدة قصيرة.

السعي لإقامة إمبراطورية إستعمارية فرنسية من خلال تكثيف النشاط الإستعماري خلال سنوات الثمانين والتسعين من القرن ال١٩ في إفريقيا واسيا بهدف رفع مكانتها وزيادة مواردها الإقتصادية.

السعي للخروج من العُزلة السياسية التي فرضتها المانيا وذالك من خلال من خلال التقرب مع بريطانيا(الإتفاق الودي ١٩٠٤) والتقارب مع روسيا(حلف دفاع مشترك ١٨٩٢).

روسيا

تأسيس إمبراطورية شرقية من خلال وراثة الدولة العثمانية حيث تجمع الشعوب السلافية وإبناء الطائفة الأُورثوذكسية في هذه الإمبراطورية.

السيطرة على المضائق والقسطنطنية.

بسط نفوذها في منطقة البلقان منافسة بذالك النمسا.

دعم الحركة السلافية.

بريطانيا

الإهتمام بقوتها البحرية مما يبقيها أقوى دولة بحرية في أوروبا والعالم.

زيادة سيطرتها الإستعمارية في أسيا وأفريقيا مع تقليص تدخلها في أوروبا.

المحافظة على مبدأ توازن القوى في أوروبا وذالك لمنع قيام حرب شاملة.

المحافظة على سلامة الدولة العثمانية وعدم تقسيمها إلا إنه حدث تحول في هذه السياسة بعد.

حياد الأراضي المنخفضة.

النمسا - المجر

تعاني من تعدد القوميات حيث أن هذا التعدد كيان هذه الإمبراطورية.

مكافحة العنصر السلافي الذي يشكل خطراً على وحدة الإمبراطورية والمدعوم من قبل دولة الصرب.

بسط نفوذها على منطقة البلقان مما أدى إلى تصادمها مع المصالح الروسية وسنرى أثر ذالك فيما بعد.

تعزيز علاقتها مع المانيا لتوافق المصالح بينها.

سياسة الأحلاف التي إتبعها بسمارك

حلف القياصرة الثلاثة ١٨٧٣

عُقد هذا الحلف بين ألمانيا وروسيا والنمسا، وأما أهداف الحلف فهي:

دعم الأنظمة المُلكية القائمة في أُوروبا.

عزل فرنسا سياسياً (الوقوف ضد الخطر الفرنسي)

دعم مواقف كل من النمسا وروسيا في البلقان ضد الدولة العثمانية.

أما شروط هذا الحلف

دعم ألمانيا في حالة وقوعها في حرب مع فرنسا.

الوقوف على الحياد في حالة قيام حرب بين ألمانيا ودولة ثالثة.

الحلف الثنائي بين النمسا وألمانيا ١٨٧٩

بموجبه تعهدت كل من الدولتين بدعم بعضها البعض وأهم شروطه:

ألمانيا تساعد النمسا إذ تعرضت لهجم من قبل روسيا.

مساعدة لألمانيا في حالة مشابهة ووقوف النمسا على الحياد في حالة تُعرض ألمانيا لهجوم من قبل دولة غير فرنسا.

دعم مصالح النمسا في البلقان ضد روسيا والدولة العثمانية.

الحلف الثلاثي بين ألمانيا والنمسا إيطاليا

لإيطاليا مصالح في شمال أفريقيا وعلى الإخص تونس التي أُحتلت من قبل فرنسا عام ١٨٨١ وقد أغضب هذا العمل إيطاليا التي تطمع في السيطرة على تونس. وأما شروطه:

تبادل الأراء حول القضايا السياسية.

مساعدة إيطاليا في حال تعرضها لهجوم من قبل فرنسا.

مساعدة ألمانيا في حالة تعرضها لهجوم من قبل فرنسا.

على أثر نجاح بسمارك في إقامة هذه الأحلاف أصبحت ألمانيا عصب السياسة الأوروبية.

رد الفعل الفرسي :

سعت فرنسا للخروج من العزلة السياسية التي السياسية التي فرضت عليها من قبل ألمانيا. ووصلت إلى إستنتاج بأن الطريقة المُفضلة لترميم كرامة فرنسا الجريحة ورفع مكانتها بين الدول هي تأسيس إمبراطورية إستعمارية. وبالفعل قامت خلال سنوات الثمانين والتسعين بأعمال إستعماية نَشِطة في أفريقيا وفي جنوب شرق آسيا خاصة.

وبالإضافة الى ذالك عقدت فرنسا حلف مع روسي أما أسباب ذلك التحول في سياسة روسيا:

موقف ألمانيا من روسيا أثناء أزمات البلقان حيث أيدت المانيا مواقف النمسا وعلى الأخص إكتشاف روسيا للإتفاقية السرية التي وقعت بين النمس والألمانيا.

الحصول على دعم إقتصادي من فرنسا على أثر تطور العلاقات التجارية بين الدولتين.

إعتلاء العرش الألماني القيصري ولهم الثاني الذي إهتم بالإستعمار ودعم مواقف النمسا وتفضيلها على روسيا. وعدم سعيه لتجديد الإتفاق مع روسيا مخالفاً بذالك سياسة مستشاره بسمارك.

إختفاء بسمارك عن مسرح السياسة الدولية وإقالته من قبل القيصر الجديد الذي إختلف معه حول سياسة ألمانيا الخارجية.

الإتفاق الودي بين فرنسا وبيطانيا ١٩٠٤

عوامل التقارب بين الدولتين :

التقارب الألماني العثماني.

تبني ألمانيا سياسة إستعمارية على أثر إعتلاء العرش ويلهم الثاني وإهتمامه بالإستعمار (حرب البوير١٩٠٢).

قلق بريطانيا من تزايد قوة الأُسطول الألماني وأُعتبرت ذلك تهديداً لمصاحها، وقد فشلت كل المؤتمرات التي عُقدت بين الدولتين لوقوف سباق التسلح البحري.

تطور الصناعة الألمانية ومنافستها للصناعة البريطانية.

خروج الدولتين من العُزلة السياسية.

شروط الإتفاق

تسوية المشاكل الإستعمار بين الدولتين في أفريقيا(السودان، أفريقيا الغربية الفرنسية).

إعتراف فرنسا بصالح بريطانيا في مصر وإعتراف بريطانيا بمصالح فرنسا في شمال أفريقيا وعلى الأخص في مراكش (المغرب).

وقد سمي بالودي لأنه لم يكن حلف عسكرياً في بدايته وإنما نوعاً من التعاون السياسي والرغبة في حل المساكل بين الدولتين.

المسألة الشرقية كمركز تضارب مصالح الدول العظمى :

أ. حرب القرم (١٨٥٤-١٨٥٦):

كانت بين روسيا وبريطانيا مع الدولة العثمانية. محاولة روسيا إحتلال الدولة العثمانية لكن بريطانيا وقفت بجانب الدولة العثمانية لمنع روسيا من إحتلال القسطنطنية ومضائق البحر الأسود. وأما أهم قراراته:

حرية الملاحة في الدانوب.

منع جميع السفن بحرية التنقل في البحر الأسود.

تخلي روسيا عن رعيتها المنفردة لمسيحي البلقان.

الحفاظ على الإستقال الإمبراطورية العثمانية.

أما نتائجه:

قام مؤتمر باريس. ,٢ أُنقذت الإمبراطورية العثمانية من إنهيارها الأخير.

ب. مؤتمر برلين ١٨٧٨:

هدفه: وضع حلول للقضايا التي ظهرت في هزيمة تركيا(الإمبراطورية العثمانية).

طلبت روسيا من تركيا الإعتراف بإستقلال شعوب البلقان بحدود واسعة. لكن هذه المطالب عارضتها الدول العظمى مما أدى إلى عقد مؤتمر برلين:

أخذت بريطانيا قبرص مقابل إستمراريتها في الدفاع عنها(عن الإمبراطورية العثمانية).

ألمانيا-إعتبرتها الدولة العثمانية تحافظ على مصالحهم ضد روسيا وأخذت توطد العلاقات بين السلطان العثماني لتحصل على نفوذ داخل الإمبراطورية.

تم الإعتراف بإستقال البلقان وبقيت أقسام كبيرة من البلقان تخضع للحكم التركي، وتم وضع ولاتيين في شمال غرب البلقان تحت إشراف النمسا.

جـ. أزمة البوسنة ١٩٠٨:

في هذه السنة نشبت ثورة تركيا الفتاة في تركيا. فإستغلت النمسا وإستولت على ولاتين يوغسلافيتين. إحدى الولاتين كانت البوسنة(لذالك سميت بذالك الإسم). لقد كانت النمسا تَأمل في توحيد شعوب السلافية. لكن روسيا أيضاً أرادت ذالك مما أدى إلى نشوب أزمة حادة التي إستمرت وقت طويل التي سُميت بأزمة البوسنة ١٩٠٨.

د. أزمة سرايييفو، حزيران ١٩١٤:

هذه الأزمة كانت السبب المباشر في إندلاع الحرب العالمية الأولى. ففي شهر حزيران ١٩١٤ إغتال شاب من صربيا والي عهد النمسا في مدينة سرايييفو عاصمة البوسنة. مما أدى إلى وقوع وإندلاع الحرب العالمية الأُولى في , ١٩١٤

أفريقيا كساحة تصادم مصالح الدول الاستعمارية:

سنتحدث في هذا القسم عن الدول المركزية كان بينها تصادم في المصالح الإستعمارية.

بريطانيا: إهتمت في مصر والسودان مما أدى إلى تصادُمهامع فرنسا. في ١٨٩٨ وصلوا إلى شفا الحرب. وأخذوا بإيجاد التسويات للعلاقات بينهم حتى في ١٩٠٤ توصلوا إلى إتفاقية "الوفاق الودي". مما حدد مناطق نفوذ كل واحدة منهم. (الرجوع إلى ص ٦).

فرنسا: إحتلت الجزائر ١٨٣٠ وفي ١٨٨١ إحتلت تونس. لقدكان لها مطامع في مصر لكن بسبب الإحتلال البريطاني إضطرت إلى تغيير خططه. فوصلوا الطرفين إلى شفا الحرب ١٨٩٨ (أزمة فاشودا) بينهم. مما أدى إلى إيجاد تسويات للعلاقات بينهم ففي ١٩٠٤ تم توقيع الوفاق الودي الذي حدد مناطق نفوذ كل منهم. فإتجهت نحو نفوذها في مراكش، حاولت ألمانيا أن تُعرقل برامجها فأظهرت قوتها في مراكش(١٩٠٥،١٩١١) وسيطرت فرنسا على مراكش، بإعطاء تعويض رمزي لألمانيا.

إيطاليا: تعاني من إزدياد سكاني وأخذت تُفتش عن أماكن عمل للمواطنين التي لم تجد لهم عملاً. ففي ١٩١١ إحتلت ليبيا من الجولة العثمانية وضمتها إلى إيطاليا.

الشرق الأقصى ساحة تضارب المصالح بين الدول الإستعمارية :

سنتحدث في هذا القسم أيضاً عن الدول المركزية كان بينها تصادم في المصالح الإستعمارية بالشرق الأقصى.

الصين: خلال القرن التاسع كانت الصين دولة ضعيفة. إمتنعت على أي علاقة مع الدولة الأُوروبية. لكن بريطانيا وفرنسا أجبروها فتح موانئها أمام التجار الأُوروبين. مع مرور الزمن دخلت الصين قوى أجنبية كبرة، وإشتركت الدول العُظمى معاً في "إنهيار وسرقة الصين".

بريطانيا وفرنسا: قاموا بفتح الصين أما التجار الأُوروبين وحصلوا على إمتياز بناء سكك حديدية من توطيد نفوذها الإقتصادي.

اليابان: حاولت إستغلال الصين وأرضيها والمواد الخام الذي فيها. كانت أعيُن

اليابان على كوريا، وحدث صراع بين اليابان والصين فإنتصرت اليابان ومنحت كوريا إستقلال وأصبحت منطقة حماية لليابان.

الولايات المتحدة: أظهرت اهتماماتها بأسواق الصينية. طالبت بمبدأ "الباب المفتوح"- أي الصين تكون مفتوحة أمام جميع الدولة بلا تمييز.

3

الفصل الثالث

أسباب الحرب العالمية الأولى والثانية وتقسيم ألمانيا

الفصل الثالث

أسباب الحرب العالمية الأولى والثانية وتقسيم ألمانيا

□□

أسباب وعوامل الحرب العالمية الأولى :

التنافس الإستعماري والمصالح الإقتصادية: البحث عن المستعمرات من أجل الحصول على السوق والمواد الخام وقد أدى إلى قيام أزمات دولية وصدام بين الدول المتنافسة ونرى ذلك من خلال أزمة مراكش الأولى ١٩٠٥ والثانية١٩١١ وقبل ذالك في حادثة فاشودا ١٨٩٨ في السودان والتنافس على النفوذ في الدولة العثمانية.

الوعي القومي: إنتشار الوعي القومي في البلقان(الحركة السلافية) وقلق النمسا بسبب كونها دولة متعددة القوميات. رغبة الفرنسيين في إسترجاع الأبزاس واللورين حيث بقاءُها تحت السيطرة الألمانية يمس بالسيادة والمشاعر القومية الفرنسية.

سياسة الأحلاف: أدت الى قيام مشاكل وتكتُلات في أُوروبا وإلى زيادة التوتر في العلاقات الدولية وتحويل الأزمات المحلية إلى عالمية التي تطورت إلى حرب عالمية.

سباق التسلح البري والبحري: أخذت الدول الأُوروبية تسابق فيما بينها على زيادة عدد جيوشها وأسلحتها وقد تَركَزَ سباق التسلح بين فرنسا وألمانيا براً وبريطانيا وألمانيا بحراً.

السبب المباشر: مقتل والي عهد النمسا والأزمة بين الصرب والنمسا وسعي النمسا لإستغلال هذه الأزمة للتخلص من الصرب بفرضها شروط صعبة لحل الأزمة قبلت الصرب معظمها ما عدا بند واحد يمس بسيادتها. ومن أبرز هذه الشروط:

- حل الجمعيات التي تقوم بالدعاية ضد النمسا.
- منع الدعاية ضد النمسا غير وسائل وكافة المطبوعات.
- عزل المواطنين الذي عُرف عنهم كراهيتهم للنمسا.
- إشتراك النمسا في التحقيق مع المتهمين.

وافقت الصرب على كل المطالب ماعدا الأخير مما دفع بالنمسا إلى إعلان الحرب ٢٨ تموز ١٩١٤ وهكذا إندلعت الحرب التي إستمرت أربع سنوات حتى ١٩١٨. وإنقسمت إلى مرحلتين: الأولى حتى ١٩١٦ والثانية إلى النهاية.

الحرب العالمية الأولى وتسويات الصلح (سير الحرب ١٩١٤-١٩١٨)

المرحلة الأولى: ١٩١٤-١٩١٦

١٩١٤

لألمانيا هنالك عدويين الذي لها حدوداً معها وهما: فرنسا وروسيا(الإتحاد السوفياتي). فقررت ألمانيا الهجوم على فرنسا في البداية لأنها دولة بالمساحة أصغر من روسيا وستنتصر عليها بسرعة(خلال ٦ أسابيع) وذالك حسب خطة شليفن وبموجب هذه الخطة أيضاً الهجوم عليها عبر بلجيكا المحايدة.

الجبهة الغربية

جهزت ألمانيا ٣ جيوش لغزو فرنسا: الجيش الأول والثاني عبرا عن طريق الأراضي المنخفضة(لكمسبورغ وبالجيكا) مفاجئين بذالك فرنسا التي كانت تتوقع الهجوم المباشر. وقد قامت ألمانيا بذالك بالهجوم على فرنسا بموجب خطة شليفن(الرئس السابق للقيادة الألمانية وحسب هذه الخطة بداءوا في الإحتلال).

لكسمبورغ – بلجيكا بعد إنذار مفاجيء قد تمكنت الجيوش الألمانية من الوصول إلى بُعد ٤٠ كم من باريس وكانت أهم المعارك معركة المارن وقد هُزمت ألمانيا في هذه المعركة وكان لهزيمة ألمانيا أهمية خاصة، أما أسباب الهزيمة فهي:

عدم الخبرة للجيش الألماني وإعتماده على النظريات العسكرية دون خوض تجارب عملية بعكس بريطانيا وفرنسا.

إرسال أربعة فرق عسكرية ألمانية إلى الجبهة الشرقية معتقده إنها ستنتصر على فرنسا حسب الخطة.

الروح المعنوية العالية للجيش الفرنسي، بدفاعه عن وطنه وأرضه.

سيطرة القيادة الفرنسية والبريطانية على مجريات الأحداث، بالإضافة إلى خبرة القائد الفرنسي جوفر قائد الجيش الفرنسي.

وعلى أثر هذه الفشل تحولت هذه الحرب(المعركة) إلى حرب ثابتة(حرب خنادق).

الجبهة الشرقية:

بدأ هجوم روسي على شرقي ألمانيا وقد حققت روسيا في البداية عدة إنتصارات وتوغلت داخل الأراضي الألمانية إلا أن ألمانيا قد تمكنت من وَقف التقدم الروسي وتمكن القائد الألماني هندبورغ الإنتصار على روسيا في معركة نانتبرغ في أب ١٩١٤.

مع النمسا تمكن الروس من إحراز نجاح في غاليسيا بسبب حصول الروس على معلومات عن خطط الجيش الألماني.

١٩١٥

الجبهة الغربية

إستمرت الحرب الثابتة (حرب خنادق)أكثر من ٣ سنوات. إستخدم الألمان لأول مرة الغازات السامة.

إستمرت حرب الغواصات بضرورة من قبل الألمان في محاولة لفك الحصار

المفروض على دول المركز وخلال هذه الحرب تم إغراق سُفن لدول لم تشارك في الحرب كالولايات المتحدة الأمريكية.

الجبهة الشرقية

هزائم متواصلة لروسيا أمام ألمانيا وأبرزها الهزيمة في اغستوفو وخسائر فادحة لروسيا فخلال أشهر فقد الروس ٨٥٤٠٠٠ الف جندي وجُرِحَ ٨٩٥٠٠٠ ألف جندي.

إنضمام بلغاريا للحرب ومهاجمة الصرب من قبل ألمانيا والنمسا وبلغاريا والقضاء عليه.

محاولة فاشلة للحلفاء للإنزال في مضائق بهدف مساعدة روسيا.

دخول إيطاليا الحرب لجانب الحلفاء وفشلها امام النمسا وألمانيا وإضطرار الحلفاء لتقديم المساعدة لها.

١٩١٦

الجبهة الغربية

حاول الألمان التخلص من الحرب الثابتة فقاما بشن هجوم واسع لإحتلال الفردان وخسر الألمان الحرب بعد ستة أشهر من الحرب وقد تكبد الطرفين خسائر فادحة. فرنسا نصف مليون مقاتل مقابل الألمان ستمائة مقاتل.

معركة السوم: إستخدمت ألمانيا في هذه المعركة لأول مرة الدبابات وكان نجاح بسيط والخسائر فادحة حيث خسر الحلفاء ٧٠٠ ألف بين بين قتيل وجريح، وكانت خسائر ألمانيا أقل .

معركة جوتلند: هي معركة بحرية- كانت كردود فعل للحصار البريطاني على ألماني. تم تدمير بريطانيا أُسطول البحري الألماني فصمدوا الألمان في مواجهة بريطانيا. فنتيجة المعركة- لم يكن حسم إنما كانت خسائر بريطانيا أكثر من ألمانيا – مع إن خبرة بريطانيا البحرية أكبر من خبرة ألمانيا.

المرحلة الثانية: ١٩١٧-١٩١٨

١٩١٧

لقد شاهد العام ١٩١٧ الذي إستمر فيه العمليات العسكرية دون نتيجة حاسمة، حادثتين عظيمتين غيرا توازن القوى وهما: دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب والثورة الشيوعية في روسيا.

ثورة أذار ١٩١٧ في روسيا

أسبابها

حكم قيصري مستبد يرفض القيام بإصلاحات رغم سوء الأوضاع الإقتصادية.

فساد نظام الحكم في روسيا: إنتشار الرشوة وفساد الجهاز الإداري والفساد الخلقي بين أفراد العائلة المالكة.

التذمر بين أوساط الشعب الروسي على أثر الأحوال السيئة وعلى أثر إنتشار الأفكار الإشتراكية والليبرالية في روسيا.

دخول روسيا الحرب رغم سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية.

إزدياد قوة الطبقة البرجوازية على أثر تطور الصناعة.

نظام طبقي سَيطر من خلاله الإقطاعيون على معظم أراضي روسيا.

التطور الصناعي وإزدياد قوة البرجوازية وتزايد عدد أفراد الطبقة العمالية وتزايد المطالبة بإصلاح.

دور الحرب في قيام الثورة:

اثبتت فشل النظام القيصري في روسيا، الذي فيه فشلت الحكومة(لم تتمكن) من توفير إحتياجات الجيش.

ضعف شخصية القيصر وتردده في إتخاذ القرارات.

ادت إلى تدهور الأحوال الإقتصادية والإجتماعية(إرتفاع الأسعار، إنتشارالفقر والمجاعة).

◆ **إتفاقية بريست-لتوفسك:** بسبب الثورة الشيوعية التي إندلعت في روسيا، أدت إلى روسيا الخروج من الحرب ولذالك فرضت ألمانيا عليها قيود وفقاً لشروط إتفاقية السلام التي وقعت في بريست-لتوفسك، إضطرت روسيا إلى أن تتنازل عن مناطق واسعة على إمتداد الحدود الغربية والجنوبية بما في ذالك دول البلطيق وبولندا وأوكرانيا. وفقد تنازلت روسيا وفقاً لشروط هذه الإتفاقية عن حواي ربع سكانها وثُلث مواردها الإقتصادية القديمة.

دخول أمريكا الحرب :

عوامل وأسباب دخول الولايات المتحدة الحرب في ١٩١٧.

خرق ألمانيا وعدم إحترامها للإتفاقيات بالهجوم على فرنسا عن طريق بلجيكا المحايدة(أي إحتلالها لبلجيكا).

حرب الغواصات التي إستعملتها ألمانيا، التي أساءت كثير إلى المصالح الإقتصادية الأمريكية، إذ تراكمت البضائع في الموانئ الأمريكية بالإضافة إلى إغراء سفينة أمريكية.

إكتشاف إتفاقية سرية بين ألمانيا والمكسيك تُحدث فيها ألمانيا المكسيك على الدخول في الحرب لجانب ألمانيا مقابل مساعدة ألمانيا المكسيك على إستراجاع التي أخذته الولايات المتحدة عام ١٨٤٨.

دعم الأنظمة الديمقراطية الأُوروبية.

أهمية دخول أمريكا الحرب

من الوجه العسكرية:أرسلت أمريكا إلى الجبهات القتال ملايين الجنود مزدين بأحداث الأسلحة ويتمتعون بروح معنوية عاليه، غير منهوكين ضد الألمان الذين يحربوا سنتين في الحرب.

من الوجه الإقتصادي: قدمت أمريكا أموال طائلة لدول الحلفاء على شكل

قروض وهبات(من غير مقابل) بالإضافة إلى مواد خام اللازمة بواسطة سفن نقل أمريكية مما قوى من الحصار الإقتصادي على ألمانيا. دخول أمريكا الحرب جعل الحرب حاسمة لصالح الحلفاء وكان في الوقت المناسب عند خروج روسيا الحرب.

إستمرت المعارك في الجبهتيين الغربية والشرقية في ذلك العام١٩١٧، فقد حاولت القوات الفرنسية- البريطانية إختراق الجبهة الألمانية ولكنها أخفقت.

أما في الجبهة الشرقية فقد إنتصرت القوات الألمانية - النمساوية على الجيش الإيطالي وكانت خسائر إيطالية كبيرة جداً.

إستمرار حرب الغواصات من قبل ألمانيا.

١٩١٨

الجبهة الشرقية

خروج روسيا من الحرب وتوقيع إتفاقية بريست- لتوفسك في أذار ١٩١٧ مع ألمانيا.(الرجوع ص١١).

إستسلام بلغاريا في أيلول ١٩١٨ وتوقيعها إتفاقية تضمنت ما يلي:

تسريح الجيش البلغاري.

التخلي عن كل العدات الحربية.

إحتلال الحلفاء المراكز الهامة في بلغاريا.

إستسلام النمسا في ٣ تشرين ثاني ١٩١٨ على أثر هزائمها أم الجيش الإيطالي وبمساعدة الحلفاء تفككت هذه الإمبراطورية إلى عدة دول.

الجبهة الغربية

لقد إستسلمت ألمانيا في ١١ تشرين ١٩١٨ وأهم الشروط:

إيقاف العمليات الحربية.

إنسحاب القوات الألمانية من الزاس اللورين.

إعادة الأُسرى من الحلفاء.

تخلي القوات الألمانية عن أسلحتها للحلفاء وكذالك أسطولها البحري.

تسويات السلام بعد الحرب العالمية الأولى

بنود ويلسون ال١٤

هي بنود التي وضعها ويلسون رئيس الولايات المتحدة عام ١٩١٨/١/٨ خلال الحرب العالمية لخص فيها أهداف الولايات المتحدة والحلفاء من الحرب، إن ويلسون صاغ مبادئه ال١٤ عندما علم بنوايا الإنجليز والفرنسيين من خلال تصريحات بسحق المانيا أو عندما إنكشف إتفاقيات دولية سرية عقدتها بريطانيا وفرنسا فيما بينهم بتقسيم أملاك الدولة العثمانية فجائت هذه البنود لتؤكد حق مصير لكل الشعوب ولتؤكد ضمان حقوق وحريات الشعوب المهضومة وتأمين الحريات الفردية وليضمن عدم نشوء مراكز إنفجار جديدة في أُوروبا.

توقيع إتفاقيات سلام علنية.

حرية الملاحة في البحار.

إزالة الحواجز الجمركية والمساواة بين الدول والمحافظة على السلام.

وقف سباق التسلح.

حل المشاكل الإستعمارية وفتح شق يقرير المصير المستعمرات.

سحب جميع قوات الأجنبية من روسيا وعدم التدخل بشوؤنها الداخلية.

إخلاء الأراضي البلجيكية التي سيطرت عليها ألمانيا بإحتلالها لفرنسا لأنها دولة محايدة.

إعادة الأراضي الفرنسي(الزاس واللورين) التي سيطرت عليها ألمانيا.

تصحيح حدود إيطاليا بحيث تكون مبنية على أُسس قومية معترف بها.

منح شعوب الإمبراطورية النمساوية الإستقلال.

إعطاء الإستقلال لرومانيا وصربيا والجبل الأسود وضمان إستقلال شعوب البلقان.

سيادة تركيا على الأجزاء الخاصة بها من الأمبراطوريةوإعطاء الشعوب الأُخرى حق تقرير المصير.

إقامة دولة بولندا تضم جميع مناطقها ولا شك سُكانها.

إقامة عصبة الأُمم كمؤسسة للحفاظ على السلام العالمي.

موقف الحكومة الفرنسية بشأن التسويات الدولية وكيف تتعارض مع نقاط ويلسون:

إعتقد كليمانسو رئيس حكومة فرنسا الذي تحملت خلال أربع سنوات الحرب أكثر تكاليف الحرب إن برنامج ويلسون لا يستطيع ان يمنع بعث ألمانيا من جديد كدولة عُظمة وعدائية من الناحية العسكرية. لذالك يجب أن تدفع ألمانيا مقابل الأضرار والمعناة التي سببتها في الحرب. وطالب بتقليص حدود ألمانيا وتقليص قوتها العسكرية إلى حدٍ أدنى وإلزامها مقابل الأضرار الحرب. لذالك تم عقد إتفاقية السلام(مؤتمر فرساي).

مؤتمر فرساي وقراراته :

هو مؤتمر عُقد عام ١٩١٩ وشاركت فيه عدة دول(٣٢ دولة): منها فرنسا، بريطانيا، الولايات المتحدة، اليابان، إيطاليا وحركات قومية كالعرب واليهود(الصهيونية) ولم يسمح بإشتراك ألمانيا ودول حلف المركز لأنها دول معادية كذالك روسيا لأنها إنسحبت من الحرب. من أبرز المشاكل التي وجهها المؤتمر:

تناقض المصالح الدول المشتركة في المؤتمر.

الخلافات بين زعماء الدول المشتركة في المؤتمر(ويلسون – حق تقرير المصير، التعاون الدولي–، لويد جورج–تخفيض قوة ألمانيا مع منع تفوق فرنسا الحربي

في أُوروبا، كليمانصو-الإنتقام من ألمانيا، تحطيم إقتصادها، القضاء على جيشها.)

القضايا القومية.

المشاكل الإقتصادية.

قضية التعويضات.

قرارات فرساي

لقد ضمن شروط فرساي شروط، إقليمية، مالية، عسكرية.

تحديد جيش الألماني بمائة الف جندي فقط والغاء التجنيد الإجباري.

رقابة على الصناعة العسكرية المانية، ولا سيما صناعة الأسلحة لتكون فقط للأمن الداخلي.

تسليم الأُسطول البحري، البري، الأسطول الإقتصادي للحلفاء.

إعادة مناطق اللزاس واللورين لفرنسا وسيطرة ألمانيا على مناجم الفحم في منطقة السار لأن ألمانيا لقد ضمرت مناجم فرنسا في الحرب.

أُعتبرت ألمانيا المسؤولة عن نشوب الحرب وفُرض عليها دفع عقوبات مالية تعويضاً للخسائر.

أخطاء فرساي مما جعل نشوب حرب عالمية ثانية:

فرض الشروط القاسية على ألمانيا - جعل ألمانيا تشعر أن فرساي معاهدة إذلال وأخذت تسعى للتخلص منها مما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية.

لم يعطي مؤتمر فرساي الحلول المناسبة للقضايا القومية التي أشغلت أُوروبا وكان السبب في قيام الحرب العالمية الأُولى فتجمعت عدة قوميات في دول واحدة وكان هذا بداية المشاكل التي أدت إلى نزاعات قومية. وكانت العامل الذي أدى نشوب الحرب العالمية الثانية.

أهمل مؤتمر فرساي مبدأ تقرير المصير، ولم يأخذ بعين الإعتبار مصالح الشعوب.

أغفل مؤتمر فرساي القضية الروسية فلم يسمح لروسيا بالمشاركة وفرض عليها قيود لكونها تعادي ألمانيا فلذالك لم تعترف روسيا في قرارات هذا المؤتمر.

الشروط المالية التي فُرضت على ألمانيا كان لها أثر على الإقتصاد الأُوروبي وساعدت على عدم وجود إستقرار إقتصادي.

عصبة الأُمم :

الأمن الجماعي: توفير الآمن لجميع الدول وعدم إعتداء القوي على الضعيف وعدم اللجوء إلى القوة والعنف في حل المشاكل من أجل تطبيق مبدأ اللآمن الجماعي أُقيمت عصبة الأُمم المتحدة ولتحقيق هذا المبدأ يجب:

الإمتناع عن إعلان حرب.

تحديد العلاقات بين الدول بشكل علني وصريح.

تخفيض سباق التسلح حتى الحد أدنى لضمان الأمن الدخلي.

عرض أي مشكلة أمام عصبة الأُمم وعدم إستعمال القوة وعدم اللجوء للحرب.

تأسيس محكمة دولية ثابتة تعمل في القضايا الدقلية.

أسباب إقامة عصبة الأُمم :

نقاط ويلسون ال١٤ التي ضمنت هذا المشروع.

الخسائر البشرية الهائلة التي تكبدتها دول أُوروبا .

رغبة الدول المنتصرة في إيجاد مؤسسة تسعى لحفاظ السلام ومنع أسباب الحرب.

أهداف العصبة :

المحافظة على السلام العالمي ومنع حروب.

نشر الروح الديمقراطية.

تطبيق مبادىء ويلسون ال, ١٤

إيجاد إطار دولي لحل المشاكل الدولية بالطرق السلمية.

ميثاق العصبة :

ميثاق العصبة هما نقاط الأمن الجماعي، بالإضافة:

الدول التي لم تنفذ قرارات العصبة ينفذ عليها عقوبات أما عسكرية أو إقتصادية أو يعن الحرب عليها.

تتألف العصبة من دول مستقلة إستقلال تام.

مبنى عصبة الأمم :

الجمعية العامة: تشمل جميع الدول الأعضاء ولكل دولة صوت واحد وتجتمع مرة كل عام لمدة شهر.

مجلس العصبة: يتكون من ٩ أعضاء ٥ منهم دائمين العضوية وهم ممثلي الدول العظمى الخمس" الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، اليابان" وأربعة الآخرون يختارون من بقية الدول المشاركة بالعصبة. وبسبب عدم مشاركة الولايات المتحدة في الحرب أدى أن يكون ١٥ عضو منهم ستة دائمون وتسعة غير دائمين. إنها تعالج القضايا على حدود بلدتين ومشاكل سياسية وعسكرية.

الأمانة العامة(السكرتارية): عبارة جهاز الإداري للعصبة ويشمل المواطنين ورئيس العصبة الذي يسمى بالسكرتاير العام.

أسباب فشل العصبة

سعت عصبة الأُمم لحل المشاكل العديدة لكنها نجحت في بعضها وفشلت في البعض الآخر وعلى الأخص كان الفشل في القضايا السياسية وأسباب الفشل عديدة منها ما يلي:

قرارات عصبة الأُمم غير ملزمة، كانوا نصيحة لحل تلك المشكلة مما أدى إلى فشلها.

سيطرت الدول الكُبرى، فرنسا وبريطانيا وإهتمت في مصالحها وأهملت مصالح الغير.

عدم إشتراك روسيا في العصبة والولايات المتحدة أيضاً مما أدى إلى روسيا عدم تنفيذ قرارات العصبة.

قيام الأزمات الإقتصادية وفشل العصبة في مواجهة هذه الأزمات. وقيام الأنظمة التوتاليتارية: الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية.

بين الحربين العالمتين: أزمة الديمقراطي وظهور الأنظمة التوتاليتارية

عوامل إنتشار ظاهرة الأنظمة الديمقراطية بعد الحرب

إهتمام الدول الديمقراطية(بريطانيا، فرنسا، أمريكا) بنشر النظام الديمقراطي.

رغبة الطبقات البرجوازية في إوروبا في إقامة نظام ديمقراطية كدرع واقٍ من الشيوعية في روسيا.

إنتصار الدول الديمقراطورية في الحرب العالمية الأُولى إقناع الشعوب أن النظام الديمقراطي أفضل.

إنهيار الإمبراطوريات القديمة في أُوروبا على أثر الحرب وقيام دول جديدة.

إنتخابات النسبية وقيام الأحزاب وقوة الطبقة الوسطى على أثر الحرب.

مشاكل الجماهير في المجهود الحربي.

عوامل ظهور الأنظمة التوتاليتارية في كل من إيطاليا وألمانيا:

خيبة الأمل من معاهدة فرساي: لقد إزداد الإحباط القومي والشعور بالذل والمهانة من قبل إيطاليا وألمانيا وأُصيبت كرامتها في الصميم على أثر مؤتمر فرساي للأسباب التالية:

في الوقت التي شاركت فيه إيطاليا في الحرب العالمية لجانب الحلفاء وخسرت الكثير من الضحايا خاب أملها عندما أخلفت دول الحلفاء وعودها لها(حسب معاهدة لُندن-١٩١٥).

بينما ألمانيا التي هزمت أما دول الحلفاء خاب أملها وأُصيبت كرامتها في الصميم عندما فَرض عليها مؤتمر فارساي عقوبات صارمة حتى أن الشعب الألماني أُعتبر معاهدة فرساي عاراً عليهم وتمنوا التخلص منها.

تدهور الأوضاع الإقتصادية: لقد واجهت إيطاليا وألمانيا بعد الحرب العالمية الأُولى مشاكل إقتصادية صعبة عانى منها الشعب والحكومة لدى البلدتين:

لقد واجه الجنود لدى البلدتين مشكلة البطالة لأنهم لم يجدوا أماكن عمل.

إن المناطق التي سلخت عن ألمانيا في أعقاب إتفاقات الصلح كانت غنية بالثروات الطبيعية فأدى ذالك إلى نقص في مواد الخام وأضعف الإنتاج الألماني بينما في إيطاليا فواجهتها مشاكل في نقص المواد الخام.

واجهت ألمانيا وإيطاليا مشاكل غلاء معيشة وتضخم مالي وإنخفاض قيمة العملة أدت إلى تفاخم الأزمة الإقتصادية في الوقت الذي إزداد عدد السُكان أيضاً.

تنظيم الإقتصاد وتحويل الصناعة من صناعة عسكرية إلى صناعة تلائم خالة سلام كان بطيئاً جداً فزاد من المشاكل البلدتين.

حاجة ألمانيا بدفع ديون الحرب كان ثقيلاً جداً على خزينة الدولة. تأخر الأقسم الجنوبية التي تعتمد على الزراعة في إيطالية زاد من مشاكلها.

الفوران الإجتماعي: نتج عن الأزمة الإقتصادية في البلدتين تذمر إجتماعي لدى البلدتين كانت مظاهر لدى الطرفين كالتالي:

إضطربات عُمالية عامة في المناطق الصناعة في شمال إيطاليا أو في ألمانيا إحتجاجاً على الوضع الإقتصادي الصعب.

محاولة بعض العمال الشيوعيين السيطرة على بعض المصانع في شمال

إيطاليا وصل عددها إلى ٣٠٠ مصنع وتحويل السلطة إلى أيديهم بينما في جنوب إيطاليا إستولى الفلاحين على المزارع الكبيرة وقسموها بينهم.

إنتماء الشعب في إيطاليا وألمانيا إلى الأحزاب العارضة للحكومة وفقدان الثقة بهذه الحكومة.

حصلت مظاهرات صاخبة لدى البلدتين تعبيراً عن الإحباط واليأس وهكذا كان الشعب في إيطاليا وألمانيا ساخطاً على سوء الأوضاع الإقتصادية وفقد الأمل بحكوماته حتى أن هذه الحكومات فقدت ثقة الطبقة الوسطى التي بدونها لا يمكنها الحفاظ على النظام الديمقراطي.

الخوف من سيطرة الشيوعية والإشتراكية: إزدياد المخاوف لدى البلدتين من إزدياد نفوذ الإشتراكين والشيوعين ومن إمكانية سيطرتهم على السلطة بطرق ديمقراطية طبعاً فمثلاً:

حصل الإشتراكين في إيطاليا على ١٥٦ نائباً في البرلمان الإيطالي في تشرين الثاني ١٩١٩ ونجحوا في وضع أيديهم على الدوائر البلدية الأقليمية في بداية ١٩٢١ والذي زاد من تخوف اليمين من قيام الحكم شيوعي في إيطاليا.

إزداد نفوذ الشيوعيين في ألمانيا أيضاً حتى إنهم شاركوا أحياناً في تركيب بعض الحكومات وكما إنهم حصلوا بعضهم على تأييد ومساعدة الكومنترن الروسي فزاد من مخاوف اليمنين من قيام حكم شيوعي فهاجموهم وفرقوا إجتماعاتهم بالقوة.

لقد إزداد مخاوف الرأسماليين من وصول الشيوعيين إلى السلطة في البلدتين فزودوا الأحزاب المبنية بالمال حتى لا تُصادر أموالهم في حالة وصول الشيوعيين إلى السلطة.

عجز الحكومة الديمقراطية: عجزت الحكومات إيطاليا وألمانيا عن معالجة الوضع في ظل إزدياد نفوذ أحزاب اليمين الفاشية في إيطاليا والنازية في ألمانيا لقد زادت هذه الأحزاب من دعاياتهم الغوغائية ضد الحكومة فإزدادت الكراهية لدى الشعب بهذه الحكومة حتى أراد التخاص منها وفي ظل تعاقب حكومات

ضعيفة في البلدتين أما حكومة فاكتا في إيطاليا وحكومة فيمار في ألمانيا زاد من رغبة الأحزاب اليمينية للسيطرة على السلطة ورغبتها في إعادة النظام والقانون في البلاد وتوفير العمل لطالبيه وإعادة الشرف القومي الضائع ورفع مكانة الدولة إلى مصاف الدول العظمى مرة أُخرى، إن هذه الأحزاب المتطرفة إستغلت النظام الديمقراطي ووصلت إلى السلطة عن طريقه أي إستغلت ضعفه وشاركت في عمليات الإنتخابات الديمقراطية بعد أن هددت الشعب والرهبنه وأخافته وأجبرته.

النظام التوتاليتاري:

هو نظام الذي يتزعمه شخص معين يتمتع بصلاحيات واسعة في جيع مجالات الحياة في الدولة(السياسية، الإقتصادية، العسكرية) فهو رئيس الدولة والقائد الأعلى للجيش وهو الذي يقوم بكافة الأعمال، عادة يلجئ إلى العنف لمحاربة المعارضين فالعنف وسيلة للوصول إلى السلطة وتثبيت نظام الحكم ويعتمد على أجهزة كشرطة سرية ووحدات خاصة تنفذ رغباته و أوامره. إستغلال الأنظمة الديمقراطية للوصول إلى السلطة كما فعل موسيليني وكما فعل هتلر.

صعود الفاشية في إيطاليا

الحركة الفاشية-تعريف

الفاشية هي مصطلح من اللغة الرومانية معناها البلطة. فاشية تدل على القوة والوحدة.

هي عبارة عن حركة قومية متطرفة ظهرت في إيطاليا بعد الحرب العالمية الأُولى وبَنَت مبادئ قومية التي جعلت الشعب الإيطالي على رأس الشعوب أن تضم إليها جنود وشباب عانوا من البطالة ومجموعات التي قلقت من إزدياد قوة الشيوعين.

موسيليني :

ولد بنيتو موسيليني عام ١٨٨٣ في شمال إيطاليا. أبوه حداد وأُمه معلمة لقد مارس مهنة التعليم ثم تركها، إنتقل العيش في سويسرا وعمل في قطاع البناء. سُجن عدة مرات وإنتقل العيش من بعدها إلى باريس، طُردَ منها رجع إلى بلاده وعمل في صفوف الجيش الإيطالي. بعد تسريحه من الخدمة العسكرية عمل في الصحافة وحرض العمال على تخريب سكك الحديد لمنع إرسال جنود في الحرب الإيطالية التركية.

أول عمل قام فيه موسيليني هو تأسيس الحزب الفاشي في ١٩١٩ ونجح في الوصول إلى الحُكم وإضطر الملك إلى تكليفه لبناء حكومة جديدة.

إشترك في الحرب العالمية الثانية مع ألمانيا لما عَرف الشعب الإيطالي إنه هُزم في الحرب تم إعدامه هو وأصدقائه في ميلانو.

عوامل قيام الفاشية

فشل انظام الديمقراطي في إيطاليا في حل المشاكل الإقتصادية وعجز الحكومة الإيطالية وضعف النظام الديمقراطي بسبب تعدد الأحزاب وصعوبة تشكيل حكومة جديدة.

خيبة أمل الشعب الإيطالي من قرارات فرساي لأنهم كانوا على أمل من أن يأخذوا ما وعدوا فيه في إتفاقية لندن ١٩١٥.

الصعوبات الإقتصادية التي عانت منها إيطاليا مثل البطالة، الفقر، غلاء المعيشة، تضخم مالي.

عدم إستقرار سياسي حيث نشبت إضطرابات في المدن الإيطالية مثل: المظاهرات، الإضطرابات العمالية.

الخوف من الخطر الشيوعي على أثر إزدياد قوة الشيوعية في البرلمان والمجالس البلدية.

وصول الفاشية إلى الحُكم / السلطة

تأسس الحـزب الفاشـي عام ١٩١٩ في مـدينة ميـلانو وتأسـيس حزم الكفاح وتحويله إلى منطقة شبة عسكرية تلبس القمصان السود ١٩٢١.

إعتقد موسيليني أن يصل إلى الحُكم عن طريق الإنتخاب ١٩٢١ لكنه فشل وفاز ٣٥ مقعد من أساس ,٥٣٣ لقد زحف إلى روما وأعلن أنه سوف يستعمل القوة ليستولي على الحُكم إذا لم تُلبى طلاباته بتعين ٥ وزراء فاشيين وعلى أثر ذالك قام ملك بتعينه رئيساً لوزراء إيطاليا ١٩٢٢.

مبادئ الفاشية:

القومية الإيطالية المتطرفة والتاريخ الإيطالي يعود إلى روما القديمة والشعب الإيطالي الذي يتميز بالدم والعنصر والعائلة والتاريخ هو أصل الشعب.

الطاعة العمياء للزعيم.

الدولة هي الأهم ومهم جداً تضحية الفرض في سبيل الدولة.

تؤمن بالقـوة والعنف فشجعت الحرب وإعتبرتها وسيلة لتقدم الشعوب ولا تؤمن بالسلام لأنه تنازل.

ترفض النظام الإشتراكي لأنها لا تؤمن بالمساواة الإصطناعية بين الأفراد ولا تؤمن بحرب الطبقات بل هنالك تعاون بينها.

الفاشية ترفض النظام الديمقراطي ولا تؤمن بمبدأ الأكثرية العادية.

مصير محاولة منع ألمانيا من أن تصبح من جديد دولة عُظمى -عدوانية.

جمهورية فيمار

حتى عام ١٩١٨ كان النظام في ألمانيا قيصري(ويلهم الثاني) وبعد سقوط ألمانيا في الحرب العالمية الأُولى حدثت ثورة فيها وسقط الحكم القيصري وجاء النظام الجمهوري - جمهورية فيمار - حيث وُضع دستور لها، السلطة التنفيذية: رئيس الجمهورية وينتخب بإنتخابات عامة ومباشرة لمدة ٧ سنوات ويتمتع بصلاحيات واسعة من أبرزها وقف عمل البرلمان، والمستشار(رئيس الحكومة) والسلطة التشريعية(الايخشتاغ) يُنتخب بإنتخابات عامة والحكومة مسؤولة أمامه والجيش الألماني (اليخسفير).

المشاكل التي واجهتها هذه الجمهورية

التوقيع على معاهدة فرساي المذلة لألمانيا والموافقة على خسارة مساحات واسعة من الأراضي الألمانية والسكان الألماني.

المشاكل الإقتصادية: التضخم المالي، إنخفاض سعر المارك، نقص في المواد الغذائية.

واجهت معارضة من اليسار(الشيوعيين) واليمين(إنقلاب عسكري من قبل الجنرال كاب) وقيام هتلر بإنقلاب من الجهة اليمين.

قضية التعويضات حيث لم يستطيع دفع التعويضات، إحتلال إقليم الدور من قبل فرنسا وبلجيكا عام ١٩٣٢.

مشكلة التفسخ السياسي وتعدد الأحزاب وصعوبة تشكيل الحكومة.

عوامل سقوط هذه الجمهورية

الإنقسام الحزبي وتعدد الأحزاب(الإشتراكي الديمقراطي، الإشتراكي المستقل، الشيوعي، الوسط الكاثوليكي، الشعب الألماني، الديمقراطي الألماني، القومي الألماني، القومي الإشتراكي(النازي).

الصراع بين اليمين واليسار ومحاربة اليمين اليسار وبالعكس حيث أدى ذلك إلى تخوف اليمين من الوصول اليسار إلى السلطة.

عدم وقوف جيش الجمهورية بجانبها في حالة أزمات.

أزمة ١٩٢٩ الإقتصادية التي أدت إلى فشلها.

عدم رسخ الديمقراطية، الشعب الألماني لم يتعود على فكرة الديمقراطية.

عوامل قيام النازية :

إستغلوا خيبة أمل الشعب الالماني من فرساي وإعتبروها إذلال وخيانة.

عدم إستقرار إقتصادي وبالذات الأزمة الإقتصادية عام ١٩٢٩ التي زادت من البطالة والتضخم المالي.

عدم إستقرار سياسي، تعدد الأحزاب والصراع بين اليمين واليسار.

فشل جمهورية فيمار وفشل النظام الديمقراطي في حل مشاكل ألمانيا الإقتصادية والسياسية.

شخصية هتلر من الناحية قدرته الخطابية وركز على أن فرساي مُذلة لألمانية وهاجم اليسار واليهود وإعتبرهم خونة لألمانيا وطعنوها سكين من الخلف.

وصول هتلر إلى السلطة:

إنضم هتلر إلى حزب العمال الألماني زمع الزمن أصبح هو رئيس الحزب وتم تغير إسمه إلى "الحزب القومي الإشتراكي".

الصراعات بين الأحزاب المختلفة التي تحولت إلى مواجهات عسكرية هذا من جهة. ومن جهة أخرى عجزت الإنتخابات من تمكين حزب واحدة(معين) بتشكيل حكومة. فتسلم هندبرغ مهمة تشكيل حكومة، فشكل حكومة بدون إستشارة البرلمان ولكن هذه الحكومة إعتمدت على التقليصات الإقتصادية مما أدى إلى رفض أكثرية البرلمان لها.

قدم هتلر ترشيحه لرئاسة الدولة مقابل هندبرغ فحصل على تحـ٣٠ إنما هندبرغ حصل/فاز بـ تحـ٤٩يم٦يم وهكذا تفوق هندبرغ على هتلر لكن ليس بأكثرية مطلقة.

حاولت الحكومة هذه من إزاة منظمة إس. إس S.S النازية ومطاردتهم، إلا إن الرئيس عزلهم وعين حكومة جديدة ١٩٣٢ برئاسة (فون بيبن) إلا أن بيبن إتخذ إجرئاته وقرر إجراء حكومة جديدة.

جرت إنتخابات في نفس العام وتنافس فيها هتلر ففاز بـ ٢٣٠ مقعد لكن لم يؤهل على السيطرة الكاملة على مقاليد الحُكم. بعد وفاة هندبرغ دنج هتلر وظيفة الرئيس والكلسنر فأصبح رئيس حكومة ألمانيا(فيرر(فهرر)ألمانيا)أي زعيم ألمانيا.

مبادئ النازية :

نقاوة العنصر الآري على بقية الأجناس وإنحطاط العنصر السامي وعلى الأخص اليهود وقد قُسمت الشعوب إلى درجات، أخرها العنصر السامي وأولهم الآري(الألماني).

الزعيم معصوم عن الخطأ وصاحب الصلاحيات الواسعة.

الدولة هي الأهم والكل يعمل من أجلها.

الإيمان بالقوة وللجوء إلى الحرب.

هناك شعوب خلقت لتحكم وشعوب لتُحكم.

كيف خرق هتلر معاهدة فرساي - إجمال أعماله

عقد معاهدة رفالو مع الإتحاد السوفياتي عام ١٩٢٢ ومن خلالها خرقت الحصار الإقتصادي المفروض عليها وفتحت أمامها الأسواق الروسية.

إعلان هتلر عن إلغاء جميع القيود المفروضة على ألمانيا.

إعلان عن تسليح ألمانيا وقانون تجنيد الزامي عام ، ١٩٣٥

دخلت قوات ألمانيا منطقة منزوعة السلاح بين ألمانيا وفرنسا دون أي رد فعل خارجي.

السيطرة على النمسا وتشيكو سلوفاكيا بحجة الألمان الموجودون في السوديت.

إمتناع ألمانيا عن دفع التعويضات.

أسباب التحالف بين النازية والإتحاد السوفياتي :

عداء الدول الغربية للنظام الشيوعي والإتحاد السوفياتي.

سياسة الترضية التي إتبعتها الدول الغربية إتجاه ألمانيا.

رفض الدول الغربية (بريطانيا) التعاون مع الإتحاد السوفياتي ضد النازية رغم سعي إتحاد السوفياتي في الرغبة بالتعاون.

التعاون بين ألمانيا والإتحاد السوفياتي كان بعقد إتفاقية بين الدولتين عرفت بإسم مولتوف روبتروف فقد نصت الإتفاقية على ما يلي:

عدم إعتداء بين البلدتين لمدة عشر سنوات.

تشاور بين البلدتين في القضايا السياسية الهامة.

عدم إنضمام أحد منهما إلى طرف ثالث.

إتفاق سري يمنح الإتحاد السوفياتي نفوذاً في البلطيق وبولندا وفنلندا ونصف بولندا.

سياسة الترضية :

هي سياسة إتبعتها الدول الأُوروبية وعلى الأخص بريطانيا ومن ثم فرنسا تجاه ألمانيا النازية وبموجب هذه السياسة تنازلت الدول الغربية لألمانية ولم تحاسبها على خرقها لمعاهدة فرساي ومبادئ عصبة الأُمم وكانت هذه السياسة عاملاً في تشجيع هتلر:

أسباب إتباع هذه السياسة

إعتقاد بريطانيا إن إتباع هذه السياسة سيحافظ على توازن في أوروبا والعالم.

فشل الأنظمة الديمقراطية والمشاكل الإقتصادية، الإجتماعية الذي دفع بريطانيا إتباع هذه السياسة والسعي لإنقاذ الوضع الداخلي.

خوف تشمبرلن من قيام هتلر بخطة ضرب لندن بواسطة سلاح جوي.

إنتشار في بريطانيا آراء ومواقف ترفض إحتمال وقوع حرب عالمية ثانية.

الحرب العالمية الثانية - مفهوم الحرب الشاملة :

أسباب الحرب العالمية الثانية

النظريةالنازية(المجال الحيوي) والتي تقول أن ألمانيا يجب أن تتوسع على حساب شعوب أوروبا الشرقية لكي تستغل مواد الخام وتستخدم الطاقات

البشرية في هذه الدول، الذي هي دول مهمة لألمانيا ولتقدمها صناعياً. وكذلك العنصر وتفوق الشعب الآري وعلى الأخص الألمان على بقية الشعوب وفرض سيطرتهم عليهم.

سياسة الترضة التي إتبعتها كل من بريطانيا وفرنسا وتنازلت عن تطبيق معاهدة فرساي وغضت النظر عن خرق ألمانيا لهذه المعاهدة وأبرزها ميونخ.

ضُعف عصبة الأُمم حيث أن عصبة الأُمم لم تتمكن من فرض مبادئها ودستورها على الدول الأَعضاء في العصبة ولم تتمكن من إتخاذ إجراءات ضد الدولة التي خرقت العصبة كاليابان وألمانيا وإيطاليا وبذالك إنهار مبدأ الأمن الجماعي.

قيام الأنظمة التوتاليتارية مثل النازية والفاشية وإتباع الأنظمة لسياسة توسيعية أدت خلق أزمات دولية ولبداية تكون أحلاف وإلى زيادة سباق التسلح.

المشاكل الإقتصادية والتي أدت إلى أزمات إقتصادية وخلقت مشاكل إجتماعية وزادت من قوة الأحزاب المتطرفة وفي نفس الوقت ظهر عجز الأنظمة الديمقراطية في حل المشاكل الإقتصادية وبذالك إقتنعت الجماهير من قوة الأحزاب المتطرفة وفي نفس الوقت لا يتم بواسطة الأنظمة الديمقراطية وأخذ يزداد تأييدها للأحزاب المتطرفة وفي نفس الوقت فشلت الأول الديمقراطية في إتخاذ مواقف موحدة ضد الأنظمة الفاشية في ألمانيا وإيطاليا.

الصراع بين الأنظمة الرأسمالية والنظام الشيوعي في الإتحاد السوفياتي فقد إستغل هتلر هذه الخلافات وتعاون مع بريطانيا إعتقاداً من بريطانيا أن النازية سوف تقضي على الشيوعية وبذالك بريطانيا إتجاهة (إتجاه هتلر) ورفضت بريطانيا التعاون مع الإتحاد السوفياتي وقد برز ذلك خلال قضية السوديت وعندما أنهى هتلر طلباته من بريطانيا إتضح له إن بريطانيا لن تلبي طلباته فتقرب إلى الإتحاد السوفياتي ووقع معها إتفاقية مولتوف روبنتروف.

معاهدة فرساي وقسوتها وشروطها القاسية إتجاه ألمانيا أدت إلى شعور الألمان بالإذلال ورغبتهم بالتخلص من شروط هذه المعاهدة.

أما السبب المباشر فهو هجوم ألمانيا على بولندا حيث إعتبرتها بريطانيا وفرنسا بمثابة إعلان الحرب عليها وقامت بإعلان الحرب على ألمانيا وبذالك إندلعت الحرب العالمية الثانية التي إستمرت من ١٩٣٩-١٩٤٥.

مفهوم الحرب الشاملة(الحرب الحديثة) :

هي حرب التي شملت أو لم تفرق بين الجبهة(الحدود) والداخل، وتطبع هذه الحرب جميع نواحي الحياة بطابعها.

تشمل هذه الحرب الجبهة الخارجية، الجبهة الداخلية(الناس، المواصلات، جسور وموانئ) أما الجبهة الخارجية فهي (الحدود، الجيش والحرب العسكرية على الحدود) وتستخدم فيها جميع أنواع الأسلحة الحديثة وإستخدام كافة الإمكانيات من أجل تحقيق النصر العسكري الإقتصادي والبشري.

وكذالك إسغلال الحرب النفسية من أجل زعزعة المعنويات للمواطنين والعسكريين مثل حرب العاصمة والمدن لكي لا يستطيعوا أن يواصلوا مما يؤدي إلى الإستسلام. وإستعمال العامل التكنولوجي في السلاح: الطيران وتسخير الإختراعات العلمية لتسير الحرب: القنبلة الذرية، الطائرات، الغواصات، حاملات الطائرات والمظليون.

وهنالك الحرب الإقتصادية التي تقوم بوظيفة هامة جداً في الحرب الحديثة: القصف الجوي للمراكز الصناعية ولمفترقات الطُرق الذي هدفه تدمير القاعدة الإقتصادية التي تعتمد عليها المجهود الحرب لدى العدو فهكذا العدو فقد ينهار.

وكذالك إن الحاجة إلى تجنيد جميع الموارد البشرية والإقتصادية والتكنولوجية من أجل إحتياجات الحرب تتطلب وجود تخطيط وتوجية أكثر من المطلوب في الأيام العادية. تصبح السلطة مضطرة لأن تتدخل في الشؤون المُختلفة.

الحرب الخاطفة: إنها تعتمد على عدة عناصر:

الحرب المفاجئة: الهجوم دون إعلان مسبق.

الحركة السريعة في إستخدام كافة أنواع الاسلحة: الدبابات الطيارات بالإضافة إلى الأسلحة الأُخرى وعدم جعلها حرب ثابتة (خنادق).

الإفتراق في مكان معين ثم اللجوء الى أُسلوب محاصرة ما تبقى من قوات العدد: وذالك من خلال قطع صلتها مع بعضها البعض.

أهداف محدودة والسيطرة الكاملة: على العامل الزمان والمكان وإستخدام الضربة القاتلة من أجل إجبار العدو على الإستسلام وتقصير وقت الحرب.

سير الحرب العالمية الثانية في الجبهات المختلفة (مراحل الحرب):

لقد إنقسمت تلك مرحلتين:

المرحلة الأولى ١٩٣٩-١٩٤٢:وهي فترة كانت فيها المانيا وإيطاليا واليابان المتفوقين (دول المركز) وإنضمت اليها هنغاريا وبلغاريا ورومانيا فيما بعد.

المرحلة الثانية ١٩٤٢-١٩٤٥: وهي بداية الهزائم للمركز والإنتصار الحلفاء وهي عبارة عن مرحلة تحول في الحرب لصالح الحلفاء وجرت فيها معارك مهمة: العلمين، ستالينغراد، ميدوي، بحر المرجان.

في هذه المرحلة في عام ١٩٣٩ ألمانيا بدأت بالهجوم على بولندا مما أدى إعلان بريطانيا وفرنسا عليها الحرب. ألماني هاجمت بولندا ومعها الإتحاد السوفياتي وخلال مدة قصيرة تُهزم امام ألمانيا والإتحاد السوفياتي حيث كان عند بولندا مليونين(٢) جندي وكانت هذه الهزيمة مفاجئة لبولندا وهنا يأتي مصطلح الحرب الخاطفة أي السريعة وإستخدام عدد كبير جداً من سلاح ألطيران والدبابات التي لم تستعمل في الحرب العالمية الأُولى، وإضطرت بولندا للإستسلام فكل المصانع والطائرات وطرق المواصلات دُمرت وخلال أربعة شهور إنتهت بولندا (وحسب معاهدة مولتوف روبنتروف قُسمت بولندا بين الألمانيا والإتحاد السوفياتي).

وهكذا قُسمت بولندا بين الدولتين الشرق للإتحاد السوفياتي و الجزء الغربي لدول الحلفاء.

وعلى أثر غزو ألمانيا بولندا أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب عليها.

إستغل هتلر إستعمال الحرب النفسية حيث قصف المدن لإرهاب السكان ليخرجوا إلى الشوراع فيضايقوا الجيش في الحركة. بعد سقوط بولندا لم تكن معارك عسكرية وهذا خطأ دول الحلفاء فبدل إستغلال فرصة وجود الجيش الألماني في الشرق والقيام بعمل من أجل إيقاف الألمان والسعي لإشغال ألمانيا في الجبهتين الشرقية والغربية.

في نيسان ١٩٤٠ بعد إنتهاء حرب ألمانيا على بولندا إتجهت إلى الدنمارك والنرويج في الجبهة الغربية وإحتلت الدنمارك خلال مدة أسابيع والنرويج خلال ٤٨ ساعة وكانت مفاجئة لهم وإستعمال القوات الجوية والمظليون.

أهداف إحتلال النرويج والدمارك:

السيطرة عل موانئ النرويج وطرق المواصلات لكي تمنع وصول سفن الحلفاء ومواصلاتهم.

السيطرة على مصادر الحديد التي تأتي من السويد.

في أيار ١٩٤٠ غزت ألمانيا الأراضي المنخفضة(هولندا، بلجيكا، ولوكسنبورغ) حيث إستسلمت هولندا خلال ٤ أيام وذالك بعد غارات جوية صعبة جداً وإستسلمت بلجيكا خلال إسبوعين رغم المساعدة من قبل فرنسا وبريطانيا.

معركة دانكرك ١٩٤٠: التي جرت على الحدود البلجيكية وحققت بريطانيا إنتصار كبير بإنقاذ ٣٣٦ ألف جندي وأعادتهم أحياء إلى الأراضي البريطانية حيث قامت ألمانيا بالهجوم على الشاطئ(بسبب منع الإمدادات البريطانية من الوصول إلى فرنسا) وهجموا على حط مجينو لمحاصرته وبهذا أُجبرت فرنسا للإستسلام.

أما أسباب نجاح بريطانيا في هذه المعركة:

كان هناك خلاف في القيادة العسكرية الالمانية حول طريقة التعامل مع الجيش البريطاني والفرنسي في دانكرك، هل نبيدة بواسطة القوات البرية أم البحرية؟

هتلر تدخل ومنع القضاء على الجيش البريطاني إعتقاداً أن هذه العملية تؤدي إلى بداية مفاوضات مع بريطانيا وعلى تقاسم القارة الأوروبية.

إن القيادة العسكرية الألمانية قد أخطأت إذ إنشغلت أكثر بتوجيه معظم القوات العسكرية إتجاه العاصمة باريس بهدف إجبار فرنسا على الإستسلام ولم تهتم كثيراً في تعامل مع القوات البريطانيا المتواجدة في منطقة دانكرك.

سقطت فرنسا خلال ٩ أيام وتستسلم للقوات الألمانية وتمكن الألمان من تهديد باريس حيث إستسلموا الفرنسيين دون دخول الألمان إلى باريس لأنهم خافوا على المباني الجميلة والكبيرة ولم يحاربوا دفاعاً عن باريس حيث إحتل الألمان باريس وإعتبروا الألمان إن هذا الإنتصار كبير ووقعت على إتفاقية إستسلام مهنية بنفس الطريقة التي وقع فيها الألمان في الحرب العالمية الأولى حيث وقعوا وهم واقفين وفي عربة قطار.

قسمت ألمانيا فرنسا إلى قسمين: الأول فرض عليه سيطرة ألمانية مباشرة أما القسم الجنوبي فكان جمهورية فرنسية(حكومة فيشي) تخضع للنفوذ الألماني، وكان رئيس الحكومة المارشل بيتانا أما الشمالي فقد خضع للسيطرة الألمانية المباشرة. سقوط فرنسا أدى إلى دخول إيطاليا عام ١٩٤٠ وذلك بجانب ألمانيا.

وقف الجنرال ديخول ضد حكومة فيشي وقد لجأ إلى بريطانيا وأسس هناك حكومة فرنسا الحرة، وقد شجع إقامة أعمال إرهابية ضد الجنود الألمان في فرنسا وإتبع حرب العصابات والأعمال الفدائية وذلك من خلال مهاجمة الجسور وتفجير السيارات المحملة للسلاح وبمساعده من بريطانية.



أسباب سقوط فرنسا :

١- عنصر المفاجأة إذ فوجئ الفرنسين بالهجوم الألماني على فرنسا عبر الحدود البلجيكية لذالك لم تتمكن فرنسا من إتخاذ الإستعدادات الازمة إذ لم يكن لديها الوقت الكافي ولم تتوفر لديها تحصينات عسكرية ملائمة في هذه الجبهة.

٢- قطع الإمدادات العسكرية عن فرنسا وعدم تقديم بريطانيا المساعدات الازمة وحيث تأكدت بريطانيا إن فرنسا ستسقط وإن أي مجهود حربي سيكون مصيرها الفشل.

٣- إستخدام الألمان الأساليب العسكرية الحديثة وبشكل جيد مع إستخدام أيضاً الأسلحة الحديثة والإعتماد عليها بشكل كبير جداً كالطيران والدبابات والوسائل القتالية الأُخرى بعكس الجيش الفرنسي الذي بقي يستعمل أُسلوب الحرب العالمية الأُولى.

٤- إعتماد الفرنسيين أكثر من الزوم على خط مجينو والثقة بعدم قدرة ألمانيا على إختراقه مما أدى إلى الامبالاه.

٥- الصراع بين اليسار واليمين مما أدى إلى ضُعف الحكومة الفرنسية والتفسخ في المجتمع الفرنسي وقد أثر هذا الوضع على الروح المعنوية لدى الجيش والشعب الفرنسي وبالذات إن الجيش الفرنسي كان يتدخل في الأُمور السياسية.

٦- الخوف من هزائم الفرنسيين أمام الالمان في القرن التاسع عشر والقرن العشرون خلقت عقدة لدى الفرنسيين إن الجيش الألماني قوي لا يمكن هزيمته وخلقت لهم عقدة الخوف من الحرب وبالذات على أثر الخسائر الفادحة التي تكبدتها فرنسا في الحرب العالمية الأُولى ورغبة الفرنسيين في عدم الوقوع في خسائر أُخرى.

معركة بريطانيا ١٩٤٠: هي معركة كانت بين بريطانيا وألمانيا وهي معركة خاضتها بريطانيا لمواجهة القصف الجوي الألماني وكان رئيس الحكومة البريطاني ونستون تشرتشل. كاننت هذه المعركة بمثابة غارات جوية نفذتها ألمانيا بأعداد كبيرة من الطائرات إبتداءاً من أب وحتى أواخر تشرين الثاني من ١٩٤٠ دون توقف ولكن خلال هذه الفترة لم تركز ألمانيا على الأهداف العسكرية والإستراتيجية والإقتصادية: مطارات، مواقع عسكرية، أجهزة ردار، مصانع وطرق مواصلات......، إنما أخذت تركز على المدن وعلى الأخص العاصمة لندن

بهدف كسر الروح المعنوية لشعب البريطاني وكانت هذه الغارات في البداية ليلاً ونهاراً ولكن إبتداءاً من منتصف أيلول أصبحت فقط ليلاً.

أهداف ألمانيا من القصف

إستسلام بريطانيا وتوقيع إتفاق مع ألمانيا.

تمهيد من اجل غزو بحري لبريطانيا والسيطرة عليها(أسد البحر وهي عملية من خلالها من خلالها طلب هتلر وضع خطة لإحتلال بريطانيا).

ولكن في النهاية ١٩٤٠ توقف القصف الجوي الألماني لبريطانيا بشكل مفاجئ وكان هذا"رغم الخسائر التي تكبدتها بريطانيا" عبارة عن نجاح لبريطانيا وهزيمة لألمانيا لأن بريطانيا لم تستسلم وعملية (أسد البحر) لم تُنفذ وكان هذا النجاح بصيص النور من الظلام الذي يخيم على أُوروبا وأهم نتيجة له ارتفاع الروح المعنوية لأن ألمانيا هُزمت وفشل الطيران الألماني حيث مئات الطائرات الألمانية سقطت على يد البريطانيين.

أسباب فشل ألمانيا في معركة بريطانيا :

إستعداد الطيارات البريطانين للتضحية وتعلمهم أساليب القتال الحديثة حتى تمكنوا من مواجهة الطيارات الألماني.

إستمرار الصناعات الجوية البريطانية بالإنتاج مما ساعد على مد سلاح الطيران بالطائرات بدلاً من التي تسقط في المعارك.

إنشغال الألمان وبالذات في منتصف أيلول ١٩٤٠ بقصف المدن لكن بدون فائدة بالأخص مدينة لندن بدلاً من قصف محطات الردار التي كانت تشكل خطراً على الطائرات الألمانية حيث يتم إكتشافها وتحديد موقعها لدرجة أنه مقابل أربعة طائرات المانية أصبحت طائرة واحدة.

فشل ألمانيا في كسر الروح المعنوية للبريطانين إذا بقيت الروح المعنوية عالية ولم تستسلم بريطانيا للألمان.

سيطرة ألمانيا على معظم دول البلقان ١٩٤١: (هنغاريا، رومانيا وبلغاريا)

الإيطاليون حاولوا إحتلال اليونان عام ١٩٤٠ ولكنها فشلت وحاولت إحتلال مصر وفشلت أمام القوات البريطانية، فقرر هتلر فرض سيطرته على البلقان ومساعدة إيطاليا.

عام ١٩٤١ ألمانيا تغزو دول البلقان وتحتل اليونان ويوغسلافيا وتصل إلى مصر في شمال أفريقيا ووصلوا إلى منطقة تُسمى العلمين عام ١٩٤٢ (لاحقاً).

أهداف هتلر من السيطرة على البلقان:

السيطرة على يوغسلافيا واليونان وتقديم المساعدة لإيطاليا وأبعاد الجيش البريطاني المتواجد في اليونان عن أُوروبا الجنوبية.

السيطرة على مواد الخام وبالذات البترول المتوفر في رومانية وبذالك تطبيق نظرية المجال الحيوي.

الهجوم على الإتحاد السوفياتي وسياسة الأراضي المحروقة عام ١٩٤١ :

كان هذا الهجوم مفاجئ للإتحاد السوفياتي بسبب المعاهدة التي عُقدت بين ألمانيا والإتحاد السوفياتي(مولتوف روبرتروف) لكن ألمانيا نقضت الإتفاقية وهجمت على الإتحاد السوفياتي بواسطة ٣ ملايين جندي حيث دمرت ٣٠٠٠ طائرة خلال الشهر الأول وإحتل الألمان مساحات واسعة لا بأس بها، كانت إنجازات كبيرة لصالح ألمانيا في بداية الحرب لكنها فشلت في النهاية حيث لم تتمكن الألمان في مواجهة الإتحاد السوفياتي في معركة حاسمة بسبب إنسحاب الجيوش السوفياتية المنظم مما أدى إلى فشل الألمان كما وكان البرد القارس له دور كبير في هذا الفشل. وعند إنسحاب الجيوش السوفياتية من الأراضي السوفياتية إتبعوا تلك السياسة الا وهي عند إنسحابهم إلى الوراء إحراق جميع الأراضي لعدم إستفادة الألمان منهم مما ساعد أيضاً في فشل الألمان.

أسباب هجوم ألمانيا على الإتحاد السوفياتي

إتهام ألمانيا لإتحاد السوفياتي بعدم إحترام الإتفاقية بينهما حيث قام الإتحد

السوفياتي ببث دعاية ضد النازية ومثال أخر ضم الإتحاد السوفياتي لدول البلطيق الثلاث (ستونيا، لاتفيا، ولنوايا).

نظرية المجال الحيوي والرغبة على السيطرة على مساحات واسعة من اجل الحصول على مواد خام والمواد الغذائية المتوفرة في الإتحاد السوفياتي وإستغلال الطاقة البشرية.

الخلاف العقائدي: الرغبة في القضاء على النظام الشيوعي وعلى الشيوعية التي تعمل ضد النازية التي يتزعمه ستالين.

التخلص من روسا التي تشكل خطر على ألمانيا بسبب طاقاتها البشرية والإقتصادية.

عرقلة هتلر لنوايا ستالين بالسيطرة على المضائق والخلاف حول النفوذ في البلقان وقلق روسيا من السيطرة ألمانيا على بلغاريا وبوغسلافيا.

شعور ألمانيا بضعف إتحاد السوفياتي على أثر الحرب مع فنلندا التي إستمرت أربعة شهور رغم صغر فنلندا وضعف جيشها.

معركة ستالينغراد: هي معركة في الحرب العالمية الثانية وقد كانت خسائر لألمانيا في هذه المعركة كانت بداية النهاية لألمانيا ودول المحور وكانت في أواخر عام ١٩٤٢.

دارت معارك قاسية في داخل المدينة وهُزم على أثرها الألمان وأخذ الجيش السوفياتي يلاحق الجيش الألماني خلال عام ١٩٤٣ وبداية ١٩٤٤ تمكن الإتحاد السوفياتي من نقل الحرب خارج أراضيهم حيث دخلت القوات السوفياتية مناطق شرق أُوروبا وأصبحت قريبة من حدود ألمانيا. أما أسباب الفشل ألمانيا هي أسباب فشل الهجوم على الإتحاد السوفياتي:

أسباب فشل ألمانيا في هجومها على الإتحاد السوفياتي:

فشل مبدأ الحرب الخاطفة في الإتحاد السوفياتي فتحولت الحرب إلى حرب طويلة إستغرقت طاقات ألمانيا العسكرية والإقتصادية.

فصل الشتاء البارد وعدم إستعداد الألمان لهذه الظروف وتعطل معداتهم العسكرية.

طول خطوط التموين وصعوبة وصول الإمدادات.

إتباع الروس سياسة الأرض المحروقة والتي بموجبها دمر الروس كل ما يمكن أن يستفيد منه الألمان.

الطاقات البشرية الهائلة لروسيا أذ رغم الخسائر تمكنت من توفير الجنود لإستمرار في الحرب.

الطاقات الهائلة للصناعة الروسية وتمكنهم من إقامة مصانع بعيدة عن الحرب وتمكنها من توفير مُعدات حربية وإنتاج أسلحة حديثة حَسمت الحرب.

تدخل هتلر في سير الحرب وعدم إستماعه لنصائح القواد العسكريين ومن عارضه قام بفصله ومن أكبر الأخطاء التي إرتكبها بتحويل الجيش الألماني نحو ستالينغراد بدلاً من موسكو بعكس أراء قوادة العسكريين.

نجاح ستالين من إثارة الحماس لدى الشعب والجيش الروسي بالإضافة إلى دعم أميركا وبريطانيا العسكري والمادي لها.

معركة العلمين: من المعارك الهامة بين بريطانيا من جهة وبين إيطاليا وألمانيا ومن جهة أُخرى وقد قاد الجيش الألماني والإيطالي رومل أمسا بريطانيا مونتجومري وشارك في هذه المعركة قرابة ٢٠٠ ألف جندي بريطاني و٥٣٠ طائر ومئات المدافع ومن قبل ألمانيا ١٠٠ ألف جندي والاف المدافع وقد إنتصرت بريطانيا والحلفاء في هذه المعركة وتحمل الألمان خسائر كبيرة. أما أسباب الفشل لدول المحور وألمانيا في هذه المعركة:

القوى العديدة للحلفاء.

التفوق بالمعدات العسكرية.

نقص الإمدادات العسكرية والغذائية حيث لم يصل الإمدادات بشكل منظم وذلك نتيجة لسيطرة الحلفاء على البحر الأبيض المتوسط وإنشغال ألمانيا في حربها مع روسيا.

التعاون الأمريكي البريطاني في شمال أفريقيا حيث قدمت أمريكا الإعداد الهائلة من الجيوش والمعدات وشاركت مع بريطانيا في إحتلال إيطاليا.

دخول الولايات المتحدة ودورها في الحرب:

أسباب دخولها:

الهجوم الياباني المفاجئ على ميناء بيرهابر عام ١٩٤١ في بحر هاواي ولهذا الهجوم أسفر بخسائر كبيرة جداً لأمريكا. عدة سفن أُغرقت لها ومات الكثير من الجنود كما وعطل الأُسول الأمريكي أكثر من سنتين.

مصالح أمريكا الإقتصادية في أوروبا وفي الشرق الأقصى (من ناحية الأسواق والمواد الخام).

دعم الديمقراطية ضد الأنظمة الجمعية(الدكتاتورية) وبالذات النازية الفاشية.

ميثاق الأطلسي وتعاطف أمريكا مع برطانيا خاصةً والشعوب الأوروبية عامة.

عدم إستسلام ألمانيا للإتفاقيات الدولية بخصوص حياد الدول وأُسلوب معاملة الشعوب المختلفة إذ إتبعت ألمانيا أُسلوب الإرهاب ضد الشعوب الأُوروبية المختلفة ولم تحترم حياد بلجيكا.

دورها:

الطاقة البشرية فقد قدمت أمريكا ملايين الجنود الأمريكان للحرب(٧ملايين جندي، ٦٠ ألف طائرة، ٥٠ ألف دبابة، آلاف المدافع والسفن).

المعدات الحربية، الأسلحة والدبابات.

التكنولوجيا الأمريكية حيث كان هناك تطور تكنولوجي مثل إختراع القنابل الذرية، أُسطول حاملات الطائرات.

الإقتصاد حيث قدمت الدعم الإقتصادي(المالي والعسكري) لدول الحلفاء بموجب قانون الإعارة والتأجير.

عام ١٩٤٢ التحول لصالح الحلفاء في معركة العلمين ومعركة ستالينغراد:

معركة مدوي: جرت بين أمريكا واليابان وهي معركة بحرية وأحدى المعارك الحاسمة على أثرها بدأ التراجع الياباني وأخذت القوات الأمريكة تطارد الجيش الياباني من جزيرة إلى جزيرة ومن دولة إلى أُخرى خلال عام ١٩٤٣-١٩٤٤ وكانت هذه المعركة حاسمة حيث إن اليبانيين قد خسروا أربعة حاملات طائرات مما أدى إلى فشل قدرتهم الجوية وساعد على هزيمتهم أمام أمريكا، وكما إتصفوا اليابنيين بالعناد وعدم الإستسلام وبذالك فقد إضطرت أمريكا إستعمال القنبلة الذرية في هيروشيما، لكن في البداية هدددتها وبعد ذلك ألقتها حتى مات ٨٠ ألف شخص غير المصابين بالرغم من هذا فلم تقتنع اليابان لذلك فقد جاء التهديد ثانياً على نيازاكي وثالثاً على العصمة طوكيو وينص هذا التهديد على إلقاء القنبلة الذرية وذاك ما حدث، إنها ألقتها على نيازاكي وهددت إن الثالثة على العاصمة طوكيو وبذالك إستسلمت اليابان من اجل تقليل الخسائر.

على أثر هذه المعركة بدأ التراجع اليابان وأخذت القوات الأمريكية تطرد الجيش الياباني من جزيرة إلى أُخرى ومن دولة إلى أُخرى في عام ١٩٤٣-١٩٤٤ وبدأت أمريكا بإحتلال المناطق التي إحتلتها اليابان سابقاً. هذه العملية العسكرية في الشرق الأقصى أدت إلى خسائر فادحة لكن اليبانيين كانوا عنيدين لذالك إستعملت الولايات المتحدة القنبلة الذرية الأُولى على هيروشيما والثانية على نيازاكي وهددت بأن الثالثة على طوكيو العاصمة لذالك سقطت الدولة من دول المحور بعد تهديد أمريكا بالقنابل الذرية من أجل تقليل الخسائر.

حسم الحرب العالمية الثانية ونورماندي عام ١٩٤٤:

أُنزلت قوات أمريكية وبريطانية في السادس من حزيران ١٩٤٤ على الشواطئ نورمنديا الواقعة في شمال فرنسا لتحريرها خوفاً من إتساع نفوذ الإتحاد السوفياتي. تمكنت قوات الحلفاء من القيام بهذه العملية الجريئة وكما حاولوا أن تكون سرية وإختاروا مكان التي لم يتوقع الالمان أن يكون فيه الإنزال(إشترك فيها

أربعة الاف السفن الحربية، ١٢٠ ألف طائرة حربية، مليون جندي أما بالمظلات أو الشفن و٢٠٠ سيارة نُقلت بالسفن إلى الشاطئ. كان قائد تلك العملية أيزنهاور وتمكن الحلفاء من إحتلال الشاطئ ثم أكملوا بإتجاه برلين حيث الآف الطائرات تقصف العاصمة الألمانية وإنهدمت كل المدينة حيث إنتحر هتلر وأصحابه في عام ١٩٤٥ وسقطت ألمانيا دولة المحور الثانية وألتقت القوات الأمريكية والسوفياتية والبريطانية والفرنسية في برلين العاصمة الألمانية.

اسباب هزيمة دول المحور:

١- دخول أمريكا الحرب ١٩٤٢ وكان لهذا إثر عسكري وإقتصادي مما غير مجرى الحرب لصالح الحلفاء.

٢- فشل ألمانيا في حربها مع بريطانيا والخطأ بعدم القضاء على الجيش البريطاني في دانكرك.

٣- الهجوم الألماني على الإتحاد السوفياتي وفشل المبدأ الحرب الخاطفة وتكبدت ألمانيا خسائر فادحة في المعدات.

٤- حركات المقاومة السرية التي قامت في المناطق الإحتلال التي أدت إلى خسائر كبيرة.

٥- ضعف حلفاء ألمانيا وعلى الأخص إيطاليا حيث خرجت من الحرب عام ١٩٤٣ وإحتاجت دائماً إلى مساعدة ألمانيا حيث ساعدتها في اليونان ودول أفريقيا ودول أفريقيا، وعدم التنسيق بين دول المحور وذالك عند طلبت ألمانيا من اليابان مهاجمة الإتحاد السوفياتي ومن الشرق.

٦- تدخل هتلر في الشؤون العسكرية وفرض رأيه على كبار العسكرين رغم عدم خبرته ومعرفته.

٧- طول خطوط المواصلات الألمانية وصعوبة إيصال الإمدادات العسكرية والغذائية والوقود.

٨- سيطرة أُسطول الحلفاء على البحار تقطع طرق المواصلات بين دول المحور وصعوبة إيصال الإمدادات للعلمين.

٩- القنبلة الذرية وإستخدام الأسلحة الحديثة وعلى الأخص الأسلحة الذرية التي حَسمت الحرب.

١٠- توفر الطاقات البشرية والإقتصادية لدول الحلفاء وبداية النقص بالمواد الغذائية في دول المحور وعلى الأخص ألمانيا وقيام حركة تذمر ضد هتلر وضعف الروح المعنوية.

نتائج الحرب العالمية:

المجال السياسي:

١- رسم خارطة جديدة لأوروبا وزوال بعض الدول التي كانت قبل الحرب مثل دول البلطيق وتقسيم المانيا إلى مناطق نفوذ لدول الحلفاء وتحولت إلى دولتين ألمانيتيين: ألمانيا الشرقية الديمقراطية التي تتبع للإتحاد السوفياتي والمانيا الغربية الإتحادية الرأسمالية التابعة لدول الغرب. (إن تقسيم ألمانيا هو المظهر الأول من مظاهر الحرب الباردة وأحد الأسباب لها).

٢- كما وحصلت فرنسا على منطقة اللزاس واللورين.

٣- إزدياد قوة الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي ونزول بريطانيا وفرنسا إلى مرتبة الثانية حيث تحولت أمريكا والإتحاد السوفياتي إلى دولة عظمة.

٤- إزدياد وإنتشار النظام الشيوعي في دول أوروبا الشرقية ووقوعها تحت نفوذ الإتحاد السوفياتي.

, ٥ إنقسام العالم إلى معسكريين: معسكر شرقي شيوعي وغربي راسمالي بزعامة الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية(الحرب الباردة) وقيام الأحلاف العسكرية.

٦- قيام هيئة الأمم المتحدة للمحافظة على السلام العالمي في نيويورك في أمريكا.

٧- إنتشار الشيوعية خارج أوروبا وبالذات في أسيا الجنوبية وبالذات في مناطق جنوب شرقي أسيا والصراع بين مؤيدي ومعارضي الشيوعية.

٨- إنتشار الوعي القومي وإستغلال الكثير من الدول وإنحساء الإستعمار وعلى الأخص في أسيا، وظهور "العالم الثالث" الذي يشير إلى قارة أسيا وأوروبا - دول عدم الإنحياز أي عدم الإنحياز لأي طرف من الطرفين الشرقي والغربي.

المجال الإجتماعي والإقتصادي:

١- الخسائر البشرية:٥٤ مليون شخص قتلوا.

٢- الفقر والمجاعات وإنتشار البطالة لذالك تدخلت أمريكا لمساعدة الدول الأُوروبية(مشروع مارتل- تخصيص مزانية من أمريكا لمساعدة دول الأوروبية الرأسمالية طبعاً بالمقابل أمريكا بذالك تَمنع إنتشار الشيوعية.)

٣- الدمار الإقتصادي الذي حل بأُوروبا (البنية التحتية، المطارات، الموانئ، الجسور، طرق المواصلات والمصانع) حيث أدي إلى مشاكل للعملة الأُوروبية.

٤- أمريكا قوة عظمة من الناحية الإقتصادية، فالدول الأُوروبية أصبحت أكثر مرتبطة في المساعدات الأمريكية.(لاحقاً)

٥- قيام منظمات إقتصادية مثل: الأسواق الأُوروبية المشتركة، منظمة دول أُوروبا الشرقية الإقتصادية وتعرف بإسم الكوميون.

٦- أدت إلى تطور علمي وإختراعات في مجالات عديدة حيث الطاقات الذرية.

جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية:

ظهور الدولتين المظمتين والصراع بين الكتلتين

مظاهر القوة الأمريكية

القوات العسكرية: الأعداد الضخمة من الجيش في جميع أنحاء العالم وقواعد عسكرية منتشرة في جميع أنحاء العالم.

قيام الأحلاف العسكرية بزعامة الولايات المتحدة -شمال الاطلسي - بغداد المركز - جنوب شرق أسيا.

الأُسطول الحربي والتجاري الذي إنتشر في المحيط الهادي، المحيط الهندي والبحر المتوسط حيث يشمل الأُسطول جميع السفن والطائرات والغواصات الحربية وحاملات الطائرات والصواريخ.

إمتلاك أمريكا للاسلحة النووية أسلحة الدمار الشامل.

غزو الفضاء الخارجي: الدوران حول الأرض والنزول على القمر حيث كان ذالك في التقدم العلمي.

التقدم الصناعي حيث أصبحت أمريكا مصنع العالم.

إستغلت الولايات المتحدة قوتها العظمى لحماية الرأسمالية ثم أمريكا وقفت ضد الشيوعية حيث حاربتها في جنوب شرق أسيا وحاربتها في الشرق الأوسط حيث وقفت مع الأردن، اليونان، تركيا وإيران في نطاق مبدأ ترمان(لأحقاً) ومبدأ أيزنهاور كما وتزعمت دول العالم الحر كما وكان لها دور في الحرب الباردة حيث تدخلت في أزمة ألمانيا وحصار برلين.

الأسباب التي جعلتها دولة عظمة

دور أمريكا في الحرب وحسمها لصالح الحلفاء حيث قدمت ملايين الجنود والأسلحة والمعدات العسكرية.

قوة إقتصادية ترتبط فيها الدول الأُوروبية إقتصادياً من خلال المساعدات التي تقدمها لها.

ضعف الدول الأُوروبية عسكرياً وإقتصادياً بالمقارنة مع الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي وحاجة هذه الدول للدفاع عنها من قبل الولايات المتحدة ضد الخطر الشيوعي.

لم يحل الدمار في أمريكا حيث أن الحرب لم تجري على أراضيها.

الحرب الباردة (الإستقطاب):

حرب عقائدية وفكرية وتنافس عقائدي بين النظرية الشيوعية والرأسمالية أو بين المعسكرين الغربي بزعامة الولايات المتحدة(الرأسمالية) والشرقي بزعامة الإتحاد السوفيتي(الشيوعية) وسعي كل منها لضم دول أُخرى لجانبها أي هذا الصراع النفسي إنعكس على النفوذ والسيطرة (من ناحية إجتماعية وسياسية) على أُوروبا وعوامله: الفوارق العقائدية، سباق التسلح، الصراع الإقتصادي، الصراع على مناطق نفوذ في العالم خاصةً في أُوروبا.

بدأت هذه الحرب عام ١٩٤٥ مجرد القضاء على النازية في ألمانية. لكن بدأت بشكل رسمي عام ١٩٤٧ على أثر إعلان مبدأ ترومان الذي أصدره رئيس الولايات المتحدة ومضمونه تقديم مساعدات عسكرية وإقتصادية لكل من تركيا واليونان بقيمة ٤٠٠ مليون دولار والهدف من ذلك وقف الزحف الشيوعي(منع سيطرة الشيوعيين على تركيا واليونان) حيث نشبت ثورة في اليونان وإنتشرت الإضرابات في تركيا وجعلها دولة شيوعية ولقد نجح ترومان في هدفه ومبدأ ترومان منع وقوع دولة ضعيفة التي ممكن أن تقع تحت النظام الشيوعي كتركيا واليونان.

ظروف إصداره:

خطر إنتشار الشيوعية في تركيا واليونان على أثر الثورة.

بريطانيا أعلنت إنها لا تستطيع الوقوف أمام الشيوعية وإعترفت بضعفها.

لقد إعتبرت الإتحاد السوفياتي مبدأ ترومان كإستعمار أمريكي.

أسباب الحرب الباردة:

الصراع العقائدي(بين الشيوعية والرأسمالية) وكل منهما يسعى لفرض سيطرته ومبدئه في جميع أنحاء العالم.

الأحلاف العسكرية والتوتر في العلاقات بين المعسكرين.

سباق التسلح في مجال الذرة والصواريخ وبالذات أن أمريكا كانت بيدها القنبلة الذرية وقد سعى الإتحاد السوفياتي الحصول عليها(المظهر الثاني من مظاهر الحرب الباردة- إذ الطرفين يخافوا من قوة الآخر مما منع نشوب حرب عالمية ثالثة لقد سمي ذالك- ميزان الرُعب).

التنافس الإقتصادي بهدف ضمان مواد الخام والسوق والسيطرة على مناطق نفوذ.

رغبة الإتحاد السوفياتي في فرض سيطرتها على دول أُوروبا الشرقية ومعارضة دول أُوروبا الغربية وأمريكا لهذا(مصير أُوروبا).

الخلاف حول مصير ألمانيا حيث إن الإتحاد السوفياتي أراد توحيد ألمانيا وتكون تحت النظام الشيوعي أما دول غرب أُوروبا والولايات المتحدة أرادوا أن تكون تحت النظام الرأسمالي.

مشروع مارشل:

مشروع أمريكي ومارشل هو وزير الخارجية الولايات المتحدة. هذا المشروع هو مشروع إقتصادي مُكمل لمبدأ ترومان بموجبه تقدم الولايات المتحدة مساعدات إقتصادية لدول أوروبا دون إستثناء شرقي أو غربي، والهدف منه إعادة تعمير ما هدمته الحرب ومقاومة نفوذ الإتحاد السوفياتي في أُوروبا والذي أخذ يزداد في أُوروبا على أثر الفقر والمجاعة وعدم الإستقرار أما الهدف الثاني هو إنتعاش إقتصاد أُوروبا مما يساعد على إنفتاح السوق الأُوروبية أمام المنتوجات الأمريكية وجائت على أثر مؤتمر موسكو في نيسان عام ١٩٤٧ حول حياد ألمانيا ونزع سلاحها لمدة ٤٠ سنة.

الرد على هذا المشروع:

لقد استقبلت دول غرب أوروبا هذا المشروع بحماس وأُقيمت المنظمة الأُوروبية للتعاون الاقتصادي الأُوروبي بهدف توزيع المساعدات التي ستقدمها الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد رفض الإتحاد السوفياتي ودول شرق أُوروبا هذا المشروع حيث إعتبرته مشروع إستعماري وذلك من مظاهر الحرب الباردة فلقد أدى إلى إنقسام أُوروبا إلى قسمين: أُوروبا الشرقية الشيوعية وأوروبا الغربية الرأسمالية.

لقد أقام الإتحاد السوفياتي الكومنفروم عام ١٩٤٧ والتي تجمع بين الأحزاب الشيوعية وتسعى لنشر الحكم الشيوعي.

أدى إلى إنقلاب بالغ عام ١٩٤٨ وسيطرة الشيوعيين على تشيكوسلوفاكيا بالقوة إلى إشتداد التوتر في العلاقات بين المعسكرين وقد جاء هذا الإنقلاب لنية تشيكوسلوفاكيا التحرر من النظام الشيوعي. بالإضافة إلى فشل المؤتمرات التي عُقدت من أجل حل قضية ألمانيا وتحديد ووضع دول أُوروبا

الشرقية (مؤتمر موسكو) في اذار وعلى أثر فشل هذا المؤتمر نشبت أزمة برلين وهو حصار فرضه الإتحاد السوفياتي على برلين.

أزمات الحرب الباردة(إحدتهم في القارة الأسيوية، وأُخرى في أُوروبا، والأخيرة في القارة الأمريكية).

١- ازمة برلين - أُوروبا :

لقد أغلقت الإتحاد السوفياتي الطريق على أُوروبا الغربية وحصار برلين(من أخطر مظاهر الحرب الباردة التي كانت ستؤدي إلى حرب عالمية ثالثة) بهدف إجبار الدول الغربية الأُوروبية للخضوع لطلبات الإتحاد السوفياتي بسبب عدم خضوع أميركا ودول الغرب للإتحاد السوفياتي وأقامت جسر جوي من الطائرات التي تنقل كل إحتياجات برلين.

وكان سبب الحصار:

فشل المؤتمرات الدولية التي عُقدت بين الدول الأربع حول قضية ألمانيا.

نية الدول الغربية إقامة دولة ألمانيا غربية تخضع للنظام الرأسمالي وتكون عاصمتها بون.

كرد فعل على إقامة تحالف بين الدول الغربية موجه ضد الإتحاد السوفياتي، ولقد ضم التحالف(بريطانيا، فرنسا ولوكسمبورغ) وقد عرف بإسم حلف بروكسل.

حلف شمال الإطلسي ١٩٤٩:

هذا الحلف تطوير لحلف بروكسل الذي ضم ٥ دول إلا أنه أصبح يضم ١٥ دولة. مدة الحلف كان عشرون عاماً والهدف منه حماية الدول الأُوروبية الغربية من الشيوعية(مدة الحلف قابلة للتغير). مقابل لهذا الحلف أقام الاتحاد السوفياتي حلف سُمي:

حلف وارسو ١٩٥٤-١٩٥٥:

حلف عسكري وسياسي الذي ضم دول أُوروبا الشرقية بزعامة الإتحاد

السوفياتي هدفه حماية النظام الشيوعي والوقوف ضد حلف شمال الأطلسي وضد الدول الرأسمالية وتنسيق العمل السياسي بين الدول الشيوعية.

الكومكون:

منظمة إقتصادية تسعى لتنظيم التعاون الإقتصادي بين دول أُروبا الشرقية(الشيوعية) وأُقيمت هذه المنظمة كرد فعل على إقامة المنظمة الأُوروبية للتعاون الإقتصادي والتي جمعت دول أُوروبا الرأسمالية.

سباق التسلح هو من مظاهر الحرب الباردة بين أمريكا والإتحاد السوفياتي حول السلاح النووي، وحقيقية وصول الإتحاد السوفياتي من الحصول على القنبلة الذرية عام ١٩٤٩، ولكن السباق التسلح إستمر ففي عام ١٩٥٢ إستطاعت أمريكا أن تصنع قنبلة هيدروجينية ولكن مرة أُخرى تمكن الإتحاد السوفياتي من إنجاز قنبلة مماثلة حتى وفاق أمريكا إختراع الصواريخ وإنتاجها وإنتاج الغواصات النووية.

سباق التسلح في المجال العلمي هو غزو الفضاء الذي تمثل في إرسال السفن الفضائية والقمار الصناعية. ولقد نتج عن سباق التسلح توترات ونتائج ساخنة كأزمة كوبا، أزمة كوريا(لاحقاً) وحتى نزاعات دولية ساخنة في مناطق مختلفة من العالم(أزمات الشرق الأوسط) وقد أدى سباق التسلح إلى إرهاق ميزانيات الدول المنافسة.

نتج عن سباق التسلح ثورات ونزاعات دولية في مناطق مختلفة من العالم(أزمة كوريا، أزمة كوبا وحرب السويس).

٢- الأزمة الكورية - أسيا :

هي مهاجمة كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية بشكل مفاجئ بتحريض من الصين التي أصبحت شيوعية ولقد تمكن الشماليون بهذه الأزمة - أزمة كوريا من إحتلال مناطق واسعة في الجنوب ولكن وقوف أمريكا بجانب كوريا الجنوبية أفشل الهجوم الشيوعي، وإنتهت هذه الأزمة بتقسيم كوريا إلى دولتين(الشمالية الشيوعية والجنوبية الرأسمالية).

ولقد كان التدخل الأمريكي تحت علم هيئة الأُمم المتحدة بإرسال قوات عسكرية ومحاربة الشيوعيين(جيش الشمال). إستمرت الأزمة حوالي ٣ سنوات وهنا تدخلت الصين بشكل فعلي بعد دخول أمريكا ولقد أسفرت عن مئات القتلى والجرحى.

ميزان الرعب: يأكد الطرفين بأن لا يمكن أن يكون هناك منتصر في الحرب مع أن كلتاهما تملكان أسلحة نووية، صواريخ، قنابل هيدروجينية وقنابل ذرية، حصول الدولتين العظمتين الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي على مخزون كبير من أسلحة الدمار الشامل والتي تشمل القنابل الذرية والهيدروجينية والصواريخ العابرة لقارات والتي تستطيع نقل هذه القنابل إلى مسافات بعيدة بالإضافة لقواعد الصواريخ الموجودة في أمريكا والإتحاد السوفياتي ودول الحلفاء، وجود هذه القوة أَوضح للطرفين أنه لا يمكن القيام بحرب حيث أنه لن يكون هناك منتصر فلدى كل منهما القدرة على تدمير الطرف الثاني.

٣- أزمة الصواريخ في كوبا - القارة الأمريكية :

بدأت هذه الأزمة على أثر قيام ثورة في كوبا قد أوصلت النظام الشيوعي إلى السلطة وقد قام الثوار بأتباع النظام الإشتراكي فأممو إنتاج السكر ووطدوا علاقتهم مع الإتحاد السوفياتي. حاولت أمريكا غزو كوبا بحرياً(كوبا هي جزيرة - محاطة بالبحار) إلا أنها فشلت. وفي تشرين أول عام ١٩٦٢ أُظهرت لطائرات الإستكشاف الأمريكية قواعد لصواريخ نووية روسية في كوبا وهذا يعني تهديد مباشر لأمريكا مما دفع بها إلى فرض حصار بحري على كوبا وطلبت أمريكا(برئاسة جون كندي) من الإتحاد السوفياتي سحب صواريخها من كوبا فوراً، وقد إنتهت هذه الأزمة بسحب الإتحاد السوفياتي الصواريخ من كوبا بشرط ضمان إستقلال كوبا وسلامتها .(وحتى اليوم لدى كوبا نظام شيوعي برئاسة ___ فيدل كاسترو).

انحسار الاستعمار

علامات بارزة على طريق انحسار الاستعمار

أسيا :

:١٩٤٧ مُنحت الهند والباكستان إستقلال(ثمن مقابل هذا الإستقلال ــ تقسيم شبه قارة الهند إلى دولتين)

:١٩٤٨ إستقلال بورما وسيلان(سيرالانكا اليوم).

:١٩٤٩ إستقلال جزر الهند الشرقية من هولندا، تسمى اليوم أندونيسيا.

:١٩٥٤ إستقلال دول الهند - الصينية.

:١٩٥٧ إستقلال سنجافورة وماليا وبورنيو التي سميت (ماليزيا).

الشرق الأوسط وشمال أفريقيا:

لقد حظيت العراق ومصر على إستقلالها قبل الحرب العالمية الثالثة، العراق عام ١٩٣٠ ومصر عام ,١٩٣٦ لكنها لم يصلا إلى السيادة التامة وتطهير أراضيهم من القوات الأجنبية إلا عام ١٩٥٤ مصر، وعام ١٩٥٨ العراق.

:١٩٤٦ إستقلال سوريا، لبنان والأردن.

:١٩٤٨ إنتهاء الإنتداب البريطاني على أرض فلسطين وتأسست دولة إسرائيل.

:١٩٥١ إستقلال ليبيا.

:١٩٥٥ إستقلال تونس والمغرب.

:١٩٦٢ إستقلال الجزائر.

أفريقيا:

:١٩٥٧ حصلت غانا على إستقلالها، أولى دول الأفريقيا التي حصلت على إستقلال.

١٩٦٠: حصلت على أكثر من عشر دول على إستقلالها(السنة الأفريقية).

١٩٦٢: إستقلال أُغندا.

١٩٦٣: إستقلال كينا.

سياسة الوفاق والتعايش السلمي :

إن الحرب وسيلة تُسَوَّى فيها بالدم النزاعات ذات المصالح الكبيرة، ولكن مع وجود الأسلحة النووية الحديثة تصبح تسوية النزاعات بالدم شبه مستحيلة، هذا يعني أنه يجب إبدال الحرب بوسيلة أُخرى قابلة للتطبيق، وطالما إن الحرب الباردة لعبة خطرة قد تؤدي عند أي خطأ في الحساب والتقدير إلى حرب ساخنة غير مرغوب فيها، إذ تتساوى نتائجها بين المغلوب والغالب بصورة مأساوية، نشأ ميل عند الكبار، أي الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، إلى إبدال مصطلح الحرب الباردة الذي يحمل معنى عدوانياً بمصطلح آخر أكثر إنفراجاً وهو التعايش السلمي.

فالتعايش السلمي ليس في الواقع سوى وجودين متوازيين لدولتين أو لمنظمتين من الدول، تطمح كل واحدة منهما إلى تدمير الأُخرى ولكنها تُعرف أنها لا تستطيع ذالك، يُنتَج عن هذا أن التعايش السلمي هو حالة في العلاقات الدولية تعيش فيها جنباً إلى جنب دول لها أنظمة إجتماعية متباينة أو ذات عقائد متعادية، ودون اللجوء غلى الحرب لحل النزاعات الناتجة عن هذا التباين، هذا يعني شأنه في الحرب الباردة يحافظ كل طرف على درجة معينة من التوتر بينه وبين الطرف الآخر، أو على خط أحمر تقع في حال تجاوزه الحرب النووية، أما في التعايش السلمي فيلجأ الأخصام إلى توحيد جهودهم لتجنب الخطر نفسه، وذالك بالمشاورات واللقاءات المستمرة والحوار المباشر.

لقد بدأت بوادر التقارب بين المعسكرين تظهر في زمن الحرب الباردة، فتبدل الزعامة في كل من الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة عام ١٩٥٣ أحدث جمهوداً نسبياً على الحرب الباردة، ففي ٥ آذار ١٩٠٣ توفي ستالين وخلفه الثلاثي مالنكوف، مولوتوف وبيريا، كما أصبح نيكيا خروتشوف أميناً عاماً

للحزب الشيوعي السوفياتي، وكان الأهم والأساسي لهؤلاء تخفيف حدة التوتر الذي وصلت إليه العلاقات بين الشرق والغرب، وكانت تصريحاتهم العلنية تدعو إلى إنهاء تلك المشاكل، وفي الولايات المتحدة إنتُخب الرئيس الجديد أيزنهاور خلفاً لترومان، وفي الواقع فقد توصل الطرفان إلى بعض النتائج الإيجابية ولكن سرعان ما عادت عجلات الحرب الباردة إلى الدوران.

أهم مظاهر التقارب:

منذ عام ١٩٦٣ بدأ يتجه الجباران إلى وضع صيغة من التفاهم الوثيق بينهما يكون من شأنها تجنب وقوع حرب ذرية، وقد برز التقارب في عدة مظاهر، أبرزها:

١- محادثات الحد من الأسلحة الإستراتيجية:

في شهر آب ١٩٦٣ وقعت الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي وإنكلترا إتفاقية إلتزم فيها كل طرف بالتوقف عن التجارب النووية.

وفي عام ١٩٦٧ وقعت معاهدة الفضاء الخارجي التي حظرت وضع أسلحة نووية في الفضاء الخارجي لمدار الأراض، وفي عام ١٩٦٨ وقعت معاهدة خظر إنتشار الأسلحة النووية والتي بموجبها إتفقت الولايات المتحدة وبريطانيا والإتحاد السوفياتي وثلاث وثمانون دولة أُخرى على عدم تبادل المعلومات أو الأجهزة النووية.

في عام ١٩٧١ عُقد مؤتمر جنيف لنزع السلاح وإشتركت فيه خمس وعشرون دولة وتم التوقيع فيه على إتفاقية قاع البحار التي تقضي بمنع وضع أسلحة نووية في قاع البحر على بعد يتجاوز الإثنى عشر ميلاً وراء شواطئ البلد. كذالك وقعت عام ١٩٧٢ معاهدة الحرب البيلوجية التي منعت تطوير وتكديس الأسلحة البيلوجية.

في عام ١٩٧٢ تم التوقيع على إتفاقية سالت الأُولى التي فرضت تجميداً مدته خمس سنوات على الصواريخ العابرة للقارات.

٢- الإتصالات والزيارات الرسمية:

في أيلول عام ١٩٦٣ بدأ العمل على إنشاء خط هاتفي (التلفون الأحمر) بين موسكو وواشنطن لتأمين الإتصال المباشر بين الجبارين في حال وقوع سوء تفاهم.

كذالك إزدادت الزيارات بين زعيمي الدولتين العظمتين ومؤتمرات القمة لبحث المسائل المتعلقة بالدولتين والعالم أجمع.

٣- التعاون الإقتصادي والثقافي:

لقد حدثت زيادات كبيرة في التبادل التجاري بين الكتلتين، وكذالك في التبادل الثقافي والتعاون العلمي، وقد نُظمت مؤتمرات عملية عديدة بين علماء من الكتلتين.

٤- حل النزاعات الإقليمية بالطرق السلمية:

نشهد في الفترة الأخيرة تسارعاً في التقارب خاصةً مع تسلم غورباتشوف السلطة في الإتحاد السوفياتي وأتباعه سياسة الإنفتاح على الغرب وإعادة الحريات والديمقراطية، وقد بدأت الكتلتان في الإتفاق على إنهاء بؤر التوتر في العالم وحل مشكلة ناميبيا في جنوب أفريقيا ويزداد التعاون لحل مختلف المشاكل والنزاعات الإقليمية.

انهيار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٨٩-١٩٩٠ وتحولت إلى ١٦ دولة مستقلة بحكم منفرد.

هكذا إنهار النظام الشيوعي في معظم البلاد على أثر إنهيار الإتحاد السوفياتي في تلك السنوات. وبذالك أيضاً إنحل حلف وارسو وتم إنضمام جميع الدول إلى حلف شمال الاطلسي.

وبقيت بعض الدول الذي تحمل في حكمها النظام الشيوعي كدولة كوبا في القارة الأمريكية.

أوتو إدوارد لي وبولد فون بسمارك :

هو رجل دولة وسياسي ألماني في القرن التاسع عشر، شغل منصب رئيس وزاره بروسيا من عام ١٨٦٢ حتى عام، ١٨٩٠ وكان أيضا مستشار الاتحاد الشمالي الألماني. من أبرز أعماله توحيد الولايات الألمانية في مملكة واحدة سميت المملكة الالمانيه" أو "الرايخ الألماني الثاني"، والذي كان أول مستشار له بعد قيامه في عام، ١٨٧١ اشتهر بسمارك بلقب "المستشار الحديدي". لعب بسمارك دوراً هاماً حين كان مستشارا للرايخ الألماني، وأثرت أفكاره على السياسة الداخلية والخارجية لألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر.

بسمارك في صباه :

تلقى بسمارك تعليمه في مدرستي فريدريش فيلهلم وجراوس كلوستر الثانويتين. وحين بلغ سن السابعة عشرة التحق بجامعة جيورج أوّجوست في جوتنجن، حيث قضى عاما فقط انضم خلالها إلى فيلق هانوفيرا، تم انتقل إلى جامعة فريدريش فيلهلم في برلين. وعلى الرغم من أن بسمارك كان يطمح إلى أن يصبح دبلوماسيا، إلا أنه كان ليقنع بمناصب إدارية صغيرة في آخن وبوتسدام.

بداية حياته السياسية :

في العام الذي تزوج فيه بسمارك اختير ليكون نائبا في المجلس التشريعي الجديد "مجلس الشورى الموحد". وهناك اكتسب شهرة كمناصر للملكية وكسياسي محنك. وكان يدافع في كل مناسبة عن فكرة أن الملك لديه الحق الإلهي في الوجود.

وحين اندلعت الثورة في بروسيا مارس ١٨٤٨ (وكانت هذه الثورة إحدى الثورات الشعبية التي اجتاحت أوروبا في ذلك العام)، وكادت الثورة أن تسقط الملك فريد ريش فيلهم الرابع. ورغم أنه رفض في البداية اللجوء إلى القوة العسكرية لقمع المتمردين وإخماد نيران الثورة، إلا أنه قرر في النهاية استخدامها لإنهاء الثورة قبل استفحالها. وبعد نجاحه في إخمادها وجه وعوده

إلى الحركة الليبرالية بإقرار دستور يعترف بوحدة الشعب الألماني وحقه في إنشاء دولة متحدة, وعين أحد الليبراليين وهو لودولف كام ، رئيسا لوزراء بروسيا , في محاولة منه لاكتساب بعض الشعبية. غير أن الحركة الليبرالية التي قادت الثورة ما لبثت أن ضعفت في أقل من عام بسبب تنافسهم الداخلي, فعاد المحافظون إلى الحكم مرة أخرى, حين نجحوا في اكتساب دعم الملك. ورغم أن الدستور أقر إلا أنه لم يفي بالمطالب الدنيا للثوريين.

وفي عام ١٨٤٩ انتخب بسمارك لعضوية مجلس الشورى، وهو أحد غرفتي المجلس التشريعي البروسي. وفي هذه المرحلة من حياته السياسية كان بسمارك يعارض الوحدة الألمانية بحجة ان بروسيا سوف تفقد استقلالها في ذلك الاتحاد. وقد قبل تعيينه كأحد النواب في برلمان إرفورت, وهو برلمان اجتمعت فيه عدة إمارات ألمانية لمناقشة مشروع الوحدة الألمانية, إلا ان البرلمان فشل في صياغة هذا المشروع لغياب دعم أهم مملكتين ألمانيتين وهما بروسيا والنمسا.

وفي عام ١٨٥١ عينه فريدريش فيلهلم مبعوثا إلى مجلس الاتحاد الألماني في فرانكفورت. وقد تميزت فترة الثماني سنوات التي قضاها في فرانكفورت بتغيرات هامة في آرائه السياسية.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع — الصفحة

بسمارك.. وهتلر الأصل.. والصورة

■ عندما يتحدث التاريخ عن بسمارك لابد أن يتذكر هتلر. حيث تلاقت الأهداف نحو بناء ألمانيا ووحدتها.. إن حياة الرجلين مليئة بالأحداث والمأسي. وتعرضا للكثير من محاولات الاغتيال وبالرغم من فشل مشروعهم السياسي. ولكنهما حققا وحدة ألمانيا والحفاظ على قوتهما رغم كل المؤامرات التي أحاطت بهما.

بسمارك وهتلر.. أسطورة سيبقى التاريخ يتحدث عن هذين القائدين بكل احترام. وكل منهما اجتهد لصالح وطنه.

إن هذا الكتاب بين يدي القارئ. بسمارك وهتلر هو محاولة للتعرف على هذين الشخصيتين اللتين تلاقيتا في الهدف نحو بناء ووحدة قوة ألمانيا. وكما قيل (ليست البطولة أن تتعالى على البطل.. إنما البطولة أن تكون هذا البطل) ودهاء السياسيين هي تحقيق الهدف. لقد ارتبط بسمارك بتاريخ ألمانيا كما ارتبط هتلر وكلا الرجلين اجتهد في تحقيق هدفهما. وبرغم الفشل بقيت ألمانيا موحدة.

مازالت شخصية بسمارك أول مستشار ألماني وصانع الوحدة الألمانية تثير الكثير من التساؤلات. وكتب عنها الكثير من الكتب.

وقراء ميراثها وتاريخها قراءة مسيسة ومغرضة. خصوصاً [illegible] يات السياسية التي لعبت أدواراً طلائعية في رسم مصائر بلادهم. و [illegible] أحد هذه الشخصيات التي ظلت حاضرة بقوة في الذاكرة الألما [illegible] في تشكيل الحاضر الألماني.. ورسم ملامحه..

وهذا الكتاب يتحدث عن مسيرة هذين القائدين وحياتهما [illegible] رغم من الاختلاف حولهما.

I.S.B.N. 978-977-376-517-9
9 789773 765170

